التيار الفلسفي

في حوزة قم المقدسة

الشيخ

هشام الخفاجي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أما بعد ..

إن من الأمور الشائعة في العقود الأخيرة أن حوزة قم المقدسة مؤيدةٌ للفلسفةِ والعرفان الصوفي مع أن الواقع هو خلافُ ذلك ؛ لأن فلسفة اليونان ورؤى الصوفية لم يكن لها رواجٌ في حوزة قم المقدسة ، وإنما بدأت بالانتشار منذ قدوم السيد الطباطبائي ﵀ وتدريسه فيها .

وقد كان لانتصار الثورة في إيران دورٌ كبيرٌ في مد التيار الفلسفي وتوطيده ، مما يعني أن هذا التوجه هو توجهٌ وتيارٌ دخيلٌ على الحوزة المباركة ، وليس توجهاً سائداً فيها كما توهم الكثيرون .

وقد أخذ هذا التيار بالنمو شيئاً فشيئاً وتوسعت بقعتهُ في التشيع حتى حسبه من لا خبرة له بهذه الأمور هو الأصيل وندهِ الدخيل الذي لا يفقه من الدين إلا ظاهره ! وتجاوزت الحدود إلى ما هو أبعد ولم تقف عند هذا حتى راحوا يقدسون أعلام الصوفية ، وعكفوا على مطالعة ودراسة مختلقاتهم تحت مسمى العرفان وطائلة التوحيد ، وليس كل منادٍ بالتوحيد مصيباً له ، ودونك الوهابية حيث يهتفون بالتوحيد وهم أبعد ما يكونون عنه .

وإذا ما تبصرنا الأمر سنجد أن هذا التيار قد جاء وهو يحمل في طياته عدة إفرازات خطيرة من أرزئها :

أولاً : توهين الحديث في قِبال المتبنيات الفلسفية ، بل إقصاء الحديث فيما لو تعارض معها إما بإسقاطه ، أو تأويله وتوجيهه بما يتناسب إزاء جهتها ومؤداها كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى في ثنايا المواضيع.

ثانياً : شرح النصوص الدينية شرحاً فلسفياً وزعم عدم إمكان شرح ثلة منها إلا ضمن إطار المفاهيم الفلسفية ، مع أن شرحها شرحاً فلسفياً هو جمعٌ بين الأمور المتباينة وتحميل النصوص ما لا تحتمل . وهذه الخطوة بدأها الكندي ـ الذي أراد أن يكتب كتاباً في تناقض القرآن الكريم ـ يقول السيد الأمين ﵀ متحدثاً عن الكندي : فهم الوحي الإسلامي فهماً فلسفياً ... ويخرجُ من نظره الفلسفي بوجهة نظر عامة تقوم على فهم الدين بالعقل الفلسفي[1].

---

[1]) أعيان الشيعة،ج١٠،ص٣١١.

وخيرُ ما يُقال فيمن رام شرح النصوص الدينية شرحاً فلسفياً ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : (وآخر قد تسمى عالما وليس به . فاقتبس جهائل من جهال ، وأضاليل من ضلال . ونصب للناس شركا من حبائل غرور وقول زور . قد حمل الكتاب على آرائه . وعطف الحق على أهوائه)[1].

ثالثاً : تقديس أعلام الصوفية مثل ابن عربي وأقرانه ، وجعل مؤلفاتهم وأفكارهم تنتشر عند أتباع أهل البيت عليهم السلام مما يعني بث البدع وسفاسف الأمور في الوسط الشيعي وكفى به من شر لا يعلم مبتداه من منتهاه.

رابعاً : الاستخفاف بالعلماء وعدهم من علماء الظاهر ونحوها من الأوصاف التي توحي إلى ازدرائهم ، وإن كان رُد عليهم بما يستحقون من الأوصاف التي توقفهم على حقيقة مسلكهم كالخائضين بموهومات لا صلة لها بالعقل والعزوف عن نور الثقلين بما لا يرجى خيره ولا يُؤمن شره إلى غير ذلك .

خامساً : توهم أن التيار الفلسفي لا يمكن الاستغناء عنه ، وعده تياراً أصيلاً يمثل عمق التوحيد وأصله ـ ومن أسباب هذا التوهم أن جيلاً من الناشئة وعى وهو يرى مسميات كبيرة في الواقع الشيعي منحازةً له ـ مع أنه تيارٌ دخيلٌ لم يكن بوسعه تقديم رؤية عن الدين .

---

[1]) نهج البلاغة ، خطبة : (٨٧) .

وبيان دخالة هذا التيار على الإسلام والفكر الشيعي من أهم الأمور التي أصبو إليها في مختصر أرجو أن يكون تنبيهاً وإيقاظاً لمن التبس عليهم الأمر ولم يميزوا بين الأصيل والدخيل .

ومن الجدير بالتنبيه إليه أن عناوين الكتاب مترابطة فيما بينها ولذا في كثير من الأحيان أشير إلى عنوان ما له صلة بالموضوع عند الكلام في عنوان آخر ، ولربما أشير إلى عنوانين في عنوان واحد حتى يكون الأخوة المؤمنون على إلمام بالموضوع وفي نفس الوقت تنحل الاستفهامات المتبادرة إليهم عند القراءة ويندفع النقض الحاصل والإشكالات فيما لو تصور لها محلاً.

ومن الضروري جدا قبل تكوين نظرة عن الكتاب الاطلاع على عنوانين في آخره :الأول:(أصحاب التيار الفلسفي لم يتعمدوا السوء) والآخر:(كلمة مهمة في الختام) حتى تكون نظرةً متكاملةً غير قاصرةٍ عن الإلمام بالمبتغى والمراد.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب..

هشام كاظم

النجف الأشرف ١٤٤٣هـ

حوزة قم المقدسة كحوزة النجف الأشرف تنبذ الفلسفة

إن حوزة قم المقدسة كحوزة النجف الأشرف لم تعهد أروقتها حلقات الدرس الفلسفي إلا بعض الدروس النادرة جدا تعقد في الخفايا بعيدا عن الأنظار ؛ ومن هنا يقول غلام علي رجائي : سأل السيد الخميني أحد أساتذة الفلسفة في حوزة قم : كم عدد الذين يحضرون درسك ؟ أجاب : حدود خمسين شخصا. وفي هذه اللحظة قال الإمام بأذى : حسنٌ لاحظوا متى شهدت الحوزات العلمية الشيعية هذا العدد من الدارسين للفلسفة ؟ هل أن هؤلاء جميعا يفهمون الفلسفة ؟! ثم قال : كانت الفلسفة طوال تأريخها بضاعة غير رسمية ، ويجب أن تدرس بهذه الصورة غير الرسمية خاصة في الحوزات العلمية، لا أن تقوموا بتدريسها على هذا النطاق الواسع ولكل شخص وتسمحوا للجميع بحضور دروسها ، فهل إن جميع هؤلاء أهلاً لدراستها ؟! إن الذين يمتلكون الاستعداد لدراسة الفلسفة دون أن ينحرفوا قليلون[1] .

وهذا الكلام للسيد الخميني يدل بوضح على أن انتشار الدرس الفلسفي في حوزة قم المقدسة لم يكن معهودا فيها كغيرها من الحوزات الشيعية ، ولا أتصور أني أحتاج إلى المزيد من الشواهد والبينات من أجل إثبات هذه

[1]) قبسات من سيرة السيد الخميني (في ميدان التعليم الحوزوي) ،ص٥٢.

الجزئية،لأنها أمر معلوم وبين من قِبل المعارضين للفلسفة والمؤيدين لها على حد سواء ، فلم تكن الفلسفة تمثل جزءا من الإسلام أو التوحيد حتى يكون نبذها وعرضها بالصورة الدخيلة يعد هتكا للإسلام أو ضروريات الدين والمذهب .

ولا موجب للامتعاض والتوجس من بيانها بهذه الصورة وإن كان يصعب على المتعصبين للفلسفة قبولها بهذا العرض ، بل لربما لم يلمح على بال أحدهم مثل هذا الخاطر أصلا ، وهذه هي نتيجة طبيعية لمن يدرس ويُدرّس موضوعات الفلسفة من غير الاطلاع على تاريخها وأصل جذورها وما يرِدُ عليها ، فيحسبها نصا مقدسا لا يمكن المساس به خصوصا فيما إذا ضم لقدسيتها مسميات وعناوين كبيرة لا يحتمل في حقها الخطأ والاشتباه !

ولربما يُعذر بعض هؤلاء لوجه من الوجوه لأنهم يرون تلك العناوين على مستوى عالٍ من الإخلاص والتفاني في الدين مثل السيد الطباطبائي ﵀ ونحوه من العلماء . ونحن لا نشكك في تقواهم وإخلاصهم ، وإنما نرى العصمة لأهلها ولذا الاشتباه والخطأ في حقهم وارد إذ لا ملازمة في البين ولا يتعذر الانفكاك بينهما ، وبعبارة أخرى أن النوايا الحسنة والإخلاص شيء وعدم الاشتباه والوقوع في الخطأ شيء آخر ، وإذا أردنا معرفة الصواب والخطأ في التوجه الفلسفي من خلال الشخصيات والمسميات علينا أن ننظر إلى الجهة الأخرى التي تقف على الضد منه كالسيد أبي الحسن الأصفهاني ﵀ الذي حرم دراسة الفلسفة وحرم على دارسيها الراتب نموذجا للحوزة النجفية

والسيد البروجردي ﵀ كنموذج في الحوزة القمية والذي لم يرتضِ حتى ذكر اسم الفلسفة في درسه ـ كما يأتي بيان ذلك ـ فضلا عن الميل إليها أو تدريسها.

وخير ما يختم به ويقال في هكذا مورد هو الكلمة الخالدة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه : (إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق)[1].

ونظيره ما ورد عنه ﵇ : (إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله)[2].

---

[1]) أمالي المفيد،ص٣٧.

[2]) مجمع البيان،ج١،ص١٨٧.روضة الواعظين،ص٤٧.

السيد الطباطبائي وإرساء الفلسفة في حوزة قم

إن السيد الطباطبائي ﵀ هجر مدينة تبريز متوجها إلى قم سنة ١٣٢٥هـ ش كما يقول هو متحدثا عن هجرته : بيد أني قررت في العام ١٣٢٥ هـ ش إلى إغماض العين عن أمر المعاش فتركت مدينة تبريز قادما إلى مدينة قم مركز الحوزة العلمية وبدأت بعد لأي في استئناف البحث العلمي مجددا[١].

أي ما يعادل سنة : (١٩٤٦م) وبهذا تكون حوزة قم المقدسة قد أقبلت على خطوات إرساء الفلسفة ونشرها في أرجائها ، وفي خضم ذلك يقول الشيخ مرتضى مطهري عن السيد الطباطبائي : هذا الرجل الذي أمضى شطرا كبيرا من حياته في درس وتمحيص الفلسفة وأحاط عن علم وبصيرة بنظريات كبار الفلاسفة المسلمين نظير : الفارابي وابن سينا وشيخ الإشراق وصدر المتألهين وغيرهم مضافا إلى أن حسه الفطري وعشقه الطبيعي دفعه ليطل إطلالة متفحصة على أفكار المحققين من فلاسفة أوربا . لقد أضحى العلامة الطباطبائي في السنوات الأخيرة المدرس الوتر للفلسفة في الحوزة العلمية بقم[٢].

---

١) مقالات تأسيسية،ص٣٢.

٢) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي،ج١،ص٤٤.

ويقول أيضا : يمثل هذه النهج الذي بدأه سماحة العلامة خطوة أساسية ، أدخلت الفلسفة في إيران مرحلة جديدة إذ لم تتجاوز في الماضي معلومات دارسي الفلسفة معطيات الكتب الدراسية المقررة أما بعد مدة وجيزة من بدأ العلامة في نهجه توفر كثير من طلاب الحوزة العلمية بقم على معلومات فلسفية شاملة نسبيا[1].

ويقول الشيخ حسن زاده آملي : إن العلامة الطباطبائي كان لطفا إلهيا في تأسيس المعارف والأصول الجعفرية الحقة في عصرنا[2].

وفي نفس السياق يقول السيد محمد حسين الطهراني متحدثا عن السيد الطباطبائي : قد درس في الحوزة العلمية لمدينة قم عدة دورات في الفلسفة سواء من (الأسفار) أم (الشفاء) حتى عد الفيلسوف الأوحد في عالم الإسلام.وفي السنوات الأخيرة قام بتدريس بعض الطلاب الخواص دورة في مستوى البحث الخارج في الفلسفة وكانت ثمرتها إعداد كتابي : (بداية الحكمة) و (نهاية الحكمة) اللذين طبعا ونشرا ليستفيد منهما الجميع . ولم يكن الصديق والعدو ليختلف على أنه الأخصائي الوحيد في الفلسفة الشرقية في كل العالم[3].

---

[1]) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي،ج١،ص٤٦.

[2]) في سماء المعرفة،ص٥١.

[3]) الشمس الساطعة،ص٤٣.

ويقول الشيخ علي النمازي متحدثا عن السيد الطباطبائي : الفيلسوف المعاصر الطباطبائي المروج للفلسفة صاحب كتاب تفسير الميزان الذي أخطأ فيه كثيرا[1]. ثم ذهب في تعداد بعض الآراء التي يراها غير صحيحة.

ودور السيد الطباطبائي في تجذير الفلسفة في الحوزة القمية أجلى من أن يُخفى وأوضح مما يُدلل به عليه.

[1]) مستدرك سفينة البحار،ج٨،ص٣١٥.

السيد البروجردي في مواجهة انتشار الدرس الفلسفي

عند رواج الفلسفة في حوزة قم المقدسة كان من أبرز المتصدين لها السيد البروجردي ﵀ ـ الذي آلت إليه زعامة المرجعية في قم آنذاك ـ وعارض انتشار الدرس الفلسفي حتى قطع راتب من يحضرها ؛ وهذا ما نقله السيد الطهراني عن السيد الطباطبائي حيث يقول : عندما جئت من تبريز إلى قم وبدأت تدريس (الأسفار) وتحلق الطلاب حولي حتى وصل عددهم إلى أكثر من مائة شخص. أمر آية الله البروجردي رحمة الله عليه أولاً : بقطع راتب كل طالب يحضر هذا الدرس . وعندما وصل الخبر إليّ : وقعت بحيرة فماذا أفعل يا الهي؟ فإذا قُطعت : رواتب هؤلاء الطلاب الذين لا حول ولا قوة لهم ، والذين يأتون من المدن البعيدة ولا مصدر لهم للعيش إلا هذا الراتب الشهري فماذا يفعلون ؟ وإذا تركت تدريس (الأسفار) : لأجل مرتب الطلاب فإنني أوجّه صفعة لمستوى الطلاب العلمي والعقائدي ! فبقيت على هذا الوضع متحيرا إلى أن جاء اليوم الذي كنت فيه أهم بالمرور حول الكرسي فوقع نظري على (ديوان حافظ) الذي كان موضوعا عليه فأخذته وتفاءلت به لأعلم ماذا أفعل هل أترك تدريس (الأسفار) أو لا ؟ ففتحته ، وإذا بهذه القصيدة الغزلية:

من نه آن رندم كه ترک شاهد و ساغر كنم

محتسب داند كه من اين كارها كمتر كنم

من که عیب توبه کاران کرده باشم بارها
توبه از می وقت گل دیوانه باشم گر کنم
عشق دردانه‌ست و من غواص و دریا میکده
سر فروبردم در آن جا تا کجا سر برکنم
لاله ساغرگیر و نرگس مست و بر ما نام فسق
داوری دارم بسی یا رب که را داور کنم
بازکش یک دم عنان ای ترک شهرآشوب من
تا ز اشک و چهره راهت پرزر و گوهر کنم
من که از یاقوت و لعل اشک دارم گنج‌ها
کی نظر در فیض خورشید بلنداختر کنم
چون صبا مجموعه گل را به آب لطف شست
کجدلم خوان گر نظر بر صفحه دفتر کنم
عهد و پیمان فلک را نیست چندان اعتبار
عهد با پیمانه بندم شرط با ساغر کنم
من که دارم در گدایی گنج سلطانی به دست
کی طمع در گردش گردون دون پرور کنم
گر چه گردآلود فقرم شرم باد از همتم
گر به آب چشمه خورشید دامن تر کنم

وترجمتها :

ولست أنا ذلك العربيد الذي يهجر المحبوب ويترك الكأس والمحتسب نفسه يعلم ذلك وإنني قلما أصنع هذا الأمر . أنا الذي كثيرا ما عبت على التائبين توبتهم لو أنني تبت عن الشراب في موسم الورد لكنت مجنونا ودخلت في زمرتهم (يقصد بالشراب ، شراب المعرفة ، وساقهم ربهم شرابا طهورا) وعندما تأخذ

ريح الصبا (ماء اللطف) وتغسل به مجموعة الأزهار والورود لو أنني نظرت إلى صحيفة الكتاب لحق لك تسميتي أعوج الطبع سقيم العود ، فالعشق درة يتيمة وأنا الغواص والحانة هي البحر الواسع ولقد أنزلت رأسي فيه فلأرى كيف أرفعها و متى أستطيع.

وزهرة اللعل التي تمسك بالقدح والنرجسة هي المخمورة ولكن شهرة الفسق تصيبني وحدي فيا رب ما أكثر الشكاوي التي عندي : فمن القاضي الذي عنده أتظلم له وأشتكي .

ويا محبوبي التركي الذي يملأ البلدة بالفتن آمن عنانك عني لحظة من اللحظات حتى أملأ طريقك بالذهب والدرر من دموعي وورود الوجنات . وأنا الذي عندي الكنوز الكثيرة من يواقيت الدموع الحمراء ، كيف أنظر إلى فيض الشمس الرفيعة في وسط السماء ؟! وليس يمكنني الاعتماد على عهد الفلك وميثاقه ، فلا قيمة له ولا اعتبار ومن أجل ذلك فإنني أعقد العهد مع القدح والميثاق مع الكأس الدوار . وأنا الذي أمتلك في فقري ومسكنتي كنوز السلطان ، كيف أطمع في دورة الفلك الذي يربي السفلة أهل الذل والهوان . والفقر يمسك بأذيالي ، ولكن حذارِ مني ، وأخجل من همتي ، إذ أنا غسلت من نبع الشمس العالية ردائي وحافتي[1].

ونقل تلامذة السيد البروجردي : أن السيد البروجردي قال : إن السيد أبو الحسن الأصفهاني قد حرم الاشتغال بالفلسفة وأنا أريد أن أفعل مثل ذلك

[1]) الشمس الساطعة،ص١٠١-١٠٤.

فقيل له : إن بعض الأذربايجانيين يدرّس الفلسفة في قم فيخاف أن يثار شجار وفتنة بين الطلاب . فقال السيد : حفاظا على الحوزة من التشاجر والاختلاف : فأنا لا أفتي بتحريم الفلسفة رسميا ولكن لا أسوغ الاستفادة من الراتب الشهري الحوزوي لمن يشتغل بالفلسفة تدريساً أو تدرساً [١].

وأيضا جاء في كتاب السيرة والمسيرة : ما حدث بين السيد حسين البروجردي وبين السيد محمد حسين الطباطبائي بعد عودة الأخير من تبريز إلى قم وشروعه بتدريس الأسفار واجتماع أكثر من مئة طالب في درسه، فقد أمر السيد البروجردي بقطع رواتب من يحضر هذا الدرس[٢].

وعن بعض تلامذة السيد البروجردي ﷺ أنه قال : استشكل على السيد أحد تلامذته بعد الفراغ من الدرس وأراد أن يستشهد بكلام من الفلاسفة فما أن قال : إن الفلاسفة أو بعض الفلاسفة حتى قطع السيد كلامه ورد عليه مسرعا وقال : لا تذكر عندي شيئا عن الفلاسفة[٣].

ونقل الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني بهذا الصدد ذم السيد البروجردي لكتاب الأسفار حيث يقول : في يوم من الأيام تشرف جمع ـ بموافقة السيد محمد المشكاة ـ من أساتذة الجامعات بزيارة السيد البروجردي رحمه الله قام السيد محمد المشكاة بتعريف آحاد الأساتذة وكان من جملتهم الشيخ مصلح

---

[١]) جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص٥١٦.

[٢]) محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة،ج١،ص٦٥.

[٣]) جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص٥١٦.نقلا عن كتاب:(جند خاطره از آية الله بروجردي)

الشيرازي وقال في ضمن تعريفه : ترجم كتاب الأسفار (لمحمد بن إبراهيم الشيرازي) إلى الفارسية . بعد التشريف والتكريم لهؤلاء الأساتذة قال السيد البروجردي للشيخ مصلح : أنتم تظنون أنكم قمتم بعمل جيد أو قدمتم خدمة؟! . لم يقل السيد البروجردي أكثر من هذا ، ولكن كان واضحا أن استفهامه إنكاري . هو بحسب ذوقه واستيعابه كان يرى ما يسمى بالحكمة المتعالية ومطالب كتاب الأسفار في ما يرتبط بالعقائد الإسلامية تتضمن اشتباهات وعدولا عن القرآن المجيد ومعارف أهل البيت عليهم السلام ، وفي تلك الجلسة لأن سكوته قد يوهم قبوله لها ، أظهر رأيه بذلك المقدار. وهذا من كمال التدين و (أداء) العهد بحفظ حرمات الدين ، وإلا كثيرون يمرون بمثل هذه المواقف وإذا لم يمجدوا و(يجاملوا) فيسكتون لكي لا يقع الطرف الآخر في الإحراج أو لا تتأذى مشاعره ؛ **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[1][2].

---

[1]) سورة التوبة : ٦٢ .

[2]) فخر دوران (فخر الحقبة)،ص٣٥.

تحريم دراسة الفلسفة والراتب على طلبتها

إن تحريم الراتب على طلبة الفلسفة لم يفتِ به السيد البروجردي ﵀ ـ كما تقدم ـ فحسب وإنما أفتى به غيره من الأعلام كان من ضمنهم :

السيد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى :

يقول السيد اليزدي ﵀ : لو اشتغل القادر على الكسب بطلب العلم المانع عنه يجوز له اخذ الزكاة إذا كان مما يجب تعلمه عينا أو كفاية ، وكذا إذا كان مما يستحب تعلمه كالتفقه في الدين اجتهادا أو تقليدا ، و إن كان مما لا يجب ولا يستحب كالفلسفة والنجوم والرياضيات والعروض والأدبية لمن لا يريد التفقه في الدين فلا يجوز أخذه[1].

وحكى محمد حسن القوجاني أن أحد طلبته قال له : التقيت بالسيد اليزدي وسألته عن رأيه بقراءتي للفلسفة بمقدار يمكنني من معرفة مصطلحاتها، فقال لي: لا ينبغي أن تدرسها إذ موضوعاتها ليست حقا ولا باطلا صرفا ، فإن لم تسقط في الضلالة فإنك ستضيع عمرك على الأقل ، ولهذا فأنا أعتبرها حراما.ولقد قررتُ عدة مرات أن أؤلف كتابا في الرد على كتب الفلسفة

[1]) العروة الوثقى،ج٤،ص١٠٥.

ولكني لم أوفق حتى الآن . ومع أنني لم أقرأ الفلسفة في المدرسة إلا أنني فهمت من خلال المطالعة أن ما كُتب فيها هو ترهات وما زلت مصمما على الرد عليها بكتاب[1].

وقد كان السيد اليزدي شديدا على أصحاب الاتجاه الفلسفي الصوفي ومن هنا كان يقول القوجاني : والأسوأ من ذلك كله حاجتي للوقوف على باب دار السيد محمد كاظم الذي كان ملتزما وإصرار على إذلال وإهانة من هم على شاكلتي[2].

السيد أبو الحسن الأصفهاني :

قد اشتهر عن السيد الأصفهاني ﷺ أنه حرم الارتزاق من الراتب الشهري الحوزوي لمن يشتغل بالفلسفة فقد دعا في يوم من الأيام جميع أساتذة حوزة النجف وقال أن الراتب الذي أدفعه للحوزة إنما أدفعه من ملكي الخاص حيث إني استدين كل شهر لدفع الرواتب من بعض الموجهين ثم أبرئ ذمتي من السهم المبارك أو غيره من التبرعات فهذا الراتب الذي يستلمه الطلبة في الحوزة إنما هو من ملكي الشخصي ولما أخذ من جميع الأعلام الإقرار بذلك قال لهم:

---

[1]) سياحة في الشرق ص٣٤٢ .

[2]) سياحة في الشرق،ص٣٤٩.

(فأنا لا أرضى لمن يشتغل بالفلسفة أن يأخذ من الراتب ويستفيد من الشهرية)[1].

السيد محمود الشاهرودي :

إن للسيد الشاهرودي ﷺ موقفا صارما للمشتغلين بالفلسفة في حوزة النجف المقدسة آنذاك ، حيث حرم عليهم أخذ الراتب الشهري الحوزوي[2] كما أفتى بتحريم إدراج تعليقات العلامة الطباطبائي على الطبعة الجديدة من بحار الأنوار[3].

بل إن الرأي السائد عند علماء المسلمين وعلى الأخص منهم أتباع أهل البيت عليهم السلام هو نبذ الفلسفة وتحريم دراستها إلا من شذ منهم وإليك بعض كلمات الأعلام في هذا المجال :

---

[1]) القصة مشهورة عن السيد الإصفهاني وقد ذكرها الكثير من تلامذته وغيرهم من الذين كانوا قاطنين في النجف الأشرف آنذاك وقد سمعتها بطرق متعددة عن بعض أعاظم الثقاة من تلامذة السيد منهم الشيخ محمد رضا البخارائي جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص٥٠٤.

[2]) نقله عنه الشيخ محمد رضا البخارائي ﷺ الذي كان من أعاظم تلامذة السيد محمود الشاهرودي والسيد أبو الحسن الإصفهاني ومن المختصين بهما.وكان متوليا للمدرسة البخارائية في النجف الأشرف. جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص٥٢٩

[3]) ذكره الشيخ علي الدواني في كتابه آية الله بروجردي : ٣٨٤، وكذا آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني كما في : علامه مجلسي أصولي يا اخباري على الملكي الميانجي :٨٨.

العلامة الحلي :

إن العلامة الحلي ﵀ عند تقسيم العلوم من حيث الحكم قال : العلم إما فرض عين أو فرض كفاية أو مستحب أو حرام ... والحرام : ما اشتمل على وجه قبح ، كعلم الفلسفة لغير النقض ، وعلم الموسيقى وغير ذلك مما نهى الشرع عن تعلّمه ، كالسحر ، وعلم القيافة والكهانة وغيرها[1].

الشيخ زين الدين العاملي :

يقول الشيخ زيد الدين العاملي الملقب بالشهيد الثاني ﵀ : وأعظم من هذا محنة وأكبر مصيبة ، وأوجب على مرتكبه إثما، ما يتداوله كثير من المتسمين بالعلم من أهل بلاد العجم ، وما ناسبها من غيرهم في هذا الزمان حيث يصرفون عمرهم ويقضون دهرهم على تحصيل علوم الحكمة كعلم المنطق والفلسفة وغيرهما، مما يحرم لذاته أو لمنافاته للواجب، على وجه لو صرفوا جزءا منه على تحصيل العلم الديني - الذي يسألهم الله تعالى عنه يوم القيامة سؤالا حثيثا، ويناقشهم على التفريط فيه نقاشا عظيما - لحصلوا ما يجب عليهم من علوم الدين. ثم هم مع ذلك ﴿**يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[2] بل يزعمون أن ما هم فيه أعظم فضيلة وأتم نفعا ، وذلك عين الخذلان من الله سبحانه والبعد عنه، بل الانسلاخ من الدين رأسا أن يُحيي من يزعم أنه من أتباع سيد

---

[1]) تذكرة الفقهاء،ج٩،ص٣٧.

[2]) سورة الكهف : ١٠٤ .

المرسلين محمد واله الطاهرين دين أرسطو ومن شاكله من الحكماء، ويُهمل الدين الذي دان الله به أهل الأرض والسماء، نعوذ بالله من هذه الغفلة ونسأله العفو والرحمة[1].

ويقول أيضا في ذم الفلسفة وعدم الجدوى من مطالبها : الاشتغال بمعرفة الوجود ، وهل هو نفس الموجودات أو زائد عليها أو مشترك بينها ، أو غير ذلك من المطالب التي لا ثمرة لها ، بل لم يحصل لهم حقيقة ما طلبوا معرفته فضلا عن غيره[2].

الشيخ الأنصاري :

إن الشيخ مرتضى الأنصاري ﵀ عد كتب عرفاء الصوفية والفلاسفة من كتب الضلال لاشتمالها على ظواهر منكرة حتى فيما لو كانت مطالبها حقة حيث يقول : أن المراد بالضلال ما يكون باطلا في نفسه ؟ فالمراد الكتب المشتملة على المطالب الباطلة ، أو أن المراد به مقابل الهداية ؟ فيحتمل أن يراد بكتبه ما وضع لحصول الضلال ، وأن يراد ما أوجب الضلال وإن كان مطالبها حقة ،

---

[1]) رسائل الشهيد الثاني،ج١،ص٥٥.

[2]) منية المريد ، ص١٥٨ .

كبعض كتب العرفاء والحكماء المشتملة على ظواهر منكرة يدعون أن المراد غير ظاهرها[1] ، فهذه أيضا كتب ضلال على تقدير حقيتها[2].

ويرى الشيخ ﷺ أن الخوض في المطالب العقلية لإدراك ما يتعلق بأصول الدين تعريض للهلاك الدائم والعذاب الخالد إذ يقول : عدم جواز الخوض لاستكشاف الأحكام الدينية في المطالب العقلية والاستعانة بها في تحصيل مناط الحكم والانتقال منه إليه على طريق اللم لأن أنس الذهن بها يوجب عدم حصول الوثوق بما يصل إليه من الأحكام التوقيفية فقد يصير منشأ لطرح الأمارات النقلية الظنية لعدم حصول الظن له منها بالحكم . وأوجب من ذلك ترك الخوض في المطالب العقلية النظرية لإدراك ما يتعلق بأصول الدين فإنه تعريض للهلاك الدائم والعذاب الخالد[3].

---

[1]) يقول الميرزا القمي صاحب القوانين ﷺ إن أرادوا ظاهر كلامهم فهم كفار وإن أرادوا غير الظاهر فهم فاسقون وهذا نص ما ذكره : أنهم لو أرادوا من هذه الكلمات ظواهرها التي نفهمه نحن فهم كفار وملعونون بلا إشكال . ولو كان مرادهم ما لا نفهمه كما يدعي ذلك محبوهم وأتباعهم فهم فساق وفجار حيث أظهروا الكفر وجعلوا أنفسهم مستحقين للمؤاخذة والطعن واللعن من الناس وكذا عقاب الله تعالى وعذابه.وذلك أنه كما يحرم الاعتقاد بالكفر كذلك يحرم التفوه به وأن أحكام الشرع المقدس مبنية على الظاهر فلو لعن أحد هذه الجماعة لما ظهر منهم فليس عليه شيء حتى لو لم يكونوا كفارا في الباطن...بل لو علم إسلامهم في الباطن يحكم بفسقهم لتظاهرهم بهذه الكلمات.جوابات المسائل الركنية للميرزا القمي،ص٣٢٩-٣٣٥.

[2]) كتاب المكاسب،ج١،ص٢٨٣.

[3]) فرائد الأصول،ج١،ص٢١.

السيد عبد الأعلى السبزواري :

في نظر السيد السبزواري ﵀ الفلسفة كالغبار على اللجين والصحيح منها مستلهم من الكتاب والسنة (مما يعني أن الفلسفة في نظره لا اعتبار لها) وغيره أوهام وخيالات وحجاب عن الوصول إلى الواقع حيث يقول ﵀ : ثم إنه غلب استعمال الحكمة على الفلسفة المتوارثة عن اليونان وقد اصطلح على قدماء الفلاسفة بالحكماء وقسموهم إلى الإشراقيين والمشائيين والرواقيين كما أنهم قسموا الحكمة الاصطلاحية (الفلسفة) إلى علمية وعملية والثانية عبارة عن علم الفقه والأخلاق وقسموا الفقه إلى العبادات والمعاملات (أي العقود والإيقاعات) والأحكام والسياسات وأن بمعرفتها والعمل بها يصل الإنسان إلى مقام الإنسانية والخروج عن حدود الحيوانية البهيمية وبذلك تتم المدينة الفاضلة التي خلق الإنسان لأجل ورودها والاستكمال فيها . وقسّمت الحكمة العلمية إلى قسمين:الإلهيات والطبيعيات ، ولكل واحد منهما فصول وأبواب ، وقد جعل كل فصل من فصول الطبيعيات في العصر الحديث علما مستقلا برأسه . كما أن من فصول الفلسفة الإلهية البحث عن كلام اللّه تعالى من حيث قدمه وحدوثه وكثر النقض والإبرام فيه حتى جعل ذلك علما مستقلا له أبواب كثيرة وفصول طويلة . ولكن كل من نظر في الحكمة الاصطلاحية يرى أنها كغبار على اللجين[1] ولو فرض فيها شيء صحيح فهو مستلهم من الوحي

---

[1]) اللَّجين ورق الشجر يُختبط ثم يخلط بدقيق أو شعير فيُعلف للإبل، وكل ورقٍ أو نحوه فهو لَجِينٌ مَلْجون حتى آسُ الغِسلة.

المبين أو السنة المقدسة وغيره ليس إلا من الأوهام والتخيلات والمغالطات وكل واحد منها حجاب عن الوصول إلى الواقع ولذلك كثر الخلاف وقل الوصول إلى المراد ، وقد ذكرنا أن الحكمة بمعزل عن البطلان والتكذيب ومنزهة عن جميع ذلك ، وإذا كانت الحكمة ما ذكروه فليست هي إلا العلم بالمصطلحات فقط فهي كعلم اللغة مثلا وهي صنعة وفن لا تزيد على سائر الصنايع والفنون بل ربما يكون بعضها أفضل منها كما هو المحسوس[1].

السيد الخوئي :

يرى السيد الخوئي ﷺ أن الفلسفة فرقت المسلمين وذهب ضحيتها أعراض محترمة ونفوس بريئة ويحمل ذلك من ألقى الفلسفة بينهم إذ يقول : كان المسلمون بأسرهم على ذلك ولم يكن لهم أي اختلاف فيه حتى دخلت الفلسفة اليونانية أوساط المسلمين ، وحتى شعبتهم بدخولها فرقا تكفر كل طائفة أختها ، وحتى استحال النزاع والجدال إلى المشاجرة والقتال فكم هتكت في الإسلام من أعراض محترمة ، وكم اختلست من نفوس بريئة ، مع أن القاتل والمقتول يعترفان بالتوحيد ، ويقران بالرسالة والمعاد...ولست أدري

ثعلب عن ابن الأعرابي قال: اللُّجون واللِّجان في كل دابة، والحران في الحافر خاصة، والخلاء في الإبل. وقد لَجَنَتْ تَلْجُنُ لُجُونا ولِجاناً . وقال : اللُّجَين : الفضة . وقال غيره : اللجين : زبد أفواه الإبل . تهذيب اللغة،ج١١،ص٥٦

[1]) مواهب الرحمن،ج٤،ص٣٧٤.

وليتني كنت أدري بماذا يعتذر من ألقى الخلاف بين المسلمين وبم يجيب ربه يوم يلاقيه ، فيسأله عما ارتكب ؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

وأيضا له كلام في ابن عربي ووحدة الوجود حيث يقول : يحكم بكفر بعض الفرق المنتسبين إلى الإسلام إذا رجعت عقائدهم إلى إنكار الألوهية والخلق ، أو النبوة أو المعاد، كالقائلين بوحدة الوجود من الصوفية الظاهر ذلك من أشعارهم ، بل من متونهم ، كما في عبارة محيي الدين بن العربي[2] التي هي : (الحمد للّه الذي خلق الأشياء وهو عينها) . الدال على وحدة الوجود ، فإذا لوحظت المراتب فيكون خلقا ، وإذا لغيت فهو نفس الخالق ، فالواجب والممكن عندهم موجود واحد، وإنما يختلف بالاعتبار ، فباعتبار حده هو ممكن ومع إلغاء الحد هو واجب وهو راجع في الحقيقة إلى إنكار الخالق[3].

الشيخ لطف الله الصافي :

الشيخ لطف الله الصافي المرجع الديني المعاصر صاحب (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر) عُرف بمخالفته للاتجاه الفلسفي والعرفاني

---

[1]) البيان في تفسير القرآن،ص٤٠٦.

[2]) محمد بن علي بن محمد بن عربي (ت:٦٣٨هـ) ويسمى ابن العربي وأيضا ابن عربي تميزا له عن محمد بن عبد الله المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت:٥٤٣هـ) .

[3]) مجمع الرسائل/رسالة في الإرث،ج٤٩،ص٤٣.

وله كتب ومقالات في الرد عليهم ونقد مبانيهم كما منع من تدريس الفلسفة في حوزته التي هي من أهم مراكز التدريس في حوزة قم المقدسة[1].

ومن كلامه في ذم الفلسفة وأصحابها : قد تجنبنا في هذه الرسالة عن الاستشهاد بمخترعات الفلاسفة أذناب اليونانيين وأتباعهم من المنتحلين إلى المذاهب الإسلامية ، أولئك الذين لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوة عليهم السلام ، وسلكوا سبلا متشعبة أبعدتهم عن التمسك بالثقلين[2].

ومن كلامه أيضا :

لما شاع من عصر المأمون فلسفة اليونانيين بين المسلمين صارت نصوص الإسلام سيما في أصول الدين غرضا لتأويلات المتفلسفين فصرفوا النصوص على آرائهم وعدّ من الثقافة الخروج من نصوص الشريعة وظواهرها وتأويلها على ما يوافق ما حرروها في الفلسفة حتى في الطبيعيات فبعدوا وأبعدوا الناس عن مفاهيم نصوص الدين ، في التوحيد والصفات ومفهوم الحدوث والقدم والخالق والمخلوق وغيرها ، فأولوها بما لا يوافق ظواهرها فبنوا دينهم على الظنون والزعوم وفسروه بما لا يرتضيه صاحبه وأهل تفسيره فقرروا المعارف العالية على الأسس التي قررها الذين لم يسلكوا مسلك الأنبياء ، ولم يستضيئوا من نور هدايتهم السماوي فاستقلوا بعقولهم ومشوا في مذاهبهم وجاءوا باصطلاحات التي لا توافق اصطلاحات القرآن الكريم ووقعوا في

---

[1]) جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص١٣٥.

[2]) مجموعة الرسائل،ج٢،ص١٣٦.

القول بالإيجاب والحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وفسروا ربط الحادث بالقديم كربط المعلول بالعلّة لا كربط المخلوق بالخالق مع الفرق الواضح بين الاصطلاحين ، فكم فرق بين الخالق والمخلوق والعلة والمعلول ؟ لا يدرك بالاصطلاح الثاني ما يدرك بالاصطلاح الأول ، وما يدرك من الثاني لا يدرك من الأول ، لا يتحد الطريقان ولا ينتهيان إلى مقصد واحد والعلة يعبرون عنها بالعلة الأولى والثانية و . . . وأما الخالق فلا يعبر عنه بالخالق الأول والثاني وكذا المعلول الأول والثاني والثالث . . ولا يقال المخلوق الأول والثاني والثالث.فجميع المخلوقات وإن وقعت خلقة بعضهم في طول خلقة البعض الآخر مخلوقون لخالق واحد نسبة الجميع إليه سواء لا كالمعلول الثاني ، والعلة الثالثة الذي هو معلول للمعلول الأول والعلة الثانية و . و . . وكتب الفلاسفة مع ما يوجد فيها مما يوافق وحي السماء لا يوافق جميع مباحثها مع الوحي وما هو ثابت بالكتاب والسنة ففيها الغث والسمين والحق والباطل ، وما يتفق مع ما جاء به الأنبياء وما يخالفه وذلك لأنهم سيما القدماء منهم اقتنعوا واستغنوا بمنسوجاتهم عما جاء به رسل اللّه تعالى واستقلوا بعقولهم عن هدايتهم فيما لا يهتدي العقل إليه لولا هداية الأنبياء ، والذين جاؤوا بعدهم سلكوا مسالكهم واتبعوا طريقهم غير أنهم سعوا بعد ما أثبتوا عليه في المسائل تطبيق الكتاب والسنة عليه فكأنهم أرادوا أن ينزّهوا المشرّع عما وصل إليه عقولهم ، ولذا لم يأمنوا عن الأخطاء والعثرة والزلة إلا القليل منهم فنرى إن اثنان من أشهر حكماء المعاصرين بالغا في تخطئة اثنين من مشاهير الفلاسفة في مسألة المعاد الجسماني حتى رماهما بما نعوذ باللّه منه هذا مع أنهم تكلّفوا الكلام فيما

لم يكلّفوا بالتكلّف فيه ، بل نهوا عنه . فهل هؤلاء يسلكون سبيل أرسطو وأفلاطون وسقراط والرواقيين والمشائيين ، والفارابي وابن سينا وغيرهم ؟ أم هم المهتدون بهدي محمد وأهل بيته صلى اللّه عليهم ، والسالكون سبيلهم ، نحن لا نحكم على الجميع على إنهم من الطائفة الأولى أو الثانية ونرجو أن يكون جل فلاسفة المسلمين من الثانية وأما حسابهم فعلى اللّه تعالى[1].

هذه نماذج من كلمات الأعلام في هذا المجال ولست بصدد استقصائها لأن ذكرها أجمع يتطلب كتابا مستقلا ، كما أن بعض العلماء لهم موقف سلبي للغاية تجاه الفلسفة ومن حذا حذوها إلا أنه لم تكن له تصريحات فيها اكتفاءً بما ورد من تصريحات وكلمات الأعلام.

[1]) لمحات في الكتاب والحديث والمذهب،ج٣،ص٣٨٨.

تدخل السيد الخميني في تخفيف حدة الخلاف بين السيدين

قد كان موقف السيد البروجردي حاسما وشديدا تجاه التيار الفلسفي بزعامة السيد الطباطبائي ومن هنا تدخل السيد الخميني وأراد التخفيف من حدة الصراع فأمر السيد الطباطبائي بالتمارض وإيقاف درسه ، وإليكم نقل الواقعة من كتاب يحسب على أتباع التيار الفلسفي لغلام علي رجائي متحدثا عن بعض الأفراد من نفس الاتجاه حيث يقول :

قررنا أن نقوم بتحرك للدفاع عن العلامة الطباطبائي ومنع وقوع الخطر المحدق به إذ كنا نخشى أن يقول آية الله البروجردي شيئا يتذرع به المغرضون ويروجوه لتشديد الضغط على العلامة الطباطبائي، لكننا لم نكن نعرف ما الذي يمكننا القيام به ، ومن أين نبدأ التحرك ، ثم قررنا في النهاية أن نذهب للإمام ـ يقصد السيد الخميني ـ ونطلب منه حلا للمشكلة ... وبعد أن التمسوه في التدخل والدفاع عن السيد الطباطبائي قال لهم : إن السيد الطباطبائي رجل جليل ويجب حفظ حرمته مع ما هو عليه من مقام علمي رفيع لكنني سمعت أن الكثيرين يحضرون هذه الأيام دروس في الفلسفة . قلت هذا صحيح العدد كثير قال : كم هو تقريبا ؟ قلت : إنه يدرس صباحا كتاب الأسفار في مسجد السلماسي وأنا أحضر درسه هذا وعدد الذين يحضرون ما بين (٢٠٠ ـ٣٠٠) طالب . فقال : سمعت أن الشيخ حسين علي يقوم بتدريس الحكمة في مسجد

الإمام العسكري قلت : أجل إنه يدرس شرح المنظومة وأنا أحضر درسه أيضا وله حدود (١٥٠) تلميذا يدرسون الفلسفة عنده . فالتفت الإمام إلى أحد الفضلاء الحاضرين ـ وكان من معاريف تلامذة الإمام وهو اليوم من أساتذة البحث الخارج في حوزة قم وأستاذ في الفلسفة ـ وقال له : (سمعت أنك أيضا تقوم بتدريس الفلسفة ! أجاب هذه العالم الفاضل : صحيح ما سمعتم فسأله: كم عدد الذين يحضرون درسك ؟ أجاب : حدود خمسين شخصا . وفي هذه اللحظة قال الإمام بأذى : حسنٌ ، لاحظوا، متى شهدت الحوزات العلمية الشيعية هذا العدد من الدراسين للفلسفة ؟ هل أن هؤلاء جميعا يفهمون الفلسفة ؟! ثم قال : كانت الفلسفة طوال تأريخها بضاعة غير رسمية ، ويجب أن تدرس بهذه الصورة غير الرسمية خاصة في الحوزات العلمية ، لا أن تقوموا بتدريسها على هذا النطاق الواسع ولكل شخص وتسمحوا للجميع بحضور دروسها ، فهل إن جميع هؤلاء أهلاً لدراستها ؟! إن الذين يمتلكون الاستعداد لدراسة الفلسفة دون أن ينحرفوا قليلون . ثم سكت قليلا وقال : عندما كنت أقوم بتدريس الحكمة في صحن حرم السيدة المعصومة ـ سلام الله عليها ـ اخترت لذلك غرفة للدرس لا تتسع لأكثر من حدود (١٧) شخصا وقد تعمدت اختيارها لكي لا يحضر الدرس عدد أكبر من هذا العدد كما كنت أطلب من الذين يحضرون الدرس أن يكتبوا ما ألقيه ويأتوني بما كتبوا رغم أنهم كانوا من الخواص والمعروفين وكنت أقرأ ما يكتبونه فمن وجدته يفهم المباحث سمحت له بمواصلة الحضور وإلا قلت لهم : لا ينبغي لكم دراسة الفلسفة لأنكم لا تقدرون على استيعاب مباحثها الأمر الذي يؤدي إلى

إيقاعكم وإيقاعي في الزحمات ! لأنكم سوف تقولون : درسنا الفلسفة عند فلان . ثم قال : لو كنت في مكان السيد البروجردي رئيسا ومسؤولا عن الحوزة لشعرت بالمسؤولية تجاه تدريس الفلسفة بهذا الاتساع وبهذه الصورة العلنية بالكامل ، إن وجود الحوزة هو من أجل دراسة العلوم الدينية من الفقه والأصول والحديث والتفسير ، وإلى جانب ذلك يمكن أيضا لعدد محدود من الطلبة المستعدين دراسة العلوم العقلية خاصة في هذه الأيام مع حفظ الشروط اللازمة ورعاية أوضاع الحوزة ومسؤولية الفقيه المرجع عنها ، وذلك لكي تكون دراسة العلوم العقلية مؤيدة لعلومهم الدينية ولكي يتسلحوا بها في مواجهة الأعداء ، ولكن لا ينبغي أن تكون دراستها على هذا النطاق الواسع وبهذه الصورة العلنية ومع إثارة ضجيج طبع ونشر كتب الفلسفة وفي الوسط الحوزوي أيضا ! ثم قال لا يمكن الالتقاء بالسيد البروجردي خاصة من أجل هذه المطالب ، لن يسمحوا لكم بعرض آرائكم عليه بالصورة التي تريدونها . أرى أن من الصالح أن يتمارض السيد الطباطبائي بضعة شهور ويعطل تدريس الفلسفة إلى أن تهدأ الأوضاع بعض الشيء ، ثم وبعد أن يعاود التدريس يجعل درسه لعدد أقل وفي زاوية معزولة ، كما ينبغي أن يقلل الشيخ حسين علي ـ الشيخ المنتظري ـ أيضاً من تدريسه الفلسفة . أرى الصلاح في هذا الآن إلى أن تتغير الأوضاع. ثم قال لتلميذه الفاضل المذكور : وأنت أيضا إما أن تترك تدريس الفلسفة أو أن تعطل الدرس بضعة شهور إلى أن تهدأ الأوضاع . ولكن هذا التلميذ ـ وكان جريئاً بطبعه ـ رفض ذلك وقال : أما أنا فلن أتوقف عن تدريس الفلسفة وليحدث ما يحدث ! وكان هذا الرجل يدرس

الفلسفة بنفسه ويحضر أيضا دروس العلامة الطباطبائي ولذلك قد سيطر عليه بسبب كلا الأمرين ، وقد رد عليه الإمام بشيء من الانفعال : الرأي هو ما قلته لا تدع حماس الشباب يسيطر عليك ، لا يمكن مواجهة المرجع المسؤول عن الحوزة فهذا الأمر خطير ، خذ بما أقوله لك[1].

وجاء في (كتاب مواصفات المرجع الديني) بعد أن ذكر اللقاء كاملا : بعد يومين من هذا اللقاء، أبلغنا العلامة الطباطبائي الأمر ـ اقتراح السيد الخميني وهو تعطيل الدرس والسفر ـ فرفضه في البداية ، ولكن ما لبث أن أذعن وسافر ، وانتهى الأمر بهذه الكيفية)[2].

وقد انتهت حدة الخلاف بين السيدين بتعطيل السيد الطباطبائي دروسه لأن السيد البروجردي لم يرتضِ حلا آخر غيره ، وإلا تكون حينها مواجهة علنية للسيد المسؤول والحوزة بصورة عامة .

---

[1]) قبسات من سيرة السيد الخميني (في ميدان التعليم الحوزوي) ص٥٠ ـ٥٤.

[2]) مواصفات المرجع الديني،ص٥٢٨ . نقلا عن سلسلة سوي/خاطرات دوران تدريس إمام خميني،ص٩٧.

أصحاب الاتجاه الفلسفي ومحاولة إخفاء النزاع بين السيدين

إن أصحاب التيار الفلسفي حاولوا التغطية على الخلاف بين السيد البروجردي والسيد الطباطبائي ، ونفي أصل الخلاف بينهما من أجل التسويق إلى أن تيارهم الفلسفي هو تيار مقبول عند العلماء ، وذلك لإضفاء جانب القبول عليه في الأوساط الشيعية حيث إن عدم التستر على الخلاف وانكشافه للعلن لا يصب في مصلحة توجههم ـ وإن كان يوجد من اعترف منهم وأقر الخلاف كالسيد الطهراني[1] ـ ولكن من أفظع طرق التستر على الخلاف تصويره على شكل حلم كما جاء مقال السيد الآشتياني في مجلة نصوص معاصرة :

أما بخصوص درس العلامة الطباطبائي في الأسفار ومخالفة آية الله العظمى البروجردي لاستمراره فلابد أن أقول : إنه لم يحرم الدرس ولم يقطع رواتب طلبة درس الأسفار، ولا أنه طلب استبدال الأسفار بالشفاء ، فأنا شخصيا كنت من عشاق درس الأسفار، ولطالما جلست تحت منبر البروجردي، ولطالما كنت آخذ بساعده كي أعينه على ارتقاء منبره ، وينقل عن علم الهدى المشهدي ـ الأخ الأكبر ـ أن البروجردي أصدر أمرا بإيقاف درس الأسفار ، وكنت قد التقيت علم الهدى في مدينة قم وتحديدا قرب محلة كذرخان ، فسألته عن أمر ذلك ، فارتبك كثيرا وقال : إني رأيت في المنام أن البروجردي ينهى

[1]) تقدم كلامه في عنوان : (السيد الطباطبائي وإرساء الفلسفة في حوزة قم) .

عن تدريس الأسفار في مدينة قم ، ولم أنقل سوى رؤياي ، وكان العلامة الطباطبائي قد تأثر لذلك ، واحتمل صدق كلام الشخص المذكور، فبعث بأحد طلبته عند البروجردي سائلا عن التكليف الشرعي في هذا الموضوع ، فرد البروجردي بأنه إذا كان الميرزا محمد حسين يرى تكليفه في تدريس الأسفار فلا مانع من ذلك ، فقيل : إنه يطلب رأي سماحتكم في ذلك ، فقال : ليعمل بما يملي عليه واجبه الشرعي. فلم يقطع راتب أحد ولم يمنع من حضور الدرس إطلاقا . ولم يكن مناسبا آنذاك أن يمنع عالم جليل ومرجع ديني تدريس الأسفار . منذ ذلك الحين ، بدأت الرسائل من مشهد تنهال على السيد البروجردي والسيد محمود الشاهرودي طالبةً منع تدريس الفلسفة ؛ لأنها تعرض بيضة الإسلام في مدينة قم إلى الخطر ، حتى أنه يظهر أن آية الله الشاهرودي بعث برسالة في ذلك إلى البروجردي، إلا أنها ـ ولحسن الحظ ـ لم تترك أثرا يذكر، وكان لتواجدي هناك دور فعال في إجهاض هذه الأهواء ، ولا يزال العديد من طلبة الأسفار حاضرين اليوم ، ومنهم كاتب هذه الصفحات، فلم يمنعني أحدٌ من حضور درس الأسفار، ولا أن أحدا قطع رواتبي الشهرية ، بل ولم يصر العلامة الطباطبائي على تدريس الأسفار بدلا عن الشفاء، إنما ترك تدريسه ؛ لتراجع رغبته عن ذلك ؛ نظراً لأهمية التعجيل في كتابة تفسير الميزان[1].

[1]) نصوص معاصرة/العدد الثامن،ص٢٠٩.

قد تقدم سابقا[1] عن كتاب القبسات بيان كيفية تدخل السيد الخميني في النزاع بين السيد البروجردي والسيد الطباطبائي والذي اقترح فيه أن يتمارض السيد الطباطبائي ويعطل دروسه حيث جاء فيه : (أرى أن من الصالح أن يتمارض السيد الطباطبائي بضعة شهور ويعطل تدريس الفلسفة إلى أن تهدأ الأوضاع بعض الشيء ، ثم وبعد أن يعاود التدريس يجعل درسه لعدد أقل وفي زاوية معزولة ، كما ينبغي أن يقلل الشيخ حسين علي ـ الشيخ المنتظري ـ أيضا من تدريسه الفلسفة . أرى الصلاح في هذا الآن إلى أن تتغير الأوضاع. ثم قال لتلميذه الفاضل المذكور : وأنت أيضا إما أن تترك تدريس الفلسفة أو أن تعطل الدرس بضعة شهور إلى أن تهدأ الأوضاع)[2].

وبعد يومين من هذا اللقاء، أبلغوا العلامة الطباطبائي الأمر ـ اقتراح السيد الخميني وهو تعطيل الدرس والسفر ـ فرفض في البداية ، ولكن ما لبث أن (أذعن و) سافر ، وانتهى الأمر بهذه الكيفية)[3].

وكما تقدم أيضا أن السيد الطهراني أقر الخلاف بينهما وقطع راتب الطلبة الذين حضروا درسه ، وهذا نص ما نقله السيد الطهراني عن السيد الطباطبائي : عندما جئت من تبريز إلى قم وبدأت تدريس (الأسفار) وتحلق

---

[1]) في عنوان : (تدخل السيد الخميني في تخفيف حدة الخلاف بين السيدين) .

[2]) قبسات من سيرة السيد الخميني (في ميدان التعليم الحوزوي) ص٥٣.

[3]) مواصفات المرجع الديني،ص٥٢٨نقلا عن سلسلة سوي/خاطرات دوران تدريس إمام خميني،ص٩٧.

الطلاب حولي حتى وصل عددهم إلى أكثر من مائة شخص. أمر آية الله البروجردي رحمة الله عليه أولا : بقطع راتب كل طالب يحضر هذا الدرس[1].

فهل يمكن عد كل هذه المواقف على أثر الخلاف والتي وردت بكتب متعددة حلما فيما يراه النائم ! ومن ثم تصنيفه إلى الرؤى الصادقة التي تستوجب تعبيرا أم أضغاث أحلام تنتهي حكايتها باستيقاظ النائم ؟!

ومن هنا يتبين وعي وأمانة الباحثين الذين يكتبون في (مجلة نصوص معاصرة) ومسؤولية المشرفين عليها كيف أنهم يمررون الحقائق بأحلام النائم !

والخلاف بين السيد البروجردي والسيد الطباطبائي من أجل التوجه الفلسفي واضح للعيان ، وقد نجم عنه عدة أمور من أبرزها أمران :

الأمر الأول : إن السيد البروجردي قطع راتب الطلبة الذين يحضرون درس السيد الطباطبائي مما اضطره إلى تعطيل الدرس ، وتعطيل الدرس هذا لم يكن سببه الرئيس قطع الراتب وإنما بما يمثل (تعطيل الدرس) امتعاضا ورفضا من الحوزة القمية بزعامة السيد البروجردي .

الأمر الثاني : منع السيد البروجردي إدراج تعليق السيد الطباطبائي على (بحار الأنوار) وقال فيه : (لو استدام في كتابة تعليقاته فلا محيص من أن أتكلم فيه بكلمة صارمة) إذ لما شرعت المكتبة الإسلامية في تجديد طبع كتاب (بحار

---

[1]) الشمس الساطعة،ص١٠١.

الأنوار) وطبع منه بعض المجلدات بتعليقات فلسفية من العلامة الطباطبائي والتي تحامل فيها على العلامة المجلسي ونسبه إلى قصور الفهم في المطالب البرهانية وأنه كان الأولى له أن لا يتدخل فيما لا باع له من المسائل العقلية ، واجه السيد البروجردي تلك الظاهرة بشدة وسخط على العلامة الطباطبائي وقال : إنه لو استدام في كتابة تعليقاته فلا محيص من أن أتكلم فيه بكلمة صارمة) كما اعترض على ذلك غير واحد من الأعلام والمراجع في النجف الأشرف وطلبوا من السيد البروجردي أن يمنع ذلك. وأرسل السيد البروجردي إلى مدير المكتبة الإسلامية وحذره من أن يدرج تلك التعليقات ، وفعلا امتنع من درج تعليقات العلامة الطباطبائي بعد أن أدرجها إلى المجلد السادس من تلك الطبعة)[1].

[1]) القصة مشهورة ومعروفة وقد ذكرها غير واحد من الشاهدين للحدث ، وقد احتمل الشيخ علي الدواني الذي كان من شهود العيان أن من جملة مراجع النجف الذين اعترضوا على هذه التعليقات السيد محمود الشاهرودي ، كما صرّح بأن منهم أيضا العلامة الأميني ، بل ذكر الدواني أن العلامة الطباطبائي اغتاظ من هذا الموقف لعلماء النجف لا سيما الشيخ الأميني...وراجع : (علامه مجلسي اصولي يا اخباري علي الملكى الميانجي:ص٨٧و٨٨) فقد ذكر ـ أي علي الملكي الميانجي ـ أنه سمع ذلك عن كثير من الأعلام ومن المقربين للسيد البروجردي وذكر أسمائهم ، كما ذكر أنه استفسر في ذلك عن مدير المكتبة الإسلامية فقال : دعاني السيد البروجردي في بيته وكان مستاء جدا عن درج التعليقات وقال لي : لا تدرج تلك التعليقات بعد ذلك في البحار.جدلية الدين والفلسفة،ج٢،ص٥١٥.

تدريس فصوص الحكم بعنوان التفسير !

إن أصحاب المسلك الفلسفي يُدرّسون (فصوص الحكم) تحت عنوان تفسير القرآن ؛ يقول الشيخ حسن زاده آملي : عندما يُسأل بعض العلماء الكبار الذين يُدرّسون الفصوص القيصرية (شرح القيصري على فصوص الحكم لابن عربي) في شهر رمضان المبارك ، ماذا تفعلون في شهر رمضان فيجيبون مشغولون بتفسير القرآن وهذا صحيح لأن الكتب العرفانية هي تفسير ذاتي للقرآن المجيد ... وبعد ذلك نصل للكتب العرفانية التي تكون تفاسير أنفسية (ذاتية) للقرآن مثل كتاب الفتوحات المكية ومصباح الأنس وهكذا الفصوص وتمهيد القواعد.وبتعبير أحد أساتذتنا وهو آية الله رفيعي القزويني أنه إذا قرأ إنسان عالم هذه الكتب لرأى أنها تفسير ذاتي للقرآن[1].

ويذكر غلام علي رجائي متحدثا عن تعطيل درس السيد الخميني في تفسير القرآن : هناك قضية تعطيل درس تفسير القرآن بعد الثورة حيث لم يعقد الإمام إلا جلسات قليلة ثم ألغاه بسبب اعتراضات بعض العلماء والمراجع وكانت هناك ضغوط من مشهد على أحد الشخصيات البارزة كي يأتي إليه[2].

---

[1]) في سماء المعرفة،ص٥٠.

[2]) قبسات من سيرة السيد الخميني،(القيادة) ص٢٠٧.

إن العلماء لم يرتضوا (فصوص الحكم) ولا يرونه تفسيرا للقرآن الكريم ، بل يعدونه مخالفا له وماسخا لآياته ـ كما تمت الإشارة لذلك[1] ـ ومن هنا كان لهم موقف الضد من تلك الدروس حيث تكليفهم الشرعي ووظيفتهم تحتم عليهم موقفا مناهضا لها .

ولكن بعض الشباب والمؤمنين ممن لا يعرفون حقيقة الأمر يحسبون أن العلماء وقفوا ضد درس التفسير ، ولم يعلموا حقيقة الأمر وما خُبأ تحت درس التفسير؟! الذي ظاهره قرآن وباطنه فصوص التصوف . ومن هنا لك أن تعرف حجم المؤامرة وأي فرية افتراها أصحاب الاتجاه الفلسفي وأي ظلم وقع على العلماء حينما اتهموهم بالوقوف ضد درس التفسير ولم يكشفوا عن حقيقة الأمر تمويها على فصوص النقم تحت مسمى التفسير .

فإنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

[1]) في عنوان : (السيد السيستاني) عند ذكر رأيه حفظه الله في الفلسفة والعرفان الصوفي .

الفلسفة لا تعني الحكمة

الفلسفة كلمة يونانية وتعني : (حب الحكمة) والفلاسفة يطلق عليهم لقب : (الحكماء) وأيضا لقب : (الحكماء الإلهين) . وبكل تأكيد فلسفة اليونان ـ التي هي عبارة عن مصطلحات وأفكار تمثل رؤى أصحابها ـ ليست هي الحكمة المشار إليها في القرآن الكريم والسنة الشريفة إذ روي عن رسول الله ﷺ : (رأس الحكمة مخافة الله عز وجل)[1].

وعنه ﷺ : (أشرف الحديث ذكر الله ورأس الحكمة طاعته)[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه)[3].

(أول الحكمة ترك اللذات وآخرها مقت الفانيات)[4].

(حد الحكمة الإعراض عن دار الفناء والتوله بدار البقاء)[5].

---

[1]) من لا يحضره الفقيه،ج٤،ص٣٧٦.

[2]) أمالي الصدوق،ص٥٧٦.

[3]) أصول الكافي،ج١،ص٥١.

[4]) غرر الحكم ودرر الكلم،ج١،ص٢٠٤.

[5]) غرر الحكم،ج١،ص٣٥٠.

(حفظ الدين ثمرة المعرفة ورأس الحكمة)[1].

(رأس الحكمة تجنب الخدع)[2].

(رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق)[3].

(كلما قويت الحكمة ضعفت الشهوة)[4].

وعن سليمان بن خالد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿**وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾[5] فقال : إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين ، فمن فقه منكم فهو حكيم ، وما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه[6].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ﴿**وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾ فقال طاعة الله ومعرفة الإمام[7].

---

[1]) غرر الحكم ودرر الكلم،ج١،ص٣٥٠.

[2]) غرر الحكم ودرر الكلم،ج١،ص٣٧٧.

[3]) غرر الحكم ودرر الكلم،ج١،ص٣٧٨.

[4]) غرر الحكم ودرر الكلم،ج٢،ص١١١.

[5]) سورة البقرة : ٢٦٩ .

[6]) تفسير العياشي،ج١،ص١٥٨.

[7]) المحاسن،ج١،ص١٤٨.أصول الكافي،ج١،ص١٨٥.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول ﴿**وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾[1] قال : معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار[2].

وعن سليمان بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : ﴿**وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾[3] فقال إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين فمن فقه منكم فهو حكيم ، وما من أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه[4].

وعنه عليه السلام : (من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه)[5].

ولا تنافي في الأحاديث إذ تارة يُذكر مصداق الحكمة المناسب في المقام بلحاظ معين ، أو بالإضافة والنسبة لما قبله ، أو من حيث النظر للحكمة بما هي حقيقة،أو من حيث أسبابها ونتائجها ولوازمها ؛ فمن مصاديق الحكمة معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة الإمام أو لنقل من حيث هي معرفة الله ومعرفة الإمام، ويمكن التعبير من حيث العموم معرفة الله ومن حيث الخصوص معرفة الإمام ، وإذا ما نظرنا للحكمة من حيث أسبابها فهي طاعة الله عز وجل وطاعة الإمام عليه السلام ، ويمكن أن تكون طاعة الله والإمام باعتبار معين من ثمار

---

[1]) سورة البقرة : ٢٦٩ .
[2]) أصول الكافي،ج٢،ص٢٨٤.
[3]) سورة البقرة : ٢٦٩ .
[4]) تفسير العياشي،ج١،ص١٥٨.
[5]) أصول الكافي،ج٢،ص١٢٨.

الحكمة ورأسها إذا ما قلنا المعرفة هي الحكمة ، كما روي أول ما خلق الله نور النبيﷺ . وورد أيضا : روح النبي ﷺ . وروي : أول ما خلق الله العرش . وروي : القلم . وروي العقل . وروي : الماء . وروي : الهواء . وروي : المشيئة[1] .

---

[1]) ثلة من الروايات الواردة في ذلك :

١ ـ نور النبي : روي عن جابر بن عبد الله قال : قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو ؟ فقال : (نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ثم خلق منه كل خير).بحار الأنوار،ج١٥،ص٢٤.

٢ ـ روح النبي : عن رسول الله ﷺ : (أول ما خلق الله روحي) .مرآة العقول،ج٢٥،ص٢٢٤.

٣ ـ العرش : روى الضحاك عن ابن عباس : (أول ما خلق الله العرش).بحار الأنوار،ج٥٤،ص٣١٤.

٤- القلم : عن الإمام الصادق عليه السلام : (أول ما خلق الله القلم) . تفسير القمي،ج٢،ص١٩٨.

٥ ـ العقل : عن رسول الله ﷺ : (أول ما خلق الله العقل).بحار الأنوار،ج١،ص٩٩.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (إن الله جل ثناؤه خلق العقل وهو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرش من نوره).الخصال،ص٦٠٣.

٦- الماء : عن جابر الجعفي ، قال : جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام ، فقال : جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحدا يفسرها لي ، وقد سألت ثلاثة أصناف من الناس ، فقال كل صنف غير ما قال الآخر ، فقال أبو جعفر عليه السلام : وما ذلك ؟ فقال : أسألك،ما أول ما خلق الله عز وجل من خلقه ؟ فإن بعض من سألته قال القدرة ، وقال

بعضهم : العلم ، وقال بعضهم : الروح ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ما قالوا شيئا ، أخبرك أن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره ، وكان عزيزا ولا عز لأنه كان قبل عزه وذلك قوله : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وكان خالقا ولا مخلوق فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه ، وهو الماء فقال السائل : فالشيء خلقه من شيء أو من لا شيء؟ فقال : خلق الشيء لا من شيء كان قبله ، ولو خلق الشيء من شيء إذن لم يكن له انقطاع أبدا ، ولم يزل الله إذن ومعه شيء ولكن كان الله ولا شيء معه ، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء.توحيد الصدوق،ص٦٧

٧- الهواء : جاء في تفسير القمي عند قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء﴾ : وذلك في مبتدأ الخلق ، أن الرب تبارك وتعالى خلق الهواء ثم خلق القلم فأمره أن يجري فقال يا رب بما أجري ؟ فقال بما هو كائن ثم خلق الظلمة من الهواء وخلق النور من الهواء وخلق الماء من الهواء وخلق العرش من الهواء وخلق العقيم من الهواء وهو الريح الشديد وخلق النار من الهواء وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهواء.تفسير القمي،ج١،ص٣٢١.

٨ ــ المشيئة : عن الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة).أصول الكافي،ج١،ص١٥٨.

وروى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيئة بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشيئة) ثم عقبه ببيان قائلا : هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار يحتمل وجوها من التأويل : الأول : أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء كالتقدير في اللوح مثلا والإثبات فيه ، فإن اللوح وما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر في لوح سوى ذلك اللوح ، وإنما وجد سائر الأشياء بما قدر في ذلك اللوح ، وربما يلوح هذا المعني من بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب العدل ، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير . الثاني : أن يكون

وأيضا كلمات الأعلام تبعا لحديث أهل البيت عليهم السلام فصَلوا بين الحكمة والفلسفة وبينوا أن المراد من الحكمة في القرآن الكريم والحديث الشريف غير الفلسفة :

السيد محمد مهدي بحر العلوم :

يقول السيد رحمه الله (ت:١٢١٢هـ) : وبين من سمى جهالة اكتسبها من رؤساء الكفر والضلالة المنكرين للنبوة والرسالة حكمة وعلما ، واتخذ من سبقه إليها أئمة وقادة ، يقتفى آثارهم ويتبع منارهم ، يدخل فيما دخلوا وإن خالف نص الكتاب ، ويخرج عما خرجوا وإن كان ذلك هو الحق الصواب ، فهذا من أعداء الدين ، والسعاة في هدم شريعة سيد المرسلين ، وهو مع ذلك يزعم أنه بمكان مكين ، ولا يدري أنه لا يزن عند الله جناح بعوض مهين[1].

خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على تعلق إرادة أخرى بها فيكون نسبة الخلق إليها مجازا عن تحققها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة أخرى ، أو أنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل وحكمته الشاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلا على الوجه الأصلح والأكمل فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلا بإرادته المقتضية لذلك .بحار الأنوار،ج٤،ص١٤٥.

وبعد ذلك ذكر ثلاثة وجوها لبعض العلماء أعرضت عن ذكرها توخيا للاختصار .

[1]) خاتمة مستدرك الوسائل،ج٢،ص٦١.

السيد شهاب الدين المرعشي النجفي :

يقول السيد ﵀ (ت:١٤١١هـ) : ليس المراد من الحكمة في الآية الشريفة والخبر المومي إليه الفلسفة التي هي تراث اليونانيين ولا الغربية التي أهدتها إلينا الأورباويون ، بل المراد العلم الذي به حياة الأرواح وشفاءها من الأسقام ، وهل هي إلا العلوم الدينية الإسلامية والمعتقدات الحقة وأسرار الكون بشرط اتخاذها عن الراسخين في العلم الذين من تمسك بذيلهم فقد نجى ، كيف ؟ وعلومهم مستفادة من المنابع الإلهية ، واستنارت من أنوار الأنبياء والمرسلين والسفراء المقربين ، فهي التي لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار . ولله در العلامة المحقق خادم علوم الأئمة الهداة المهديين المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي ثم القمي (قده) حيث أبان الحق في كتابه الموسوم بحكمة العارفين وأثبت أن الحكمة الحقة هي المتخذة عن آل الرسول ﷺ لا ما نسجته النساجون والحيكة التي تتبدل بتلاحق الأفكار والأزمنة[1].

ويقول السيد المرعشي ﵀ أيضا : إن علم الحكمة عرف بتعاريف ، فمنها أنه العلم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية و منها أنه علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية ومنها التشبه بالإله علما وعملا وغيرها مما يقف عليها الباحث في كتب الفلسفة ، وقسموا الحكمة على أقسام باعتبارات شتى

[1]) شرح إحقاق الحق،ج١،ص٩٧.

من النظرية والعملية وغيرها ثم اعلم أن للقوم كلمات في حق هذا العلم وآداب تعلمه وتعليمه والتحرير فيه قال قطب الدين الأشكورى[1] في محبوب القلوب ما لفظه :

من أراد صيد طيور مطالب الحكمة المتعالية الحقة بلا مصاحبة كلاب الشكوك والأوهام فعليه بتربية صقور قواه العقلانية على آداب شريعة خير الأنام والتخلق بأخلاق أصحاب الوحي والإلهام عليهم السلام لتحصل له ملكة الطيران في فضاء مصائد كلمات الأوائل من الأعلام حتى اصطادوا طيور مأكولات اللحوم من المعارف الحقة اللذيذة ليغذى بها نفسه المجردة بعد المفارقة من دار الكربة و الآلام ، والأمثلة كمثل آخذ الصيود من أفواه الكلاب للإدام ، فهو كأكل الميتة أو المستظل بظل الذباب في اليوم الصائف ، فهذا كالمستيقظ المحترق أطرافه بنار الخيبة ، إلى آخر ما قال وأطرى وقال قبيله ما لفظه :

وفي كلامه عليه السلام (يعنى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام) : (إن كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء ، وإذا كان خطاء كان داء)[2] وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم وشدة قبولهم لما يقولونه ، فإن كان حقا كان دواء من الجهل ، وإن كان باطلا وجب للخلق علاج داء الجهل هذا ما اقتضته الصروف والظروف بمقالة أوردناها حسب ميول أبناء العصر وأما الحكمة الحقة هي التي أخذت من معادن العلم وخزنة الوحي الذين من تمسك بذيلهم فقد نجى اللهم اجعلنا من

---

[1]) من أعلام القرن الحادي عشر.

[2]) نهج البلاغة،ج٤،ص٦٣.

التابعين لهم ومن المعرضين عن كل وليجة دونهم وكل مطاع سواهم وإياك إياك أيها القاري الكريم بما أبرزتها الفلاسفة مزبرجة ، فلا تغتر بما أودعوها في زبرهم ولا تحسن الظن بكلماتهم حتى تنجو من المهالك عصمنا اللّه وإياك[1].

السيد عبد الأعلى السبزواري :

يقول السيد ﷺ (ت:١٤١٤هـ) غلب استعمال الحكمة على الفلسفة المتوارثة عن اليونان وقد اصطلح على قدماء الفلاسفة بالحكماء وقسموهم إلى الإشراقيين والمشائيين والرواقيين كما أنهم قسموا الحكمة الاصطلاحية (الفلسفة) إلى علمية وعملية والثانية عبارة عن علم الفقه والأخلاق وقسموا الفقه إلى العبادات والمعاملات (أي العقود والإيقاعات) والأحكام والسياسات وأن بمعرفتها والعمل بها يصل الإنسان إلى مقام الإنسانية والخروج عن حدود الحيوانية البهيمية وبذلك تتم المدينة الفاضلة التي خلق الإنسان لأجل ورودها والاستكمال فيها . وقسّمت الحكمة العلمية إلى قسمين:الإلهيات والطبيعيات ، ولكل واحد منهما فصول وأبواب ، وقد جعل كل فصل من فصول الطبيعيات في العصر الحديث علما مستقلا برأسه . كما أن من فصول الفلسفة الإلهية البحث عن كلام اللّه تعالى من حيث قدمه وحدوثه وكثر النقض والإبرام فيه حتى جعل ذلك علما مستقلا له أبواب كثيرة وفصول طويلة . ولكن كل من نظر في الحكمة الاصطلاحية يرى أنها كغبار على اللجين ولو فرض فيها شيء

---

[1]) شرح إحقاق الحق،ج١،ص٤٨٤.

صحيح فهو مستلهم من الوحي المبين أو السنة المقدسة وغيره ليس إلا من الأوهام والتخيلات والمغالطات وكل واحد منها حجاب عن الوصول إلى الواقع ولذلك كثر الخلاف وقل الوصول إلى المراد ، وقد ذكرنا أن الحكمة بمعزل عن البطلان والتكذيب ومنزهة عن جميع ذلك ، وإذا كانت الحكمة ما ذكروه فليست هي إلا العلم بالمصطلحات فقط فهي كعلم اللغة مثلا وهي صنعة وفن لا تزيد على سائر الصنايع والفنون بل ربما يكون بعضها أفضل منها كما هو المحسوس[1].

ويقول أيضا :

قال بعض الأعاظم من الحكماء المتألهين : إن غاية ما للإنسان من الكمال هو الاتصال بالعقل الفعال المسيطر على الملك والملكوت تسيطر الروح على الجسد.وهذا صحيح إذا كان المراد بذلك روح القرآن والشريعة الأحمدية المنبعثة عن الحقيقة المطلقة الأحدية لأن الإحاطة بالواقعيات صعبة جدا إن لم تكن ممتنعة مهما بلغت فطنة العقول في الحدة والذكاء والدقة لا سيما بالنسبة إلى المعارف وأسرار القضاء والقدر التي لا يمكن أن يحيط بها غير علام الغيوب ، وقد ورد النهي عن الخوض في جملة منها وأنه لا يزيد الخوض فيها إلا تحيرا ، فلا مناص للحكيم إلا الوقوف على ظواهر الكتاب والسنة المقدسة وهي تحتوي على معادن العلم والحكمة والمعارف وما يكفي لتكميل النفوس الناقصة وإيصالها إلى أوج الكمال والمعرفة وهي الحكمة الحقة التي تفيد لجميع

---

[1]) مواهب الرحمن،ج٤،ص٣٧٤.

النشآت قال تعالى : ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1] ، أي الكتاب المشروح بالسنة أو السنة الشارحة للكتاب ، وقال تعالى : ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[2] ، وهو مصدر كل علم ومعرفة هذا بالنسبة إلى الحكمة العلمية. وأما الحكمة العملية فلا بد وأن تكون مطابقة للشريعة المقدسة الحتمية وإلا كانت لغوا محضا[3].

الشيخ علي النمازي :

يقول الشيخ ﷺ (ت:١٤٠٢هـ) : المراد بها الحكمة التي آتاها الله تعالى أنبياءه ورسله وأولياءه لا الأباطيل التي لفقتها الفلاسفة بأهوائهم وآرائهم ومقائسهم، فإن أباطيلهم التي سموها الحكمة لا تثمر الخوف من الله ، بل تثمر الأمن من العذاب لأنها تثمر التطور والجبر والتوحيد الأفعالي ، بخلاف الحكمة الإلهية فإنها تورث الخوف وعليها ينطبق الرواية المشهورة : رأس الحكمة مخافة الله تعالى[4].

إن من الأمور البينة هو أن الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية غير الفلسفة.وهذا هو الذي عليه كلمات الأعلام ـ كما تقدم ذكر ثلة منها ـ ولا مجال لتوهم أن الفلسفة هي المعنى المراد عند الثقلين ، إلا عند بعض أصحاب

---

[1]) سورة الأنعام : ٣٨ .
[2]) سورة الأنعام : ٥٩ .
[3]) مواهب الرحمن،ج٤،ص٣٧٣.
[4]) مستدرك سفينة البحار،ج٢،ص٣٥٠.

التوجه الفلسفي ممن يمثل تراث اليونان دينا يدين الله به ! قد حاول تكلف التطابق بين المعنيين ولم يدل تكلف كهذا إلا على تعصب يزري بعقل صاحبه.

ويرى أبو حيان الأندلسي أن الفلاسفة أولى بهم يُسمّوا بالسفهاء الجهلاء بدلا من الحكماء حيث يقول في معرض حديثه عن الفخر الرازي : وكثيرا ما ينقل هذا الرجل عن حكماء الإسلام في التفسير ، وينقل كلامهم تارة منسوبا إليهم، وتارة مستندا به ويعني : بحكماء الفلاسفة الذين خلقوا في مدة الملة الإسلامية، وهم أحق بأن يسمّوا سفهاء جهلاء من أن يسموا حكماء ، إذ هم أعداء الأنبياء والمحرفون للشريعة الإسلامية ، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى[1].

[1]) البحر المحيط،ج٦،ص٤٦.

المدارس الفلسفية الثلاث

إن الفلسفة المشائية هي امتداد لفلسفة أرسطو (ت:٣٢٢قبل الميلاد) ، ولك أن تصفها بأنها متمثلة بمدرسة أرسطو ، كانت تعتمد على الاستدلال والبرهان في معرفة حقائق الأشياء ولم تجعل الكشف والشهود طريقا في المعرفة ، ولكن هذا لم يكن اتجاها سائدا في هذه المدرسة ، حيث كان ابن سينا يعتمد الكشف والشهود أيضا ، كما يدلل عليه الفصل الذي عقده في الإشارات والتنبيهات تحت عنوان (مقامات العارفين) . من أقطابها أبو إسحاق الكندي (ت:٢٦٦هـ) الذي حاول تأليف كتاب في تناقض القرآن لولا تنبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما روى ابن شهر آشوب في المناقب[1] ، وأبو نصر الفارابي (ت:٣٣٩هـ) الملقب بالمعلم الثاني بعد المعلم الأول أرسطو ، وابن سينا (ت:٤٢٩هـ) الملقب بالشيخ الرئيس أي رئيس المدرسة المشائية كما يرى بعضهم وابن رشد (ت:٥٩٥هـ) .

والفلسفة الإشراقية أنشأها أبو الفتوح يحيى بن حبش المعروف بشهاب الدين السهروردي (ت:٥٨٧ هـ) ـ وهو غير شهاب الدين عمر السهروردي صاحب (عوارف المعارف) وغير أبي النجيب السهروردي ـ ويرى بعضهم أنها امتداد لفلسفة أفلاطون ، وهذه الفلسفة تعتمد طريق الكشف والشهود في معرفة

[1]) انظر عنوان : (نهاية مطاف التوفيق بين الفلسفة والدين) .

حقائق الوجود بشكل أساس ورئيسي يقول السهروردي : إن أردت أن تكون عالما إلهيا من دون أن تتعب وتداوم على الأمور المقربة إلى القدس فقد حدثت نفسك بالممتنع أو شبيه الممتنع ، فإن طلبت واجتهدت لا تلبث زمانا طويلا إلا ويأتيك البارقة النورانية وسترتقي إلى السكينة الإلهية الثابتة[1].

ولكن هذه الفلسفة تثبت مدعياتها وحقائقها للآخرين من خلال الاستدلال والبرهان ، فهي تعتمد الكشف والشهود في إدراك الحقائق والاستدلال عليها وإثباتها للآخرين بالنظر والبرهان كما يقول أصحابها .

وأصل تسمية فلسفة الإشراق تعود إلى شجرة بوذا حيث يروى في الفلسفات الهندية أن بوذا جلس تحت ظل شجرة متأملا وفقا للطريقة التي تعلمها ، وساعي إلى الوقوف على الحقيقة وبلوغ درجة الإشراق ، وأشهد الأرض على استحقاقه لهذه الدرجة (ومن ثم يصوره البوذيون واضعا كفه اليمنى على الأرض) واكتشف أن أصل المعاناة يعود إلى الرغبة والجهل والعارف بالأسرار هو من يدرك ذلك ومنذ تلك الفترة أصبحت الشجرة التي جلس في ظلها مقدسة عند البوذيين وسُميت شجرة الإشراق ، كما أصبح يُعرف ببوذا والمكان الذي حدث فيه الإشراق يُسمى بوذا جايا[2].

وأما فلسفة أو مدرسة الحكمة المتعالية التي أسسها ملا صدرا فهي تعتمد الشهود والبرهان معا في معرفة الوجود ، إذ اعتمدت طريقا المعرفة في كلا

---

[1]) المشارع والمطارحات،ص٣٧٨.

[2]) انظر الموسوعة العربية العالمية،ج٥،ص٢٣١.

المدرستين السابقين ودمجت بينهما ، ومن هنا يرى بعضهم أن ملا صدرا لم يكن مبتكرا وإنما موفقا بين الفلسفتين كما كان موفقا بين التصوف والدين ، وإن كان لا يخفى دوره في ذلك التوفيق من تأسيس مدرسة مستقلة بكيانها بعد ما ضمت كلا الطريقين في المعرفة ، من البرهان في المشاء والشهود في الإشراق، كما أن أصالة الوجود واعتباريته لم تكن بشكل واضح لها استقلالها ومعالمها إلا في فلسفة الحكمة المتعالية لصدرا القائلة بأصالة الوجود ، وأما الفلسفة المشائية والإشراقية لم تكن فيهما هذه المسألة بشكل صريح ، وإن كان يستظهر بعض المتتبعين من المشاء القول بأصالة الوجود ، ومن الإشراق القول بأصالة الماهية.

والاختلاف في أصالة الوجود والماهية هو اختلاف ذهني أي مفهوما ولا وجود له في الخارج ، فإذا قلنا الأصالة للوجود تكون صورة زيد (مشخصاته الخارجية) في الخارج تبعا لوجوده الذي يشترك مع غيره في الوجود ، وحينها تكون صورته اعتبارية ، وإذا قلنا الأصالة للماهية يكون وجود زيد تبعا لصورته ، وصورته منشأ حقيقته ووجوده اعتباري .

وعلى هذا يختلف تعريف الفلسفة فمن يرى الأصالة للوجود يقول هي بحث ـ حقائق ـ الوجود ومن يرى أصالة الماهية يقول بحث الموجود.

وهذا التعريف هو لذوي الاتجاه الفلسفي ، أما الاتجاه الآخر المعارض لها ، أو من لا يرى لها أهمية بصورة عامة ، يراها البحث في أوهام الوجود على مبنى أصالة الوجود ، والبحث في أوهام الموجود على مبنى أصالة الماهية ؛ يقول

السيد الخوئي ﵀ : نرى كتب الفلاسفة الأقدمين ومن تأخر عنهم من أهل التحقيق والنظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممن تأخر حتى أن بعض ما اعتقده السابقون برهانا يقينيا أصبح بعد نقده وهما من الأوهام ، وخيالا من الأخيلة[1].

ويتساءل السيد الخوئي ﵀ : كان المسلمون بأسرهم على ذلك ولم يكن لهم أي اختلاف فيه حتى دخلت الفلسفة اليونانية أوساط المسلمين ، وحتى شعبتهم بدخولها فرقا تكفر كل طائفة أختها ، وحتى استحال النزاع والجدال إلى المشاجرة والقتال فكم هتكت في الإسلام من أعراض محترمة ، وكم اختلست من نفوس بريئة ، مع أن القاتل والمقتول يعترفان بالتوحيد ، ويقران بالرسالة والمعاد.... ولست أدري وليتني كنت أدري بماذا يعتذر من ألقى الخلاف بين المسلمين وبم يجيب ربه يوم يلاقيه ، فيسأله عما ارتكب ؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون[2].

---

[1]) البيان في تفسير القرآن،ص٦٧.

[2]) البيان في تفسير القرآن،ص٤٠٦.

هل مدح الإمام الصادق أرسطو ؟!

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : (وقد كان أرسطاطاليس رد عليهم فقال إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها ، وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية شكل واحد جريا دائما متتابعا)[1].

إن أصحاب التوجه الفلسفي جعلوا ذكر الإمام الصادق عليه السلام لأرسطو مدحا له، وعندما ترى كلماتهم في اجترار قول الإمام وتصيِّرُها في مدح أرسطو ترى التكلف المقيت ونحوا من الاستدلال يترفع عنه أصاغر المبتدئين!

إن الإمام في معرض كلامه عن أصحاب الطبائع الذين زعموا أن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى واستشهدوا لها بالحكمة (أي الفلسفة) حيث يقول عليه السلام : فأما (أصحاب الطبائع) فقالوا : إن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا عما فيه تمام الشيء في طبيعته ، وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك ، فقيل لهم : فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة ، والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها ، وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب ؟ فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال ، فقد أقروا بما أنكروا ، لأن هذه في صفات الخالق . وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة ، فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم ، وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء،

---

[1]) توحيد المفضل،ص١٢١ .

وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كانسان يولد ناقصا أو زائدا أصبعا ، أو يكون المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما أتفق أن يكون[1].

ومن ثم ذكر كلامه عليه السلام عن أرسطو الذي فيه رد على أصحاب الطبائع من الفلاسفة ، حيث يكون ردا على زعم بعض الفلاسفة من رموز صنفهم الذين يختلفون معهم وإلزاما بأقوالهم وبيانا لتهافت آراؤهم ، ولم يكن فيه مدحٌ لأرسطو.

وإذا كانت الفلسفة ممن ينتصر بها للدين لم يَعرض الأئمة عليهم السلام عنها ونشروها بين أصحابهم تدريسا لها وحثا على معرفتها ، بل إنهم عليهم السلام لم يرتضوها منهجها أو أن يكونوا من أصحابها ، وإذا أردنا النظر في الأحاديث وتبين هذا الجانب نرى أنه روي أن بعض اليهود اجتاز به أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتكلم مع جماعة فقال له : يا ابن أبي طالب لو أنك تعلّمت الفلسفة لكان يكون لك شأنا من الشأن . فقال عليه السلام : وما تعنى بالفلسفة ، أليس من اعتدلت طباعه صفا مزاجه ومن صفا مزاجه قوى أثر النفس فيه ومن قوى أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية . ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما

---

[1]) توحيد المفضل،ص١٢٠.

هو حيوان ، فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له عن هذه الغاية مغير. فقال اليهودي : اللّه أكبر ، يا ابن أبي طالب لقد نطقت بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (تبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة)[2].

ولم يرتضوا هذا الخبر في ذم الفلسفة وقالوا هو في ذم مدعي الفلسفة مع أن الانتحال كما يأتي للإدعاء يأتي في الاتخاذ والتبني والانتساب للشيء بمعنى يكون الذم لمن اتخذ وتبنى وانتسب للفلسفة ، وتفصيل الكلام في الخبر ودلالاته في ذم الفلاسفة والفلسفة تحت عنوان : (إذا كانت الفلسفة سيئة لِمَ لم ينه الأئمة عنها)

ومن الروايات التي تشبث بها أصحاب التوجه الفلسفي رواية ذكرها محمد بن علي الأشكِوري (من أعلام القرن الحادي عشر) : يروى أن عمرو بن العاص قدم من الإسكندرية على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عما رأى ؟ فقال : رأيت قوما يتطلسون ويجتمعون حلقا ويذكرون رجلا يقال له أرسطو طاليس لعنه الله. فقال صلوات الله وتسليماته عليه وآله : مه يا عمرو ! إن أرسطو طاليس كان نبيا فجهله قومه[3].

---

[1]) أصول المعارف للفيض الكاشاني،ص٥٤١.

[2]) توحيد المفضل،ص٣٠.

[3]) محبوب القلوب،ص١١٧.

والغريب إن هذه الرواية ذكرها الشيخ حسن زاده آملي عند تعليقه على :(كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد)[1] ! عن كتاب (محبوب القلوب) مع أنها لا سند لها ، ومذكورة في كتاب غير معتبر مملوء بأقوال الفلاسفة والصوفية،كما أن إمارة الوضع بادية عليها إذ إن عمر بن العاص فتح مصر والإسكندرية في زمن عمر بن الخطاب ولم يدخلهما في عهد رسول الله ﷺ !

وليس بالغريب على الصوفية وضع الأحاديث لأنها من الأمور المعروفة عنهم كوضعهم للكثير من كراماتهم وحكاياتهم الغريبة ، وقد نقلت طرائف منها في كتاب (التصوف والعرفان) .

[1]) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،ص٢٠٥.

المنطق الأرسطي ردة فعل انقضى زمانها

إن السفسطة راجت نحو خمسمائة سنة قبل الميلاد وتصدى لها سقراط وأفلاطون وأرسطو بمعنى أن المنطق الأرسطي كان عبارة عن ردة فعل لحركة فكرية نشأت في ذلك الزمان قبل الميلاد .

ولكن الشيء الغريب أن تكون تلك الردود التي تولدت على نقض فكرة السفسطة تُجعل علما مستقلا مع أن السفسطة لم تبق لها قيمة تستحق الوقوف عندها وانقضى زمان رواجها وروادها ، يقول السيد الطباطبائي ﷺ :

قد أوضحنا عقائد الشكاكين في الواقعية الخارجية ، والنافين لها حسب ما يناسب وضع رسالتنا ، وبان من خلال البحث أن المثاليّين هم أولئك الذين ينفون الواقعيات على أنحائها ، بحيث يرجع نفيه أو شكه إلى النفي المطلق أو الشك المطلق ، بأن لا يعترف بشيء حتى بذاته وتصوّره وشكه وتشكيكه ، وقد ضبط التاريخ نزرا من أحوالهم ، ولعلك لا تجد منهم أثرا في أعصارنا[1].

والغريب أنك تجد بعض الأفراد يتخذ تلك الردود منهجا في الحوزات الشيعية يساير النصوص الدينية ، وأصحابه يستخفون بالذين لم يسلكوه أو لم يكترثوا

---

[1]) أصول الفلسفة،ص١٢١.

به ويعدونهم ظاهريين لم يكن لهم حظ من الشريعة إلا في حدود ظواهرها ، وأيضا يستخفون بالنصوص قولا وعملا فنجد فيهم من يقول بالتجسيم مثل ملا صدرا في شرحه لأصول الكافي[1] ولذا كفره علماء عصره وقالوا أول من شرح الكافي بالكفر صدرا ، يقول الخوانساري متحدثا عن صدرا : أوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الأعلام به وبكتبه بل فتوى طائفة بكفره فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الأصول : شروح الكافي كثيرة جليلة قدرا وأول من شرحه بالكفر صدرا هذا[2].

وفيهم من ينكر المعاد الجسماني الذي هو ضرورة قرآنية وروائية لا مناص عنها ومنهم من قال بالسنخية بين العلة والمعلول بمعنى الشبه بين الخالق والمخلوق[3]

---

[1]) نص كلام ملا صدرا : فليجز أن يكون في الوجود جسم إلهي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المسمى بالأسماء الإلهية المنعوت بالنعوت الربانية.شرح أصول الكافي،ج٣،ص٢١٨.

[2]) روضات الجنات،ج٤،ص١٢١.

[3]) السنخية ولزوم التشبيه : يقول السيد الخوئي ﷺ : ما عن الفلاسفة من أن الذات الأزلية علة تامة للأشياء ، وتصدر منها على ضوء مبدأ السنخية والمناسبة ، حيث إن الحقيقة الإلهية بوحدتها وأحديتها جامعة لجميع حقائق تلك الأشياء وطبقاتها الطولية والعرضية ، ومنها أفعال العباد فإنها داخلة في تلك السلسلة التي لا تملك الاختيار ولا الحرية . والجواب عنه أن هذه النظرية خاطئة من وجوه :

الأول : ما تقدم بشكل موسع من أن هذه النظرية تستلزم نفي القدرة والسلطنة عن الذات الأزلية ، أعاذنا اللّه من ذلك . الثاني : أنه لا يمكن تفسير اختلاف الكائنات بشتى أنواعها وأشكالها ذاتا وسنخا على ضوء هذه النظرية ، وذلك لأن العلة التامة إذا كانت واحدة ذاتا

ووجودا وفاردة سنخا ، فلا يعقل أن تختلف آثارها وتتباين أفعالها، ضرورة.محاضرات في أصول الفقه،ج٤٣،ص٤٢٧.تقرير الشيخ الفياض ونسب الشيخ ما عن الفلاسفة لملا صدرا،ج٦،ص١١٠-١١٦.

وراجعت ما قاله ملا صدرا فكان في إحدى طبعات الأسفار،ج٧،ص٢٣٦ وهذا نص ما قاله : (إن العلة المفيضية لا بد وأن يكون بينها وبين معلولها ملائمة ومناسبة)

وأيضا السيد الطباطبائي يقول بالسنخية بين العلة والمعلول : المتحصل مما تقدم من المباحث وما سيأتي أن هذا العالم المادي معلول لعالم نوري مجرد عن المادة متقدس عن القوة وأن بين العلة والمعلول سنخية وجودية بها يحكى المعلول بما له من الكمال الوجودي بحسب مرتبته الكمال الوجودي المتحقق في العلة بنحو أعلى وأشرف والحكم جار إن كان هناك علل عقلية مجردة بعضها فوق بعض حتى ينتهي إلى الواجب لذاته جل ذكره.نهاية الحكمة،ج٢،ص٢٣٠

والسنخية تارة تكون بين المعلولات الطبيعية مثل صدور الحرارة من النار والبرودة من الثلج وهذا لا يلزم منه التشبيه للخالق عز وجل وإنما الذي يلزم منه التشبيه السنخية بين الخالق ومعلوله عندما نصل لمبدأ السنخية لله تبارك وتعالى وعلى حد تعبير ملا صدرا : (العلة المفيضة) وتعبير السيد الطباطبائي : (حتى ينتهي إلى الواجب لذاته جل ذكره).

وهذا ما يقع فيه الخلط والاشتباه من بعض الدارسين يقولون السنخية لا يلزم منها التشبيه وهو يقصد تصويرها على مبدأ المعلولات الطبيعية وفاته أن التشبيه المعني لا شأن له بسنخية المعلولات وإنما بلحاظ سنخية الخالق عز وجل والمعلولات.

وأراد بعضهم الفرار من محذور السنخية والتشابه بين الخالق والمخلوق وأجهد نفسه في تصوير السنخية بمنأى عن التشبيه إلا أنه كر على ما فر منه.

والمؤاخذة الأخرى الشديدة في المقام أن الفلاسفة الإسلاميين أخذوا مبدأ السنخية كآية قرآنية أو حديث متواتر قطعي الصدور ولم يبق لهم سوى شرحه وتصويره وكأنهم وجدوا أنفسهم لا مناص لهم من السنخية!

وقد تستغرب مما تقدم ؟! ولكي لا تستغرب تذكر كلام ملا صدر في الحكمة المتعالية!عن عشق المخلوق الذي أخذه من أفلاطون وأرسطو والصوفية ومن ثم غدا يُنظر له في حكمته المتعالية!

وتذكر فكرة الفناء في الله تعالى وهي مما لا شك فيه فكرة صوفية وكيف أخذ السيد الطباطبائي تصوير الفناء في الله عز وجل كما ذكر السيد الطهراني في مراسلاته للسيد الطباطبائي في كتاب الشمس الساطعة.انظر ص٩٣ إلى ص١٤٦.

وتذكر أيضا أن قاعدة : (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) هي من أفكار الفلاسفة والمعتزلة كما نقل الخواجة الطوسي في (تلخيص المحصل) المعروف بنقد المحصل :{العلة الواحدة يجوز أن يصدر عنها أكثر من معلول واحد عندنا ، خلافا للفلاسفة والمعتزلة}.تلخيص المحصل،ص٢٣٧. وكيف أن ملا صدرا والسيد الطباطبائي ألزما نفسيهما بتصويرها..

والعلماء من غير سلك الفلاسفة يدركون جيدا التشبيه من السنخية ؛ يقول المحقق البهبهاني (ت:١٢٠٥هـ) : (وتوهّم انه تعالى علة لوجود العالم ، وهو معلول عنه ، ومن شرائط العلة تحقق السنخية بينهما كسنخية الشيء والفيء وَهمٌ واضح فإنه تعالى شأنه موجد الأشياء وفاعلها بمشيئته ولا تلزم السنخية بين الفاعل المختار وأفعاله . وإنما تجب السنخية بين العلل المضطرة ومعلولاتها كالنار وإحراقها مثلا).الرؤية الفلسفية،ص٥٩.نقلا عن التوحيد الفائق في معرفة الخالق للبهبهاني.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الباري تعالى : (الذي بان من الخلق فلا شيء كمثله).توحيد الصدوق،ص٣٢

إلى غير تلك المخالفات التي يأتي بيانها إن شاء الله تعالى . ولو أنهم لم يكن لهم إلا الاهتمام بما لا يستحق وصرف العمر في سبيله وبناء الآمال عليه لكفى في سوء التوفيق ولَبس البصيرة.

ولا تكمن المعضلة في مطالعة المنطق الأرسطي ، وإنما في التعويل عليه وتوهم أن له الدور الكبير في البحوث العلمية والمحاورات الجدلية ، والخبير البصير يعرفه خالي الوفاض ومنعدم الجدوى في هذه المجالات ، أما كليل الوعي والمعرفة يحسبه أنشودةً لضالته وهو كسراب بقيعة .

يقول أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) : قد غلب في هذا الزمان وقبله بقليل الاشتغال بجهالات الفلاسفة على أكثر الناس ويسمونها الحكمة ويستجهلون من عرى عنها ويعتقدون أنهم الكملة من الناس ويعكفون على دراستها ولا

وعنه عليه السلام : (الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان قدرته بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه).توحيد الصدوق،ص٤١ .

وعنه عليه السلام : (لأنه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين).توحيد الصدوق،ص٥٢

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (من شبه اللّه بخلقه فهو مشرك).توحيد الصدوق،ص٧٦

وعنه عليه السلام : (إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه).توحيد الصدوق،ص٨٠

وعن الإمام الرضا عليه السلام : (فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه).توحيد الصدوق،ص٤٠

تكاد تلقى أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله ﷺ . ولقد غضضت مرة من ابن سينا ونسبته للجهل فقال لي بعضهم وأظهر التعجب من كون أحد يغض من ابن سينا : كيف يكون أعلم الناس بالله ينسب للجهل!... ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيرا من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهرا من غير أن ينكر ذلك أحد تعجبت من ذلك ، إذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له ، وأنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع خفية ، وأنه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق ، إنما يسمونه المفعل ، حتى أن صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب إلينا كتابا من الأندلس يسألني أن أشتري أو أستنسخ كتابا لبعض شيوخنا في المنطق ، فلم يتجاسر أن ينطق بالمنطق وهو وزير فسماه في كتابه لي بالمفعل[1].

[1]) البحر المحيط،ج٦،ص٤٦.

عدم الاطلاع وردود الفعل المذهلة

إن التصورات ومبادئ التصديقات في المنطق الأرسطي كلها مقدمات للقياس ، هذا ما ذكرته كتب المنطق ، وإليك على سبيل المثال كلام ابن سينا : (أما القياس فهو العمدة)[1].

والقياس بجميع أقسامه وصوره يرجع إلى الشكل الأول كما هو معروف . ولكن عند التأمل في مادة الشكل الأول وصورته نجد أن النتيجة مذكورة في الكبرى كما يأتي بيانه لاحقا إن شاء الله[2] ، فلم تكن النتيجة إلا تكرارا لما هو مذكور في كبرى القياس ، وبعبارة مختصرة : عقم المنطق الأرسطي وعدم إنتاجه .

ولكن الذين يدرسون المنطق سواء أكانوا في الحوزة أم الكلية الفلسفة الأعم الأغلب فيهم أو لنقل الكثير منهم غير مطلع على الردود والنقوض على المنطق الأرسطي ؛ ولذا عند إخبار البعض منهم بعدم جدوى القيس فيه يتفاجأ ولربما نظر لك نظرة تأمل ، هذا بالنسبة للدارس في الحوزة أما إذا كان في الكلية فيرميك بالتخلف وضيق الأفق ونحوها من المفردات الشائعة في الحرم

---

[1]) الإشارات والتنبيهات،ج١،ص٢٣٧.

[2]) في عنوان : (عدم إنتاج القياس في المنطق الأرسطي).

الجامعي ، وكل هذه المفردات ناجمة عن الاقتصار على المنهج وعدم الاطلاع على نقضه وما يرد عليه من مؤاخذات.

وهذه هي المشكلة الأساس لمن يدرس الفلسفة بصورة عامة ولا يطلع على المؤاخذات عليها ، ومن جهة أخرى لا يكلف نفسه بالاطلاع على مصادر المتبنيات وجذور الأبحاث فيها.

عدم إنتاج القياس في المنطق الأرسطي

إن النتيجة المتحصلة من القياس في المنطق الأرسطي مذكورة في كبرى القياس وعلى هذا لم تكن النتيجة سوى تكرار لما هو مذكور مقدما ، واجترار للمعلوم بصياغة جديدة ؛ إذ عند معرفة الكلي أعرف الجزئي ضمنا فيه وللتوضيح بالمثال :

كل إنسان فان

سقراط إنسان

إذن : سقراط فان

وعلى هذا تكون النتيجة التي توصلنا إليها : (سقراط فان) ليست بجديدة وإنما هي معلومة مسبقا في كبرى القياس : كل إنسان فان .

وللتعبير عن عدم الإنتاج بطريقة أخرى : عند قولنا : (كل إنسان فان) إما أن نعلم أن سقراط من أفراد ومصاديق الإنسان أو لا . وعلى الأول (نعرف سقراط من أفراد الناس) نعرف أنه فانٍ قبل النتيجة بل قبل الصغرى أيضا ، وعلى الثاني (لا نعرف سقراط من أفراد الناس) يكون تعميمنا في الكبرى غير صحيح.

ويمكن طرح إشكالية عدم الإنتاج بصورة ثالثة فنقول : سواء علمنا أن سقراط إنسان أو لم نعلم بكلا الفرضين لا يمكن جعله محمولا وحدا وسطا في الصغرى؛لأنه في صورة كونه مجهولا لا يمكن أخذه في كلتي المقدمتين ، وفي صورة العلم به تتكرر النتيجة .

وملخص ما تقدم ليست النتيجة إلا صدى للكبرى وانعكاسا لها بلفظ آخر ، أو قل هو الدور بعينه .

وقد أجاب أصحاب المنحى الفلسفي عن هذا الاعتراض الذي من شأنه هدم القياس والمنطق الأرسطي بصورة عامة من أساسه بجواب لم يدفع الاعتراض وإنما يقره ـ كما يأتي إقرار ابن سينا لأصل الإشكال عند إجابته لأبي سعيد الخير ـ وملخص ردهم هو التفصيل في كبرى القياس :

إن كبرى القياس إذا كانت مأخوذة من الاستقراء التام ومن ثم نكرر الحكم على أحد أفرادها في النتيجة يكون القياس غير منتج ، والنتيجة لم تتجاوز التكرار ، وأما إذا كانت كبرى القياس غير مأخوذة من الاستقراء التام وإنما من القضايا العقلية كالبديهيات[1] مثلا يسقط الاعتراض ولا يبقى له مورد.

---

[1]) حصر المناطقة البديهيات في ستة أقسام وهي : (الأوليات) و(الفطريات) و(الحسيات أو المشاهدات) و(التجريبيات) و(الحدسيات) و(المتواترت)، والعقل يرتكز في إدراكه على هذه البديهيات، بوصفها من المسلمات التي لا يرتاب فيها الجميع وإن كان من الممكن وقوع الاختلاف في التجريبيات والحدسيات والمتواترات لكونها خاضعة لضرورة الاشتراك في ظروف التجربة والحدس والتواتر، أما الأوليات والفطريات والحسيات فهي مشتركة بين جميع البشر .

وكما ترى أصل الاعتراض ـ عدم الإنتاج ـ باقٍ على حاله ولم يُدفع بكبرى القياس المأخوذة من غير الاستقراء التام ، وأقل ما يُقال في دفع الاعتراض أن الكبرى في القياس سواء كانت مأخوذة من الاستقراء التام أو غيره ستتكرر في النتيجة ، وأصل الإشكال هو على التكرار وعدم الإنتاج ، أو قل على عدم المعلوم الجديد في القياس والذي هو بحسب تعريفهم يأتي بشيء جديد كما يقول أرسطو في تعريف القياس : قول مؤلف من أقوال إذا سلم بها لزم عنها بالضرورة قول آخر[1].

ويعرفه ابن سينا : هو قول مؤلف من أقوال إذا سلم ما أورد فيه من القضايا لزم عنه لذاته قول آخر[2].

ولنأخذ مثالا للقضايا البديهية حتى يتضح أكثر كيف أن عدم الإنتاج باقٍ على حاله ولم يختلف عن تشكل القياس من غير الاستقراء التام :

كلما أشرقت الشمس فالنهار موجود

والشمس مشرقة

إذن : النهار موجود

إن وجود النهار معلوم بإشراق الشمس ولم نكن بحاجة إلى تأليف قضايا وتشكيل قياس يتكرر فيه الحد الأوسط . وبعبارة أخرى وجود النهار بإشراق

---

[1]) نقد العقل العربي،ج٢،ص٣٩٢.

[2]) الإشارات والتنبيهات،ج١،ص٢٣٧.

الشمس معلوم من كبرى القياس المأخوذة من بديهة العقل والنتيجة لم تأتِ بجديد عليها.

وقد أقر ابن سينا بإشكال العقم وأجاب بتفصيل النتيجة وإجمال الكبرى إذ بعد أن أورد أبو سعيد الخير إشكال الدور وعدم الإنتاج[1] على ابن سينا والذي محصله : إن الاستدلال بهذا الشكل (أي الشكل الأول من القياس) الذي هو المناط والأصل في الاستدلال لابتناء الثلاثة (باقي الأشكال الثلاثة في القياس) الباقية عليه كما سيظهر ، يستلزم الدور فلا يكون منتجا فضلا عن أن يكون بيّنا ، وذلك ، لأن العلم بالنتيجة موقوف على العلم بالمقدمات التي من جملتها الكبرى الكلية والعلم بها إنما يحصل لو علم ثبوت الحكم بالأكبر بالإيجاب أو السلب على كل واحد من أفراد الأوسط التي من جملتها الأصغر فيكون موقوفا على العلم بثبوت الحكم بالأكبر للأصغر الذي هو عين النتيجة فيلزم الدور .

وأجاب ابن سينا : بالفرق بين العلم الحاصل في النتيجة وبين العلم الحاصل في الكبرى بالإجمال والتفصيل وتوقف حصول العلم التفصيلي على العلم الإجمالي غير مضر ، فيندفع الدور .

والحاصل : أن العلم بالنتيجة في الكبرى إجمالي وفي النتيجة نفسها بعد استخراجها من المقدمات تفصيلي فباعتباره الأول يكون موقوفا عليه وباعتباره

---

[1]) الدور هو عدم الإنتاج أو يلزمه ذلك (عدم الإنتاج) على الفرضين معا إشكال العقم وارد .

الثاني يكون موقوفا إذ لا استحالة في أن يكون للشيء وصفان يكون باعتبار أحدهما معلوما وباعتبار الآخر مجهولا[1].

وتمييز ابن سينا في الإجمال والتفصيل لم يحل إشكال العقم كما هو واضح وإنما اعتراف بيّن بالتسليم به ، وإجابته تندرج في فائدة القياس والانتقال إلى التفصيل . ولكن الإجمال والتفصيل ليس من باب القياس في شيء لأن المناطقة ومن ضمنهم ابن سينا قالوا يتشكل من القياس قول جديد كما تقدم سابقا في تعريف القياس : (هو قول مؤلف من أقوال إذا سلم ما أورد فيه من القضايا لزم عنه لذاته قول آخر) والتفصيل لا يتألف منه قول جديد . وإذا كان المراد بـ (قول آخر) الاحتراز عن لزم ما هو خارج عن المقدمتين لم يتناف تعريف القياس مع عقم القياس ، إلا أن أصل الكلام ليس في تنافي تعريف القياس مع عدم الإنتاج وإنما في عدم الإنتاج على وجه التحديد ؛ فعدم تقاطعه مع التعريف لا يحل المشكلة.

ومن الجدير بالذكر أن صياغة البديهيات على شكل القياس والاستدلال منشأه العقل وليس لصحة الاصطلاح المُعبر عنه بالقياس ، وإنما العقل هو الكاشف . وبعبارة أخرى : الأقيسة المنطقية عبارة عن صياغات وقوالب لفظية.

يقول الشيخ خليل القزويني (ت:١٠٨٩هـ) : (تقديم كتاب العقل على سائر الكتب كتقديم الفلاسفة فن منطقهم على مقاصدهم . هذا ، وليس المحتاج إليه

---

[1]) انظر الحاشية على تهذيب المنطق،ص٣٥٠.رقم (٣٤) من حواشي القياس،طبعة جماعة المدرسين.

من قوانين منطقهم إلا أمورا سهلة النفع ، مركوزة في عقول العوام أيضا ، لا حاجة كثيرا إلى تدوينها ، بل هي نقطة كثرها الجاهلون ، وحسبك دليلا على أن منطقهم لا يفي بالعصمة عن الخطأ كثرةُ مناقضات متعاطيه ومعلّميه ، فرب عالمٍ به قتله جهله ، وعلمه به معه لا ينفعه وإن استعان به)[1].

ونظيره ما قاله السيد الخوئي ﷺ عند كلامه عن الاجتهاد وما يتوقف عليه :

(وأما علم المنطق فلا توقف للاجتهاد عليه أصلا ، لأن المهم في المنطق إنما هو بيان ما له دخالة في الاستنتاج من الأقيسة والأشكال كاعتبار كلية الكبرى وكون الصغرى موجبه في الشكل ، مع أن الشروط الّتي لها دخل في الاستنتاج مما يعرفه كل عاقل حتى الصبيان ، لأنك إذا عرضت على أي عاقل قولك : هذا حيوان ، وبعض الحيوان موذٍ ، لم يتردد في أنه لا ينتج أن هذا الحيوان موذٍ .وعلى الجملة المنطق إنما يحتوي على مجرد اصطلاحات علمية لا تمسها حاجة المجتهد بوجه ، إذ ليس العلم به مما له دخل في الاجتهاد بعد معرفة الأُمور المعتبرة في الاستنتاج بالطبع . والذي يوقفك على هذا ، ملاحظة أحوال الرواة وأصحاب الأئمة (عليهم أفضل الصلاة) لأنهم كانوا يستنبطون الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة من غير أن يتعلموا علم المنطق ويطلعوا على مصطلحاته الحديثة)[2].

---

[1]) الشافي في شرح الكافي،،ج١،ص١٥٧.

[2]) شرح العروة الوثقى:مبادئ الاجتهاد،ج١،ص١٢.

نقاش الملحدين بالوجود الذهني كالنقاش بالقرآن والحديث

إن أصحاب التوجه الفلسفي يقولون لا يمكن مناقشة الملحدين بالقرآن والحديث ولذا كان لا بد من الأدلة الفلسفة ـ ونحن أيضا نقر ونقول لا يمكن مناقشتهم بالقرآن والحديث[1] لأنهم لا يعترفون بهما ـ ومن ثم طرحوا أدلة فلسفية لمجادلة الملحدين ، ولكن عند الرجوع للأدلة التي طرحوها سنجدها كالقرآن والحديث حيث إن الأدلة المطروحة كما يأتي بيانها لاحقا[2] إن شاء الله تعالى تندرج تحت تقسيمات الوجود الذهني ــ باستثناء دليل العلة والمعلول الذي هو من مدركات العقل الإنساني وأصل ثابت في جميع العلوم وغير مختص بالفلسفة[3] ــ والملحد أصلا غير معترف بتقسميات الفلاسفة الإسلاميين للوجود الذهني فضلا عن أن يرتب عليها أثرا .

---

[1]) قد يقال لماذا لا يمكن مناقشة الملحدين بالقرآن مع أن القرآن كان فيه مجادلات الملحدين؟ إن القرآن الكريم والحديث الشريف كنص ديني لا يعترف به الملحدون ولكن النصوص الدينية التي تتناول جانب التوحيد وإثبات وجود الخالق عز وجل فيها جنبة عقلية تتضمن دليل العلية والنظم والحدوث ، وعقد الشيخ الكليني في الجزء الأول من أصول الكافي باباً تحت عنوان (حدوث العالم وإثبات المحدث) أورد فيه بعض الأحاديث المتعلقة بدليل الحدوث.

[2]) في عنوان : (الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق) .

[3]) العلة والمعلول ما بين الفلسفة وعلم الكلام :

المعنى الفلسفي :

المعلول يستحيل أن يتخلف عن علته مما يعني صدور الفعل عن العلة بالاضطرار وليس بالاختيار وهذا يلزم منه سلب الإرادة عن الله عز وجل الذي مفادها إن شاء فعل وإن شاء ترك.ويلزم منه أيضا القول بقدم العالم حيث وجود المعلول مع علته إذ يستحيل تخلفه عن علته ولذا قالوا : (الشيء ما لم يجب لم يوجد).

يقول الشيخ الطوسي ﷺ : أن صانع العالم لا يخلو من أن يكون قادرا مختارا أو موجبا ((يقصد الشيخ ﷺ بـ : (موجبا) أي : يكون مضطرا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)) هو علة أو سبب ، ولا يجوز أن يكون علة ولا سببا ، لأنهما لا يخلو من أن يكونا قديمين أو محدثين ، فلو كانا محدثين لاحتاجا إلى علة أخرى أو سبب آخر ، وذلك يؤدي إلى ما لا نهاية له من العلل والأسباب ، وإن كانا قديمين وجب أن يكون العالم قديما ، لأن العلة توجب معلولها في الحال والسبب يوجب المسبب إما في الحال أو الثاني ، وكلاهما يوجبان قدم الأجسام وقد دللنا على حدوثها ، فبطل بذلك أن يكون صانع العالم موجبا ولم يبق بعد ذلك إلا أن يكون مختارا له صفة القادرين.وإذا ثبت كونه قادرا وجب أن يكون حيا موجودا ، لأن من المعلوم أن القادر لا يكون إلا كذلك ، فثبت أنه تعالى قادر حي موجود .الاقتصاد ،ص٢٧.

وقد كفر العلماء بعض الفلاسفة القائلين بقدم العالم وسلب الإرادة عن الخالق عز وجل بسبب عدم إمكان تخلف المعلول عن علته.

والسيد الخوئي ﷺ له كلام في قاعدة : (الشيء ما لم يجب لم يوجد) يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : إن الشيء ما لم يجب لم يوجد ، أو إن الشيء ما لم يوجد لم يجب . وهذه القاعدة قد ذكرها الفلاسفة في باب لزوم معية المعلول ، وهي من الأصول الموضوعة عندهم في الفلسفة العالية وغيرها من أبواب الفلسفة .

النقطة الثانية : الذي ظهر لنا في معنى أصل القاعدة من كلماتهم : أن تكوّن كل شيء وتحصله في الأعيان أو الأذهان فرع تمامية علته بما لها من الأجزاء والشرائط وارتفاع الموانع، وعند ذلك يجب وجود المعلول ، فوجود كل شيء مسبوق بضرورة سابقة وتعين وجوبي في مرتبة علته.

النقطة الثالثة : ومما ذكرنا بطل قول من زعم قدم العالم ، بدعوى أنه يستحيل تخلف المعلول عن علّته التامة ، وأن المفروض أنه لا علة غيره تعالى ، وهو قديم ، فالعالم يلزم أن يكون قديما . والجواب : أن لا علية في ذلك المقام الشامخ ولا اضطرار فيه إلى إيجاد فعلٍ ما وإنما هو تحت إرادته وسلطانه ، فمتى شاء إيجاد فعل حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية أوجده ، ومتى لم يشأ لم يوجده. انظر مجمع الرسائل،ج٤٩،رسالة الأمر بين الأمرين،ص١٠-١٤

ووُجِّه سؤالٌ للشيخ جواد التبريزي ﷺ : هل الكون (الإمكاني) ما سوى (الله سبحانه) مسبوق بالعدم ، إذا كان الجواب نعم ، فيأتي سؤال : أين قدم الفيض (أي لا بخل في ساحته سبحانه) وأين قولهم إن ذاته تعالى – علة تامة – والمعلول لا يتخلف عن علته ، وإذا كان الجواب لا ، وليس مسبوقا بالعدم ، فما معنى الرواية المتقدمة ، ومعنى أنه تعالى مختص بالقدم ، وما معنى أن الله خلقه ، إذا كان الكون غير مسبوق بالعدم ، وهل توافقون أن ذاته – سبحانه – علة تامة ، لا يتخلف عنها معلولها ، أوليس هذا جبر (وهم يسمونه جبرا فلسفيا) حيث قالوا : (الشيء ما لم يجب لم يوجد) ؟

فأجاب ﷺ : أما مسألة العلة والمعلول فهو غير صحيح ، فإن الله سبحانه فاعل ومكون للأشياء بإرادته ومشيئته ، من باب صدور الفعل عن الفاعل ، ومشيئته أمر حادث كما يستفاد ذلك من الروايات ، نعم العلم بمشيئته الحادثة أزلي ، لأنه عين القدرة ، كما ذكرنا ، وأن المقام يقتضي بسط في المقال ، لا يسعه المجال،والله العالم .صراط النجاة،ج٢،ص٥٦٥.

والقول بقد العالم نشأ بعد أرسطاطاليس كما يقول ملا صدرا : القول بقدم العالم إنما نشأ بعد الفيلسوف الأعظم أرسطاطاليس.رسالة في الحدوث،ص١٥.

المعنى الكلامي :

قانون العلة والمعلول في علم الكلام معناه أن وجود المعلول يدل ويلزم منه وجود علته وعدم إمكان تحققه من غيرها لا أن المعلول يجب حين وجود علته بالاضطرار ويستحيل التخلف عنها.

وبسبب المعنى الفلسفي للعلة والمعلول نفى بعضهم قانون العلية وقالوا يحمل لوازم فاسدة لا يمكن الالتزام بها مع أن تلك المعاني تلزم حسب المراد الفلسفي دون المعنى الكلامي .

ومحصل هذا أن الرد على الملحدين ومناقشتهم كما لا يمكن أن يكون بالقرآن والحديث لا يمكن أن يكون من خلال تقسميات الوجود الذهني لعدم تسليم الخصم بها .

ولكن من لم يكن مطلعا على الأدلة الفلسفية في إثبات وجود الخالق عز وجل،أو كان مطلعا عليها ولم يخطر على ذهنه عدم اعتراف الملحدين بتقسميات الوجود الذهني ولوازمه يتوهم المسكين أن نقاش الملحدين لا يتم إلا من خلال الفلسفة.

ومن هنا يتطلب من الذين يعولون كثيرا على الفلسفة ويبنون عليها آمالا في مجادلة الملحدين وإثبات وجود الخالق عز وجل التنبه إلى عدم تسليم الملحدين بالوجود الذهني الذي يقدمه المحاور الفلسفي الإسلامي كدليلٍ تجاه الخصم.

ومما يؤسف له أن الكثير من دارسي الفلسفة يمرون على الأدلة الفلسفية مرور الكرام من غير التنبه لقيمة تقسيمات الوجود الذهني في نظر الملحدين ، ولا أستبعد أن يعيد الكثير منهم نظرته تجاه الأدلة الفلسفية بعد التنبه لهذا الإشكال أو المطلب الحساس والمهم جدا في باب أدلة إثبات الصانع.

إشكال وجواب

قد يُقال أن بعض الأدلة المطروحة في الفلسفة على إثبات وجود الخالق عز وجل من قبيل دليل الحدوث المذكور في الأحاديث ، والذي يلزم منه وجود محدث للعالم فكيف أنكم لم تعيروها أهمية مع أنها أحاديث صدرت عن الأئمة عليهم السلام وتتضمن جنبة عقلية ؟

والجواب إذا كانت الأدلة الفلسفية قد اختزلها الفلاسفة الإسلاميون من النصوص الدينية فقيمتها ترجع للنصوص ، ولم تحسب للفلسفة ونحن كلامنا في ما استطاعة أن تقدمه الفلسفة من أدلة على وجود الخالق عز وجل.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أن دليل الحدوث الذي يعني لكل حادث محدث يرجع لدليل العلية الذي يقضي بوجود علة لكل معلول ، كما يرجع لدليل العلية برهان النظم أيضا : (كل منتظِم يدل على مُنظم له) ولم يكن برهان النظم[1] خارجا عن قانون العلة والمعلول مما يعني لكل منتظم علة

---

[1]) النصوص الدينية في مجال التوحيد كثيرا ما تطرقت لبرهان النظم : قال عز من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.سورة فصلت:٥٣.
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ

موجدة له[1]. ومحصل ذلك : الأدلة الفلسفية إما مقتضبة من صياغة النصوص الدينية ، أو من بديهة العقل ، أو أنها في نهاية الأمر ترجع لبديهة العقل كما في قانون العلية ، وإذا لم ترجع لبداهة العقل تبقى مفاهيم وتقسيمات للوجود

دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.سورة الرعد:١٧.إلى غيرها من الآيات.

وقد اتخذه الأئمة عليهم السلام في التدليل على وجود الخالق وإثبات وجوده ، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر انظروا إلى النملة في صغر جثتها ، ولطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، و لا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ، وصبت على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، و تعدها في مستقرها . تجمع في حرها لبردها، وفي وردها لصدرها...فالويل لمن أنكر المقدر وجحد وجحد المدبر).نهج البلاغة،خطبة:(٨٥)

وعن الإمام الصادق عليه السلام في كلامه للمفضل بن عمر الجعفي : (يا مفضل أول العبر والدلالة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها ، على ما هي عليه ، فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك ، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده،فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم مضيئة ، كالمصابيح،والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكل شيء فيها لشأنه معد ، والإنسان كالمالك ذلك البيت ، والمخول جميع ما فيه . وضروب النبات مهيأة لمأربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه . ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة ، وأن الخالق له واحد ، وهو الذي ألفه ونظمه بعضا إلى بعض ، جل قدسه وتعالى جده).التوحيد،ص١١.والأحاديث في هذا المجال كثيرة جدا.

[1]) إن المقصود من قانون العلية هو المعنى الكلامي لا المعنى الفلسفي كما تقدم التنويه والتفريق بينهما في : (نقاش الملحدين بالوجود الذهني كالنقاش بالقرآن والحديث).

الذهني ولا يقر به الملحد ، كما يأتي بيان ذلك عند التعرض للأدلة التي ذكرها السيد الطباطبائي في نهاية الحكمة تحت عنوان : (الأدلة الفلسفية في إثبات وجود الخالق) .وبصورة أكثر وضوحا واختصارا : عند الإعراض عن الأدلة المذكورة في الكتب الفلسفية في إثبات وجود الخالق سنجد بعض الأدلة حاضرة في مجادلة الملحدين لبداهتها .

وقد يُشكل ويقال هذا الذي تسمونه بديهيا هو فلسفي فلا مشكلة لدينا بالتسمية وبالنتيجة يكون من الأدلة الفلسفية ويحسب على الفلسفة .

والجواب عن ذلك : إن هذا البديهي الذي أنتم تسمونه فلسفيا يعرفه الفقيه والرجالي والأصولي والنحوي...بل يعرفه عامة الناس لبداهته العقلية فلا يُحسب للفيلسوف ومن ثم يعده إنجازا له ، وبعبارة أخرى : عندما تسمونه فلسفيا لا يحسب على الفلسفة ولا يعد إنجازا لها ، ومن ثم تخالون أنفسكم أفضل من يمكنه مجادلة الملحدين على وجه الأرض ، وتسفهون غيركم وترمونهم بعدم القدرة على مجاراة الملحدين ؛ فلا أدري هل التسفيه والمنة والتفضل على غيركم للتسمية فقط ؟! هل إنجازكم الذي شيدتموه وتطاولتم به على غيركم هو تبديل الألفاظ والمسميات بمسميات أخرى !!

الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق

إن من الأمور الشائعة على ألسنة المؤيدين للفلسفة وحتى على ألسنة غير المطلعين عليها أن مناقشة الملحدين وإثبات وجود الله تبارك وتعالى يكون من خلال الفلسفة ، مع أن الرد على الإلحاد بالأمور العقلية وكل الردود على الملحدين تصب في هذا الجانب ؛ فلا أحد يناقش الملحدين بأصالة الوجود والماهية ، وقاعدة الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ، والشيء ما لم يجب لم يوجد ، والوجود زائد على الماهية ، والعقول العشرة ، والمعدوم المطلق لا يخبر عنه إلى غيرها من الأبحاث الفلسفية . ولم تكن المناظرات قديما وحديثا بين المؤمنين والملحدين في إثبات وجدود الخالق في المطالب الفلسفية وإنما في المدركات العقلية حتى فيما لو كان الملحد فيلسوفا ؛ لأن أبحاث الفلسفة لم يكن من شأنها هذا المضمار ، كما أن الكتب المتأخرة للفلاسفة الإسلاميين عندما عقدوا أبحاث إثبات الخالق واصطلحوا عليه بـ : (الإلهيات بالمعنى الأخص) ما ذكروه فيه هو عبارة عن مطالب المتكلمين وما هو مطروح في كتبهم ، وهذا هو شأن علم الكلام إثبات وجود الخالق وصفاته وإبطال دعاوى الملحدين والمجادلين .

وإذا ما أردنا مطالعة الكتب الفلسفية سنجد أن البراهين التي ذُكرت فيها عبارة عن برهان العلة والإمكان أو قل المفاهيم الذهنية للوجود ، ولنأخذ كتاب

(نهاية الحكمة) ونتدرج مع البراهين التي ذُكرت فيه حتى نكون موضوعيين ونميط اللثام عن فكرة أو مقولة شائعة ـ مناقشة الملحدين بالفلسفة ـ ومن ثم ننظر هل لها واقع أم أنها تندرج تحت شائعات ومقولات لا أساس لصحتها.

إن السيد الطباطبائي ﵀ ذكر في (نهاية الحكمة) البراهين المقامة على إثبات وجود الله تبارك وتعالى وكما هو عبر على إثبات : (الوجود الواجبي) والتي تكلم عنها في الفصلين الأول والثاني من المرحلة الثانية عشر ، وقد كان في مقدمتها برهان الصدقين إذ يقول : برهان الصديقين ، لما أنهم يعرفونه (تعالى) به لا بغيره . وهو كما ستقف عليه برهان إنّيٌّ يُسلك فيه من لازم من لوازم الوجود إلى لازم آخر وقد قُرر بغير واحد من التقرير : وأوجز ما قيل أن حقيقة الوجود إما واجبة وإما تستلزمها.

البرهان الثاني :

وأما البرهان الثاني الذي ساقه في الفصل الثاني هو قوله : أنه لا ريب أن هناك موجودا ما ، فإن كان هو أو شيء منه واجبا بالذات فهو المطلوب ، وإن لم يكن واجبا بالذات وهو موجود فهو ممكن بالذات بالضرورة ، فرجح وجوده على عدمه بأمر خارج من ذاته وهو العلة ، وإلا كان مرجحا بنفسه فكان واجبا بالذات وقد فرض ممكنا ، وهذا خلف.

وقد عبر عنه ببيان آخر : حصّل البيان السابق أن تحقق موجود ما ملازم لترجح وجوده إما لذاته فيكون واجبا بالذات ، أو لغيره وينتهي إلى ما ترجح بذاته ، وإلا دار أو تسلسل وهما مستحيلان.

البرهان الثالث :

برهان آخر أقامه الطبيعيون من طريق الحركة والتغير تقريره : أنه قد ثبت فيما تقدم ـ في مباحث القوة والفعل ـ أن المحرك غير المتحرك ، فلكل متحرك محرك غيره ، ولو كان المحرّك متحرّكا فله محرّك أيضا غيره ، ولا محالة تنتهي سلسلة المحرّكات إلى محرّك غير متحرّك دفعا للدور والتسلسل. وهو لبراءته من المادة والقوة ، وتنزهه عن التغير والتبدل ، وثباته في وجوده ، واجب الوجود بالذات أو ينتهي إليه في سلسلة علله.

البرهان الرابع :

برهان آخر أقامه الطبيعيون أيضا من طريق النفس الإنسانية . تقريره : أن النفس الإنسانية مجردة عن المادة ذاتا ، حادثة بما هي نفس بحدوث البدن ، لامتناع التمايز بدون الأبدان واستحالة التناسخ ـ كما بين في محله ـ فهي ممكنة مفتقرة إلى علة غير جسم ولا جسمانية ، أما عدم كونها جسما ، فلأنها لو كانت جسما كان كل جسم ذا نفس ، وليس كذلك ، وأما عدم كونها جسمانية ، فلأنها لو كانت جسمانية ، سواء كانت نفسا أخرى أو صورة جسمية أو عرضا جسمانيا ، كان تأثيرها بتوسط الوضع ، ولا وضع للنفس مع

كونها مجردة ، على أن النفس لتجردها أقوى تجوهرا وأشرف وجودا من كل جسم وجسماني ، ولا معنى لعلية الأضعف الأخس للأقوى الأشرف . فالسبب الموجد للنفس أمر وراء عالم الطبيعة وهو الواجب (تعالى) بلا واسطة أو بواسطة علل مترتبة تنتهي إليه.

البرهان الخامس :

برهان آخر للمتكلمين من طريق الحدوث . تقريره : أن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فالأجسام كلها حادثة ، وكل حادث مفتقر إلى محدث ، فمحدثها أمر غير جسم ولا جسماني ، وهو الواجب (تعالى) ، دفعا للدور والتسلسل[1]. والحجة غير تامة ، فإن المقدمة القائلة : (إن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث) لا بيِّنة ولا مبيَّنة ، وتغير أعراض الجوهر عندهم غير ملازم لتغير الجوهر الذي هو موضوعها ، نعم لو بنى على الحركة الجوهرية[2] تمت المقدمة

---

[1]) تعليل لقوله : (فمحدثها أمر غير جسم ولا جسماني) . لا لقوله : (وهو الواجب) ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يقال : وهو الواجب أو ما ينتهي إليه . ولا يرى المتكلم نفسه محتاجا إلى هذه الزيادة ، لأن ما ليس بجسم ولا جسماني منحصر عنده في الواجب ، فإنه ينفي التجرد عن غيره تعالى . تعليق الفياضي على نهاية الحكمة،ج٤،ص١٠٦٢.

[2]) يقول علي علمي الاردبيلي : البرهان كما أشرنا إليه في التوضيح (على) تسلّم (الحركة الجوهرية) المبرهنة عند مسلميها (تمت المقدمة ونجحت الحجة) إذ الحركة عندئذٍ لصلب الجسم وذاته دون عرضه فحسب.شرح نهاية الحكمة،ص٦٥٩.

يقول غلام رضا فياضي : لا يخفى عليك : أنه إنما تتم بناء على ما تبناه من حدوث الأجسام حدوثا زماني ، مستدلا عليه بأن الأجسام متحركة في جوهرها ، فهي حركة ، وكل جزء من

الحركة حادث زمانا ، لكونه مسبوقا بجزء سابق هو قوته ، وحكم الكل حكم الأجزاء . وسيأتي شرح ذلك في الفصل الثالث والعشرين من هذه المرحلة . وأما على قدمها زمانا وعدم تمامية ما ذكر من الاستدلال ، فلا تتم الحجة ؛ لأنه لم يثبت حدوث العالم زمانا ، والحجة مبتنية على الحدوث الزماني ؛ لأن علة الحاجة إلى العلة عند المتكلمين إنما هو الحدوث الزماني . انتهى كلامه . نهاية الحكمة،ج٤،ص١٦٣.

إن الحركة الجوهرية تعني : الحركة في الجوهر.

ولك أن تقول الحركة في المادة أو في الجسم . أو بإضافة في جوهر المادة أو جوهر الجسم لأن ملا صدرا أراد إثبات الحركة في جوهر المادة وليس في عوارضها الطارئة عليها مثل طروا الصدأ على الحديد واستدل على الحركة في الجواهر من خلال التغير (الحركة) على عوارض الجوهر (الجسم) إذ الجسم مكون من ذات وعرض.

وبكلمة مختصرة الحركة في عوارض المادة دليل على الحركة في جوهرها إذ يستحيل وجودها في العرض من غير وجودها في الجوهر.

وبعد هذا يمكن أن يتضح تقرير كتاب : (فلسفتنا) للحركة الجوهرية حيث يقول متحدثا عن ملا صدرا والحركة الجوهرية : برهن فلسفيا على أن الحركة بمفهومها الدقيق الذي عرضناه، لا تمس ظواهر الطبيعة وسطحها العرضي فحسب ، بل الحركة في تلك الظواهر ليست إلا جانبا من التطور يكشف عن جانب أعمق ، وهو التطور في صميم الطبيعة وحركتها الجوهرية ؛ ذلك أن الحركة السطحية في الظواهر لما كان معناها التجدد والانقضاء ، فيجب لهذا أن تكون علتها المباشرة أمرا متجددا غير ثابت الذات أيضا ؛ لأن علة الثابت ثابتة ، وعلة المتغير المتجدد متغيرة متجددة ، فلا يمكن أن يكون السبب المباشر للحركة أمرا ثابتا ، وإلا لم تنعدم أجزاء الحركة ، بل تصبح قرارا وسكونا.فلسفتنا،ص٢٥٩.

ومما تقدم يتضح كلام ملا صدرا في الدليل الذي ساقه على إثباتها : المبدأ القريب للحركة الجسمية قوه جوهرية قائمه بالجسم إذ الأعراض كلها تابعه للصورة المقومة وهي الطبيعة ولهذا عرفها الحكماء بأنها مبدأ أول لحركة ما هي فيه وسكونه بالذات لا بالعرض وقد برهنوا أيضا على أن كل ما يقبل الميل من خارج فلا بد وأن يكون فيه ميل طباعي فثبت أن مزاول الحركة مطلقا لا يكون إلا طبيعة.الحكمة المتعالية،ج٣،ص٥٤

ويوجد إشكال على الدليل المذكور للحركة الجوهرية عبر عنه بقوله : فإن قيل إنهم صححوا استناد التغير كالحركة إلى الثابت كالطبيعة على زعمهم بان أثبتوا في كل حركه سلسلتين إحداهما سلسله أصل حركه والأخرى سلسله منتظمة من أحوال متواردة على الطبيعة كمراتب قرب وبعد من الغاية قالوا فالثابت كالطبيعة مع كل شطر من إحدى السلسلتين علة لشطر من الأخرى وبالعكس لا على سبيل الدور المستحيل كما ذكروا في ربط الحادث بالقديم .الحكمة المتعالية،ج٣،ص٥٤

وقد ذكر عين الإشكال ونسبه للشفاء في رسالة الحدوث قائلا : فإن قلت : إنهم صححوا استناد المتغير - كالحركة - إلى الثابت - كالطبيعة على زعمهم - بأن أثبتوا في كل حركة سلسلتين : إحداهما سلسلة أصل الحركة ، والأخرى سلسلة منتظمة من أحوال متواردة ؛ فالثابت - كالطبيعة - مع كل شطر من إحداهما علة لشطر من الأخرى وبالعكس ، لا على سبيل الدور المستحيل ؛ كما ذكروا في ربط الحادث بالقديم . أقول : هذا الوجه ، وإن كان مذكورا في الشفاء وغيره وقبلته القلوب السليمة ، إلا أنه عند الإمعان يظهر قصوره وخلله.رسالة في الحدوث،ص١٥٢

ومن خلال الدليل الذي ساقه على إثبات الحركة الجوهرية والإيراد عليها يمكن أن يستشف أن للحركة الجوهرية وجود في كلمات القوم ولم يكن له قدم السبق فيها ، بل صرح بذلك أبو بكر الرازي (ت:٣١١هـ) : إن كل جسم يتمتع بحركة ذاتية ، ووضع ذلك في رسالة أسماها : (مقالة في أن للجسم تحريكا من ذاته وأن الحركة مبدأ طبيعي له).فلاسفة الشيعة،ص٤٠٢.

والحركة الجوهرية لحد الآن لا تتعارض مع الدين ولكن قد يتعارض معه بعض أدلتها كما لو أردنا الاستدلال عليها من خلال : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد تتعارض معه بعض اللوازم المتصورة لها كما لو قلنا الجسم بحركته الجوهرية يتلطف شيئا فشيئا إلى أن يتجرد عن المادة ، يقول السيد محمد باقر الصدر ﷺ عن لازم الحركة الجوهرية عند صدرا قائلا :

الحركة الجوهرية هي الجسر الذي كشفه الشيرازي بين المادة والروح ؛ فإن المادة في حركتها الجوهرية تتكامل في وجودها ، وتستمر في تكاملها حتى تتجرد عن ماديتها ضمن شروط معينة ، وتصبح كائنا غير مادي ، أي : كائنا روحيا.فلسفتنا،ص٤٢٧.

ويراجع هذا اللازم في كتاب ملا صدرا شرح الهداية الأثيرية،ص٢١٤-٢١٨ .
والمادي في الفلسفة يختلف عن المجرد ، إذ المادي يعني الجسماني والمجرد يعني غير المادي والجسماني أي ما ليس بجسم ولا له صفات الأجسام.يقول السيد الطباطبائي ﷺ : أن عوالم الوجود الكلية ثلاثة : عالم التجرد التام العقلي ، وعالم المثال ، وعالم المادة والماديات ، فالعالم العقلي مجرد تام ذاتا وفعلا عن المادة وآثارها ، وعالم المثال مجرد عن المادة دون آثارها من الأشكال والأبعاد والأوضاع وغيرها.نهاية الحكمة،ص٣٧٩
ولكن العلماء من غير الاتجاه الفلسفي لم يرتضوا القول بوجود المجرد وعدوه مخالفا لظاهر الشرع ؛ يقول السيد الخوئي ﷺ : دعوى أن الملك من عالم المجردات فليس له مادة كما اشتهر في ألسنة الفلاسفة دعوى جزافية ، فإنه مع الخدشة في أدلة القول بعالم المجردات ما سوى الله كما حقق في محله ، أنه مخالف لظاهر الشرع ، ومن هنا حكم المجلسي ﷺ في اعتقاداته بكفر من أنكر جسمية الملك.مصباح الفقاهة،ج٣٥،ص٣٦٠
إن الحركة في الجوهر أو في المادة برهن على تحققها وصحتها العلم الحديث مما لا مجال للتشكيك فيها . ولكن الأدلة المطروحة عليها في الفلسفة قابلة للنقاش كما أن لوازمها المطروحة فيها (الفلسفة) قابلة للنقاش أيضا.
وحركة المادة في الجسم أو في الجوهر من مختصات الفيزياء التي أثبتت تكون المادة من ذرات كل واحدة منها تتضمن :البروتونات ، الإلكترونات ، النيوترونات.ولكن بسبب أدلتها ولوازمها الفلسفية توهم بعضهم أنها من مختصات الفلسفة.
ولا بد أن يُعلم أن الكلام عن الحركة الجوهرية يكون ضمن ثلاثة مسويات رئيسية حتى لا يقع الاشتباه والخلط في بعضها مع البعض الآخر:
١ـ تعريفها .
٢ـ أدلتها .
٣ـ لوازمها .

ونجحت الحجة. وهذه الحجة كما ترى ـ كالحجج الثلاث السابقة ـ مبنية على تناهي العلل وانتهائها إلى علة غير معلولة هو الواجب (تعالى)[1].انتهى

وعند التأمل في هذه البراهين نجد أن البرهان الأول هو تقسيمٌ للوجود الذهني بمفهومين إما واجب الوجود ـ كما يعبرون في الفلسفة لأن من يرى أسماء الله توقيفية[2] لا يجوز نعته بأسماء لم ترد في النصوص الدينية ـ أي أوجد نفسه

---

[1]) انظر نهاية الحكمة / المرحلة الثانية عشر .

[2]) إن القول بتوقيفية الأسماء هو مذهب الإمامية كما يقول الشيخ المفيد ﷺ : إنه لا يجوز تسمية الباري تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ أو سماه به حججه من خلفاء نبيه ، وكذلك أقول في الصفات وبهذا تطابقت الأخبار عن آل محمد ﷺ وهو مذهب جماعة الإمامية وكثير من الزيدية والبغداديين من المعتزلة كافة وجمهور المرجئة وأصحاب الحديث ، إلا أن هؤلاء الفرق يجعلون بدل الإمام الحجة في ذلك الإجماع . أوائل المقالات،ص٥٥.

ومما يمكن أن يدلل به على توقيفية الأسماء ما روي عن أمير المؤمنين ﷺ:(لم يُطلع العقول على تحديد صفته.ولم يحجبها عن واجب معرفته).نهج البلاغة ج١،ص٩٧. الخطبة:٤٩. إذ لم يحجب العقول عن معرفته من خلال النصوص الدينية التي بينت صفاته.

وعن الإمام الكاظم ﷺ : (إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته فصفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك).أصول الكافي،ج١،ص١٥٠.

وعن الإمام الرضا ﷺ : (ليس لك أن تسميه بما لم يسمّ به نفسه).توحيد الصدوق،ص٤٥١.

وعنه ﷺ : (إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعته الناعتون).أصول الكافي،ج١،ص١٨٦.

بذاته ، وإما غير واجب الوجود الذي يستلزم ويتطلب وجوده واجب الوجود.

وأقل ما يُقال فيه أن الملحدين لا يقرون بحصر الوجود بمفهومين وعند التدقيق فيه نجد رجوعه وقيمته المعرفية تعود لقانون العلية : (كل معلول مفتقر لعلة) فلم يكن برهانا مستقلا عن البرهان الثاني الذي مفاده قانون العلية.

والبرهان الثالث الذي يُعرف ببرهان الحدوث نصت عليه أحديث أئمة الهدى صلوات الله عليهم ، وقد ذكر الشيخ الكليني ﵀ في الجزء الأول من أصول الكافي باباً تحت عنوان : (حدوث العالم وإثبات المحدث) أورد فيه بعض تلك الأحاديث[1] فهو برهان مقتنص من النصوص الدينية ولك أن تسميه ببرهان

---

[1]) سأل عبد الكريم المعروف بابن أبي العوجاء الإمام الصادق ﵇ : ما الدليل على حدث الأجسام ؟ فقال ﵇ : إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ولو كان قديما ما زال ولا حال لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأزل دخوله في العدم ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شيء واحد ، فقال عبد الكريم : هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت بذلك على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثهن ؟ فقال العالم ﵇ : إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع فلو رفعناه ووضعنا عالما آخر كان لا شيء أدل على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ولكن أجيبك من حيث قدرت أن تلزمنا فنقول : إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ضم شيء إلى مثله كان أكبر وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما أن في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيء يا عبد الكريم فانقطع وخزي .أصول الكافي،ج١،ص٥٦.

المحدثين ولا فضل للفلاسفة الإسلاميين بتشييده ، والملاحظ أن السيد الطباطبائي ﵀ أورد برهان المحدثين أو البرهان الروائي وعده من ضمن أدلة إثبات الخالق عز وجل بخلاف نظرة المبتدئين والمتحمسين للفلسفة يرون المحدثين لا وجود لهم ولا قيمة تذكر في خضم مباراة الملحدين.

والبرهان الرابع يندرج تحت مفاهيم الوجود الذهني ومن ثم يرجع إلى برهان العلية ويمكن التعبير عنه ببرهان العلية ولكن بطريق ذي مقدمات بعيدة.

والبرهان الخامس هو برهان الحدوث كالبرهان الثالث ولكن بتقرير آخر وقلنا أنه برهان نصت عليه النصوص الدينية.

والمصنف صرح برجوع البراهين الثلاثة لبرهان العلية بقوله المتقدم : (مبنية على تناهي العلل وانتهائها إلى علة غير معلولة هو الواجب تعالى). مما يعني أن هذه البراهين الثلاثة قيمتها المعرفية ترجع إلى قانون العلية وأيضا القيمة المعرفية للبرهان الأول والثاني ترجع لنفس النكتة .

وبرهان العلة والمعلول من مدركات العقل البشري ولم يكن مختصا بالفلسفة والفلاسفة ، ويعرفه حتى أعراب الصحراء وقد عبر عنه أحد أعرابها ببضع

وعن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﵇ ، أنه دخل عليه رجل فقال له : يا ابن رسول الله ما الدليل على حدث العالم ؟ قال : أنت لم تكن ثم كنت ، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك.توحيد الصدوق،ص٣٩٣.

كلمات : البعرة تدل على البعير والروث على الحمير وآثار الأقدام على المسير. فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير ؛ فلا يتوهم أصحاب التوجه الفلسفي أن مناقشة الملحدين مختصة بهم ولا يمكن لغيرهم الدنو من هذا الميدان ، وبكل تأكيد الكثير منهم يعرف أن الأدلة الفلسفية عبارة عن البديهة العقلية ومدركات العقل الإنساني إلا أن الكشف عن ذلك لا يصب في مصلحة الفلسفة ولذا كان التغاضي عن بيانه مما لا بد منه.

ومن هنا أقول لأصحاب التوجه الفلسفي الذي يعرفون أن قيمة أدلتهم ترجع لبديهة العقل كفاكم تسطيحا للعقول وإضفاءً لكم من المزايا ما لا تستحقون،ولا تضمروا في خلدكم قيمة الفلسفة ترجع لمدركات العقل وبداهته وإنما أعربوا عن ذلك وبينوه بكل جلاء ووضوح حتى تتصفون بشيء من الموضوعية والإنصاف ، كما أن على المبتدئين في الفلسفة أن لا تأخذهم حماسة الاتجاه الفلسفي ويجرون على سيرة أسلافهم من الانتقاص والتوهين للآخرين وإنما عليهم أن ينظروا للقيمة المعرفية التي لديهم هل تستوجب كل ذلك ـ ولو من خلال إرجاع المطالب الفلسفية إلى أصولها الأولية ـ أم أنها أدون من ذلك بكثير.

خلق الأشياء ما بين أئمة الهدى والفلاسفة

إن الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء ولا يعني ذلك أن اللا شيء عدم ، خلق الله تعالى منه الأشياء.وبعبارة أخرى : لم يكن العدم هو المادة الممدة والمنشأ للأشياء.

وقد توهم بعض الفلاسفة وغيرهم أن العدم شيء خلق الله تعالى الأشياء منه ولذا اعترضوا وقالوا أن خلق الأشياء من العدم يستلزم التناقض ـ كيف يخرج الشيء من العدم ـ لأنهم حسبوا لا شيء هو عدم موجود هكذا زعموا .

وقد كان منهم أن قالوا بوجود :(الهيولى) التي منها يكون منشأ الموجودات ؛ يقول السيد ابن طاووس : الفلاسفة قالت : إن الهيولي قديمة وأنها أصل العالم وإن الله ليس له في وجود الهيولي قدرة ولا أثر ، لأنهم ذكروا أنها لا أول لوجودها وهي عندهم مشاركة لله في القدم ، وقالوا : إن الله يصور منها الصور ، فليس له إلا التصوير فحسب، وقد بطل قولهم بما ثبت من حدوث العالم وحدوث كل ما سوى الله تعالى ، مع أن كلام الفلاسفة في ذلك ومرادهم مفهوم غير متناقض وإن كان باطلا[1].

---

[1]) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.ص٣٥٨.

وقد نفى الخواجة الطوسي والعلامة الحلي الهيولى تحت عنوان : (المسألة السابعة:في نفي الهيولى)[1].

ويقول العلامة المجلسي عند شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام:(لم يخلق الأشياء من أصول أزلية) : من أصول أزلية رد على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولي القديمة[2].

وقد نسب الشيخ محمد جعفر شريعتمدار (ت:١٢٦٣هـ) القول بالهيولى إلى أرسطو ومن تابعه[3].

والفخر الرازي نسب القول بقدم الهيولى لبعض الفلاسفة قائلا : ومنهم من سلم كونه سبحانه وتعالى عالما بحقائق الأشياء ، لكنه يقول الهيولى قديمة ، والبارئ يتصرف في فلك الهيولى القديمة[4].

ويقول التفتازاني (ت:٧٩٢هـ) في (شرح المقاصد)[5] : ما يدعيه الفلاسفة من تركب الجسم من الهيولي والصورة ، وكون الهيولي قديمة وكونها غير منكفة

---

[1]) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،ص١٥٤.

[2]) بحار الأنوار،ج٤،ص٢٩٦.

[3]) انظر البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة،ج١،ص٢٨١.

[4]) لوامع البينات،ص٢٠٦.

[5]) المقاصد هو كتاب مختصر في علم الكلام ثم شرحه بكتاب آخر سماه : (شرح المقاصد) ؛ يقول المصنف في مقدمة (شرح المقاصد) : انتهزت فرصة من عين الزمان وخفة من زحام

عن صورة ما دليل رابع على قدم العالم[1].

وممن ذهب إلى القول بوجود الهيولى من الفلاسفة الإسلاميين في العصور المتأخرة السيد الطباطبائي في نهاية الحكمة : (العدم نقيض الوجود ومن المستحيل أن يتخلل في مراتب نقيضه . وهذا المعنى ـ أعني دخول الأعدام في مراتب الوجود المحدودة وعدم دخولها المؤدي إلى الصرافة ـ نوع من البساطة والتركيب في الوجود)[2].

أي يقصد أن الأعدام ليست معدومة تماما وإنما لها وجود بسيط أو قل ضعيف،وهذا الوجود البسيط هو الهيولى والوجود الاستعدادي . والوجود البسيط لا يرفع التناقض بين كون الشيء موجودا ومعدوما في آن واحد ؛ إذ لا واسطة بين الوجود والعدم ، وحتى لو قلنا بوجود الواسطة بينهما لا يمكن نعت الشيء بالعدم وفي حال كونه معدوما يكون موجودا.

يقول الشيخ غلام فياضي شارحا كلام السيد الطباطبائي قوله : ((نوع من البساطة والتركيب في الوجود)) وهو التركب من الوجود والعدم ، ويعبّر عنه بالمحدودية وعدمها . ويستلزم هذا النوع من البساطة والتركيب نوعا آخر من البساطة والتركيب ، وهو التركيب من الماهية والوجود وعدمه ؛ فإن الماهية

الشوائب ، وأخذت في تصنيف مختصر موسوم بالمقاصد ، منظوم فيه غرر الفرائد ودرر الفوائد ، وشرح له يتضمن بسط موجزه ، وحل ملغزه ، وتفصيل مجمله ، وتبيين معضله.

[1]) شرح المقاصد،ج٣،ص١٢٤.

[2]) نهاية الحكمة،ص٢٧.

عندهم حد للوجود ، وعليه فالوجودات المحدودة مركبة من ماهية ووجود ، وأما الوجود الصرف الذي لا حد له فلا ماهية له . ثم لا يخفى عليك : أن كلا التركيبين اعتباريان ، فإن العدم لا شيئية له ، والماهية اعتبارية لا حقيقة لها[1].

ويؤكد الفياضي في موضع آخر من شرحه لنهاية الحكمة دخول الأعدام في الوجود المحدود وليس صرف الوجود ولا صرف العدم حيث يقول : (قد مر في الفصل الثالث من المرحلة الأولى أن التركيب والبساطة في الوجود بمعنى دخول الأعدام في الوجود المؤدي إلى الحدودية وعدم دخولها المؤدي إلى الصرافة)[2].

ويتطلب التنبيه إلى أمرين : الأول هو : شيء موجود ووجوده مركب من العدم والوجود وهذا على فرض وجوده ليس محلا للتناقض.

والآخر شيء لم يكن متحقق الوجود ولا العدم فلهذا نقول بتركب أصل تحقق وجوده من الوجود والعدم وهذا هو المسمى بالهيولى لا هي صرف الوجود ولا محض العدم وهي محل الكلام.

وخلق الله تعالى الأشياء من العدم المحض أو العدم بمعنى الوجود الضعيف (الهيولى) مخالف لأئمة الهدى صلوات الله عليهم :

---

[1]) شرح نهاية الحكمة،ج١،ص٩٤.

[2] شرح نهاية الحكمة،ج٤،ص١٣٨.

عن أمير المؤمنين عليه السلام : (الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا من شيء كوَّن ما قد كان)[1].

وروي عن الزهراء عليها السلام في الخطبة المعروفة بالفدكية : (ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته ، وذرأها بمشيته)[2].

وفي مسائل الشامي للإمام الباقر عليه السلام : قال الشامي : فالشيء خلقه من شيء، أو من لاشيء؟! فقال عليه السلام : (خلق الشيء لا من شيء كان قبله ، ولو خلق الشيء من شيء إذن لم يكن له انقطاع أبدا ، ولم يزل الله إذن ، ومعه شيء . ولكن كان الله ولا شيء معه)[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (والله خالق الأشياء لا من شيء كان)[4].

وقال الزنديق للإمام الصادق عليه السلام : من أي شيء خلق الله الأشياء ؟

قال : لا من شيء .

فقال : كيف يجئ من لا شيء شيء ؟

---

[1]) توحيد الصدوق،ص٦٩.
[2]) الاحتجاج،ج١،ص١٤٣.
[3]) توحيد الصدوق،ص٦٧.
[4]) أصول الكافي،ج١،ص١٦٢.

قال عليه السلام : إن الأشياء لا تخلو أما أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء ، فإن كان خلقت من شيء كان معه ، فإن ذلك الشيء قديم ، والقديم لا يكون حديثا ولا يفنى ولا يتغير ، ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهرا واحدا ولونا واحدا ، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى ؟ ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذي أنشئت منه الأشياء حيا ؟! ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتا ؟! ولا يجوز أن يكون من حي وميت قديمين لم يزالا ، لأن الحي لا يجئ منه ميت وهو لم يزل حيا ، ولا يجوز أيضا أن يكون الميت قديما لم يزل لما هو به من الموت ، لأن الميت لا قدرة له ولا بقاء .

قال : فمن أين قالوا أن الأشياء أزلية ؟

قال : هذه مقالة قوم جحدوا مدبر الأشياء فكذبوا الرسل ، ومقالتهم ، والأنبياء وما أنبأوا عنه ، وسموا كتبهم أساطير ، ووضعوا لأنفسهم دينا بآرائهم واستحسانهم[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام : (الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء ، ومبتدعها ابتداعا بقدرته وحكمته ، لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا يصح الابتداع)[2].

---

[1]) الاحتجاج،ج٢،ص٧٨.

[2]) أصول الكافي،ج١،ص١٥٣.

وعنه عليه السلام :(الله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء)[1].

هذا هو التوحيد إن كنت قاصدا إياه.والله أعلم حيث يضع إمامته.

وبعض المتفلسفين حاول التفريق بين : (لا من شيء) وبين (من لا شيء) فقالوا الجملة الأولى تفيد العدم المحض . والجملة الأخرى لا تدل على العدم بقول محض وإنما يوجد فيها مستوى من الوجود عبروا عنه بـ (الوجود الاستعدادي) و (الهيولى) مع أن كلا الجملتين تدلان على العدم المحض.

[1]) أصول الكافي،ج١،ص١٢٠.

القرآن والحديث يدعوان للعقل

إن القرآن الكريم والحديث الشريف يدعوان إلى العقل ولم يغفلا جانب العقل والتعقل والتفكر ؛ فليست هذه الجوانب حكرا على الفلسفة ، وإذا كان العقل مقصورا على الفلسفة علينا أن نتساءل أين كان العقل مخفيا قبل ظهور الفلسفة ؟!

والآيات في هذا المجال كثيرة كقوله تعالى : **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[1]

وقوله تعالى : **﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**[2]

---

[1]) سورة البقرة : ١٦٤ .

[2]) سورة الجاثية : ٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

ومن الأحاديث في هذا الجانب على سبيل المثال ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته . ويذكروهم منسي نعمته . ويحتجوا عليهم بالتبليغ . ويثيروا لهم دفائن العقول[2].

وعنه عليه السلام : (بصنع الله يستدل عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالنظر تثبت حجته ، جعل الخلق دليلا عليه ، فكشف به عن ربوبيته)[3].

وعنه عليه السلام : (الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور . ودلت عليه أعلام الظهور . وامتنع على عين البصير . فلا عين من لم يره تنكره . ولا قلب من أثبته يبصره. سبق في العلو فلا شيء أعلى منه . وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه . فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه . ولا قربه ساواهم في المكان به . لم يُطلع العقول على تحديد صفته . ولم يحجبها عن واجب معرفته . فهو الذي تشهد له أعلام الوجود . على إقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون به

---

[1]) سورة الرعد : ٣ .

[2]) نهج البلاغة،ص٣٤.

[3]) إرشاد المفيد،ج١،ص٢٢٤.

والجاحدون له علوا كبيرا)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (العجب من مخلوق يزعم أن اللّه يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله ، وتأليف يبطل حجته)[2].

ومما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قصور الدليل الحسي عن إدراك كنه الذات الإلهية : (وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل[3] فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود والتكذيب...فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها ، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها ، فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء نارا...فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ، ويدركها الحس ، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها ، فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم ؟! . فإن قالوا : ولم استتر ؟ قيل لهم : لم يستتر بحيلة يخلص إليها ، كمن يحتجب من الناس بالأبواب والستور. وإنما معنى قولنا استتر إنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه . وارتفعت عن إدراكها بالنظر فإن قالوا ولم لطف تعالى عن ذلك علوا كبيرا ؟ كان ذلك خطأ من القول ، لأنه لا

---

[1]) نهج البلاغة،ج١،ص٩٧.الخطبة:٤٩.ولا يخفى أن نهج البلاغة مليء بهذه الكلمات النورانية والدرر العلوية .

[2]) الإهليلجة،ص٦٩.

[3]) أي إنه بالعقل لا يدرك فما بالك بإدراكه بالحس!وبعبارة أخرى:من باب أولى أن لا يُدرك من خلال الحس.

يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مباينا لكل شيء ، متعاليا عن شيء سبحانه وتعالى)[1].

إن الماديين من الملحدين يقولون لا يوجد دليلٌ حسيٌ على وجود الله عز وجل وكل شي ما لم يقم عليه دليل حسي ينفون وجوده أو لا يقرون بوجوده على أقل تقدير مما يعني أن نظرية المعرفة والإدراك لديهم لا يتعدى حدود الحس والمادة.

وقد نُقض عليهم في الكتب التي تتحدث عن رد الإلحاد ونظرية المعرفة سواء كانت لمؤلفين إسلاميين أو غيرهم لأن الاقتصار على الدليل الحسي نظرية من نظريات المعرفة أو مدرسة من مدارسها وقد واجهت الرفض من قِبل اتجاهات متعددة.

وأفضل ما رُد به عليهم أن بعض الموجودات لم تكن مادية ومن ثم لا يمكن أن تدرك بالحس ومتعذرة المنال من خلال الدليل الحسي. وقد تحدث الإمام الصادق عليه السلام في نقض الدليل الحسي ورده قبل ألف سنة.

وأيضا الإمام الرضا عليه السلام بين قصور الدليل الحسي عن منال الذات المقدسة عندما قال له الزنديق : إذن إنه لا شيء إذ لم يدرك بحاسة من الحواس فقال

---

[1]) توحيد المفضل،ص١١٧-١١٩.

عليه السلام : (ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا خلاف الأشياء)[1].

إلى غير ذلك من الآيات والروايات المتضمنة دقائقها الجوانب العقلية ، فأي جهل وقع به أولئك الذين صرفوا العقل عن النصوص الدينية في الجوانب المعرفية .

من المناظرات اللطيفة التي رواها الشيخ المفيد رحمه الله مناظرة جرت من قِبل أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام مع أحد الملحدين :

دخل أبو الحسن علي بن ميثم على الحسن بن سهل وإلى جانبه ملحد قد عظمه والناس حوله ، فقال : لقد رأيت ببابك عجبا ، قال : وما هو؟ قال : رأيت سفينة تعبر بالناس من جانب إلى جانب بلا ملاح ولا ماصر[2] قال : فقال له صاحبه الملحد وكان بحضرته : إن هذا أصلحك الله لمجنون ، قال : فقلت : وكيف ذاك ؟ قال . خشب جماد لا حيلة له ولا قوة ولا حياة فيه ولا عمل كيف يعبر بالناس ؟

قال : فقال أبو الحسن : فأيهما أعجب هذا أو هذا الماء الذي يجري على وجه الأرض يمنة ويسرة بلا روح ولا حيلة ولا قوى ، وهذا النبات الذي يخرج من

---

[1]) توحيد الصدوق،ص٢٥١.الاحتجاج،ج٢،ص٤٥٨.

[2]) الماصِر في كلامهم الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدي صاحبها ما عليه من حق السلطان ، هذا في دجلة والفرات .لسان العرب،ج٥،ص١٧٧.

الأرض والمطر الذي ينزل من السماء تزعم أنت أنه لا مدبر لهذا كله وتنكر أن تكون سفينة تحرك بلا مدبر وتعبر بالناس ؛ فبهت الملحد[1].

عدم توقف رد شبهات وإثبات الخالق على الفلسفة

إن إثبات المطالب العقدية ودفع الشبهات حولها غير منوط بالفلسفة كما تولد هذا التوهم في أذهان بعض المندفعين نحوها ؛ عندما قدم الشيخ جعفر كاشف الغطاء أصفهان طرحوا عليه شبهات فلسفية وطلبوا منه الإجابة عنها فأجاب بما ينبغي لكن من دون استعمال المصطلحات المعهودة في الفلسفة فلم يقبلوا منه وقالوا : إنك لم تدرس الفلسفة فكيف تجيب عن هذه الأسئلة ؟

فقال : أجيب عنها من خلال مطالعاتي لروايات أهل البيت ونحن غير مأمورين ببيان الاصطلاحات العقلية بل نحن مكلفون بما تتحقق معه النتيجة[2].

ومراد الشيخ من الاصطلاحات العقلية هي الاصطلاحات الفلسفية وليس دور العقل في دحض الشبهات كما أن روايات العقائد تتضمن بيانات عقلية.

---

[1]) الفصول المختارة،ص٧٦.ورواه العلامة المجلسي ﷺ في بحار الأنوار،باب:مناظرات الإمام الرضا وأصحابه،ج١٠،ص٣٧٦ .

[2]) في مدرسة الشيخ بهجت،ج٢،ص١٤٩.

وحتى مناظرات الأئمة عليهم السلام مع الملحدين كانت بالمدركات العقلية وليست بالمصطلحات الفلسفية ، وإليك بعض النماذج لكي تتضح الصورة بشكل أجلى : روي أن الديصاني قال للإمام الصادق عليه السلام : يا جعفر بن محمد دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي فقال له أبو عبد الله عليه السلام اجلس وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال له أبو عبد الله عليه السلام ناولني يا غلام البيضة فناوله إياها فقال له أبو عبد الله عليه السلام يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبرا قال فأطرق مليا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأنك إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه[1].

وسأل ابن أبي العوجاء الإمام الصادق عليه السلام فقال : ما الدليل على حدوث الأجسام ؟ فقال : إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديما ما زال ولا حال ، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد

---

[1]) أصول الكافي،ج١،ص١٩٨.

عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأولى دخوله في العدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد[1].

وعدم توقف العقائد على الفلسفة صرح به جملة من الأعلام من ضمنهم السيد الخوئي ﵀ عندما سُئل : هل إن دراسة الفلسفة لازمة لطالب العلوم الدينية الذي يضع نفسه في موضع الأخذ والرد بالنسبة إلى سائر العقائد والأديان وهل هناك وجوب كفائي على طلاب العلوم الدينية في القيام بهذا الدور ، وهل يمكن إدخال هذا تحت عنوان كونه (أي الفلسفة) مقدمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كونه مقدمة للحفاظ على الدين أو كليهما ، وإن لم تكن لازمة لطلاب العلوم الدينية فهل فيها رجحان أو لا رجحان فيها أصلا،ثم إن دراسة الفلسفة على من تكون غير جائزة ـ أرجو أن توضحوا لنا جواب هذه الفقرة تماما ـ ولو فرضنا أن فهم علم أصول الفقه أو بعض أبوابه ـ فهما صحيحا كاملا ـ كان متوقفا عليها فهل هناك رجحان في دراستها عموما،أو بقيد أن هذا الطالب يكون له مستقبل جيد في الإفادة إن شاء الله ؟

فأجاب : لم يتضح لنا توقف ما ذكر على دراسة الفلسفة وقد تعرضوا للمقدار اللازم منها في طي أصول الدين والفقه ، وإذا خاف من الضلال إثر دراستها حرم وإلا فلا مانع منه في حد نفسه ، والله العالم[2].

---

[1]) أصول الكافي،ج١،ص١٩١.

[2]) صراط النجاة،ج١،ص٤٥٩.

التوافق أم التقاطع بين الفلسفة والكلام ؟!

إن الخواجة نصير الدين الطوسي ﵀ أول من وفق بين الفلسفة وعلم الكلام وذلك في كتابه المشهور (تجريد الاعتقاد) ؛ ولذا يقول السيد الأمين ﵀ عن التوفيق بين الفلسفة والكلام : (الواضع لبذرتها الخواجة نصير الدين الطوسي في التوفيق بين الفلسفة والكلام)[1].

ولكن ما هو المراد بذلك التوفيق هل أن الأبحاث الكلامية أيدت المطالب الفلسفية ؟ أم أن الأبحاث الفلسفية صيغت بصياغة كلامية ؟ أو أن الأبحاث الفلسفية أيدت المباني الكلامية ؟ أو المباني الكلامية صيغت بصياغة فلسفية ؟

والجواب : لم يحصل شيء من هذا القبيل إذ إن الخواجة الطوسي كل ما فعله في (تجريد الاعتقاد) هو أنه وضع المقاصد الأربعة المتعلقة بعلم الكلام بعد مقصدين متعلقين بالفلسفة لأن كتاب التجريد عبارة ستة مقاصد : منها مقاصد فلسفية مستقلة عن علم الكلام ، ومنها كلامية مستقلة عن الفلسفة ؛ فلم تدخل الفلسفة لعلم الكلام ، ودخولها لعلم الكلام لا يقول به إلا قليلو المعرفة والدراية . نعم توجد مصطلحات فلسفية نادرة جدا دخلت في علم الكلام مثل مصطلح واجب الوجود والعلة والمعلول ولكن العلة والمعلول في علم الكلام

---

[1]) أعيان الشيعة،ج٩،ص٣٢٥.

غير العلة والمعلول الفلسفيين[1] اللذين يلزم منهما نفي القدرة عن الخالق عز وجل.

وبسبب تقاطع الفلسفة مع العقائد والجدل الدائر بينهما على بعض المطالب توهم بعضهم الممازجة بينهما ، أو دخول الفلسفة لعلم الكلام . وموارد التقاطع جلها متعلقة بالباري عز وجل من قبيل قاعدة (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد)[2] ومع كونها لا دليل عليها يلزم منها نفي القدرة عن الخالق عز

---

[1]) تم بيان الفرق بينهما تحت عنوان : (نقاش الملحدين بالوجود الذهني كالنقاش بالقرآن والحديث) .

[2]) ملا صدرا والسيد الطباطبائي ذهبا لقاعدة الواحد خلافا للخواجة الطوسي والعلامة الحلي :

إن قاعدة الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد من القواعد الفلسفية المعروفة والرائجة في كتب الفلاسفة وهي مذهب الفلاسفة والمعتزلة كما نقل الخواجة الطوسي عن الفخر الرازي في (تلخيص المحصل) المعروف بنقد المحصل : (العلة الواحدة يجوز أن يصدر عنها أكثر من معلول واحد عندنا خلافا للفلاسفة والمعتزلة) . تلخيص المحصل،ص٢٣٧.

وترجع أصولها إلى فلسفة الفرس الثنويين كما يقول آقا بزرك الطهراني : (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد من الأصول الفلسفية عند الثنويين الفرس القدماء ، وتخلصا منه جاء النؤأفلاطونيون في الإسكندرية بنظرية العقول العشرة لإثبات التوحيد وعنهما أخذ الإشراقيون الصوفيون من المسلمين القائلين بوحدة الوجود وألفوا في الموضوع رسائل متعددة).الذريعة إلى تصانيف الشيعة،ج٢٥،ص٥.

وقد تبنى الملا صدرا قاعدة الواحد في أسفاره معنونا أحد فصولها : (في أن البسيط الذي لا تركيب فيه أصلا لا يكون علة لشيئين بينهما معية بالطبع) وأخذ الدفاع عن القاعدة وإبطال المؤاخذات عليها في نفس الفصل المذكور تحت عنوان : (شك وإزالة).الحكمة المتعالية،ج٢،ص١٦٨ .

والسيد الطباطبائي عقد الفصل الرابع من المرحلة الثامنة في نهاية الحكمة لإثبات القاعدة تحت عنوان : (في أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد).نهاية الحكمة،ص٢١٤

وقال أيضا في الفصل العشرين من المرحلة الثانية عشرة : قد تحقق في مباحث العلة والمعلول أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد ، ولما كان الواجب تعالى واحدا بسيطا من كل وجه، لا يتسرب إليه جهة كثرة لا عقلية ولا خارجية ، واجدا لكل كمال وجودي وجدانا تفصيليا في عين الإجمال ، لا يفيض إلا وجودا واحدا بسيطا له كل كمال وجودي لمكان المسانخة بين العلة والمعلول.نهاية الحكمة،ص٣٨١.

ولكن الخواجة الطوسي لم يتبن القاعدة عند كلامه في أدلة الجوهر المجرد قائلا : وأدلة وجوده مدخولة كقولهم الواحد لا يصدر عنه أمران ولا سبق لمشروط باللاحق في تأثيره أو وجوده وإلا لما انتفت صلاحية التأثير عنه لأن المؤثر هيهنا مختار .تجريد الاعتقاد،ص١٨٥

والعلامة الحلي أيضا ذهب إلى بطلان قاعدة الواحد عند شرحه لقول الخواجة : (عمومية العلة تستلزم عمومية الصفة) أقول : يريد بيان أن الله تعالى قادر على كل مقدور وهو مذهب الأشاعرة وخالف أكثر الناس في ذلك فإن الفلاسفة قالوا إنه تعالى قادر على شيء واحد لأن الواحد لا يتعدد أثره وقد تقدم بطلان مقالتهم.كشف المراد في شرح تجرد الاعتقاد،ص٣٠٨

وجل . و(الشيء ما لم يجب لم يوجد) ومضافا لعدم الدليل أيضا يلزم منها نفي القدرة ، والسنخية بين العلة والمعلول ؛ لأن الفلاسفة قالوا العلة الأزلية لا بد أن تكون علة لما يناسبها وهذا يعني التشبيه ، وقدم العالم ، والقول بالتجسيم ، ووحدة الوجود ، والحلول والاتحاد ، وأيضا إنكار المعاد الجسماني والمعراج الجسماني وعد الجنة والنار والملائكة من الأمور المجردة إلى غيرها من الأمور المخالفة للشريعة صريحا أو ظاهرا.

ولربما يستغرب بعض غير المتثبتين من كلامي وأقول لهم حتى لا تستغربوا يكفيكم أن تطالعوا المقاصد الأربعة في (تجريد الاعتقاد) والإلهيات بالمعنى

لو أن أحد العلماء أو الفضلاء رد على (قاعدة الواحد لا يصد عنه إلا الواحد) لقالوا عليه لم يفهم المقصود كما هو المعروف عند أصحاب التوجه الفلسفي أول ما يردون على منتقديهم أن يرموهم بعدم الفهم . ولا أدري هل يسعهم رمي الخواجة الطوسي والعلامة الحلي بعدم الفهم للقاعدة؟!

وليكن معلوما للمؤالف والمخالف للفلسفة على حد سواء أن كل القواعد والمطالب الفلسفية يوجد عليه نقض من نفس الفلاسفة إلا ما شذ وندر وهذا الاستثناء أيضا لا يخلو من كلام.

من طرائف الملا صدرا أنه طعن على الفخر طعنا شديدا لكونه لم يتبن قاعدة الواحد قائلا في كلامه : (أليس ذلك غيا وضلالا وحمقا وسفاهة). الحكمة المتعالية،ج٢،ص١٧٠.

الأخص التي تختص بوجود الخالق وصفاته في (نهاية الحكمة) وتطالعوا أيضا كتاب (الباب الحادي عشر) حتى تعرفوا أن المذكور فيها هو أمور عقلية ـ المطالب المذكورة فيها أثناء الكتب الفلسفية أخذتها (كتب الفلسفة) من الكلام ـ قلما يوجد فيها مصطلح فلسفي.

والخبير الذي له القدرة على المطالعة والتشخيص يعرف ذلك جيدا ، ومن هنا السيد الطباطبائي في الميزان بعد أن ذكر أسماء الذين راموا التوفيق بين الدين والعرفان ، وبين الفلسفة والعرفان ، وبين الدين والفلسفة لم يذكر توفيق الخواجة بين الفلسفة وعلم الكلام بل هو لم يذكر التوفيق بين الفلسفة وعلم الكلام مطلقا لأن الغائر في بطون الكتب بعيدا عن صخب الغثاء يعلم جيدا أن لا توفيق حاصل في البين.

والشيخ باقر الإيرواني حفظه الله في درسه الأول لشرح التجريد طرح سؤالا : هل كتاب (تجريد الاعتقاد) كلامي أو فلسفي ؟ وأجاب أن هذا الكتاب فلسفيٌ كلاميٌ ، مما يعني قسما منه في الفلسفة وهما المقصدان الأولان من الكتاب ، وقسما آخر كلامي كما في المقاصد الأربعة المتبقية . وبعد ذلك ذكر أنه سمع من الشيخ جوادي الآملي ـ من خلال الراديو ـ يقول : أن الخواجة الطوسي كان غرضه إثبات خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا أنه قدم هذه المقدمة في الفلسفة.انتهى

وكأنه يريد لكتابه المتضمن لإثبات الوصية أن ينتشر بين المسلمين لأنه لو كان بعنوان الإمامة لم ينتشر للأسباب المعروفة من قبيل منعه في بعض البلدان أو

تحريم قراءته وغير ذلك مما يعني أن فعله هذا أشبه بالمكيدة والحيلة في إيصال المراد لأكبر عدد من المسلمين.

الفلسفة بالمعنى الأعم والأخص

الإلهيات بالمعنى الأخص والتي يتطرق إليها في الفلسفة لإثبات وجود الخالق وصفاته ، والمفيد منها يرجع للجنبة البرهانية في النصوص الدينية ذات الأبعاد التوحيدية وللعقل ، وقد تقدم أدلة إثبات وجود الخالق عز وجل في كتاب (نهاية الحكمة) وتبين أن المهم منها مبني على مدركات العقل[1] .

وأما الإلهيات بالمعنى الأعم وهي التي يبحث فيها عن الوجود فقد أضحت الفلسفة فيها متأخرة جدا ولا يمكن مقايستها بالعلوم التجريبية ، وهنا أكتفي بقول الشيخ جعفر السبحاني المؤيد لِما أقول لأنه مقبول عند أصحاب الاتجاه الفلسفي : (علماء الطبيعة من عصر النهضة إلى زماننا هذا ، قد توغلوا في العلوم الطبيعية وشققوا الشعر في تلك الحقول ، وذلك بفضل أدوات التجربة التي أوجدت ضجة وتحولا كبيرين في هذا المجال فصار البحث عن العلوم الطبيعية الدارجة في الكتب الكلامية ، شيئا غير مفيد إلا أن يكون لأجل الوقوف على آراء المتقدمين من الباحثين الذي يطلق عليه تاريخ العلم)[2].

وبصورة عامة يمكن تقسيم الأبحاث الفلسفية إلى قسمين :

---

[1]) انظر عنوان : (الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق) .

[2]) الإلهيات،ج١،ص١٣.

القسم الأول : هو المدركات العقلية الموجودة بأصل خلقة البشر ، وجميعهم على مختلف تخصصاتهم وطبقاتهم يعرفونها ويجرون على وفقها وإن اختلفوا في العبارات والمصطلحات ـ مثل إدراك عامة الناس امتناع أن يكون الشيء إنسانا وغير إنسان والذي يُعبر عنه بالفلسفة بامتناع اجتماع النقيضين ـ إلا أن أصل المعنى هو نفسه ولم يتغير نظير توقف وجود المعلول على علته ، واستحالة وجوده من غير علة ، واستحالة اجتماع النقيضين ، والكل أعظم من جزئه . ومطالب هذا القسم هي التي يستفاد منها في إثبات وجود الخالق ودحض أقاويل منكريه ، كما أنها (مطالب هذا القسم) هي الميزان لجميع البحوث في كافة العلوم وما عليه العقلاء في سيرتهم وشؤونهم في حياتهم وأعمالهم وليست مختصةً أو حكرا على الفلسفة.

القسم الثاني : هو الآراء والأفكار النظرية كغيرها من الآراء والأفكار النظرية المطروحة في غير الفلسفة مثل أصالة الوجود والماهية والعقول العشرة والهيولى... وأيضا يندرج في هذا القسم البحوث الثانوية النظرية المتفرعة من البديهيات مثل بعض المطالب الثانوية في الوجود وغيره من البديهيات.

وهذا القسم هو الذي يكون محلا للنقد والجدل وبشكل عام ينقسم إلى قسمين: الأول تعارضه مع الدين والآخر ما لا يتعارض مع الدين إلا أنه لا يخلو من النقض والمؤاخذات عليه.

دخالة الفلسفة على الأصول

حسب الكثيرون من دارسي علم الأصول أن الأبحاث الأصولية مليئة بالفلسفة ولا يمكن تجريدها من الأصول ، ولم يتفطنوا إلى أن تلك البحوث هي بحوث عقلية ترجع إلى الحصر العقلي والملازمات العقلية وكليات العقل وبديهياته ، ولكن تارة يُعبر عنها بمصطلحات فلسفية ، ولذا يمكن تجريدها من المصطلحات وصياغتها والتعبير عنها ببيان آخر ، كما أن بعض الأبحاث الفلسفية لا موجب لإقحامها في الأصول أصلا ، مثل بعض أبحاث : تعريف علم الأصول ، ومقدمة الواجب ، وامتناع الشرط المتأخر لاستحالة تقدم المعلول على علته زمانا ، وامتناع اجتماع الأمر والنهي ، وامتناع اجتماع الحكم الواقعي والظاهري لاستحالة اجتماع الضدين والمثلين ، مع أنه لا تضاد في الاعتباريات ، والاعتراض على عدم حجية الأصل المثبت بأن ذلك مستلزم للتفكيك بين اللوازم والملزوم[1] ، ولم يتنبهوا إلى أن هذه الأبحاث هي أبحاث

---

[1]) إن كل موضوع له اثر شرعي لابد في ترتيب أثره عليه من إحراز ذلك الموضوع بالقطع أو بإمارة معتبرة أو بأصل عملي ، فإن أحرز بالقطع فلا إشكال ولا كلام في لزوم ترتيب آثار نفس ذلك الموضوع وآثار جوانبه . بيانه أن الشيء يتصور له جوانب أربعة : اللازم والملزوم والملازم والمقارن ؛ فحياة زيد ملزوم وتنفسه وتغذيه وتلبسه ونبات لحيته لوازم عقلية وعادية والتنفس بالنسبة إلى نبات اللحية ملازم ، وفيما لو حصل العلم الإجمالي بموت زيد وعمرو فموت كل منهما بالقياس إلى حياة الآخر مقارن ، ثم إنه لا إشكال في أن

القطع بالشيء مستلزم للقطع بتحقق جميع لوازمه ، فحينئذ إذا كانت تلك الجوانب لها آثار شرعية فلا إشكال في لزوم ترتيب آثارها عند القطع بأصل الشيء لأن الجوانب أيضا تكون محرزة بالوجدان كنفس الشيء . وأما لو لم يحصل القطع وكان حياة زيد مثلا مشكوكة فمن الواضح أن الجوانب أيضا تكون مشكوكة بالوجدان ، إذ كما أن القطع بالملزوم مستلزم للقطع باللازم فكذلك الشك فيه مستلزم للشك فيه ، فإذا فرضنا قيام أمارة معتبرة على الشيء كإخبار البينة عن حياة زيد فلا إشكال في لزوم ترتيب آثار نفس الحياة من حرمة التصرف في ماله وحرمة تزويج زوجته ووجوب الإنفاق عليه فإنه معنى تصديق البينة في إخبارها ، وأما الآثار الشرعية المترتبة على الجوانب كما إذا كان ناذرا للتصدق بدرهم لو كان زيد متنفسا وبدينار لو كان متلبسا أو إذا نبت له لحية فالظاهر أيضا وجوب ترتيب تلك الآثار بمجرد قيام البينة على حياة زيد إذ لا إشكال في أن إخبار العادل بالحياة كما أنه حاك في نفس الحياة بالمطابقة حاك عن الجوانب بالملازمة والشارع كما أمر بالعمل على ما حكى عنه بالمطابقة أمر بالعمل على ما حكى عنه بالملازمة فيجب ترتيب آثار الجميع وهذا معنى ما يقال إن مثبتات الأمارة حجة ، ومرادهم أن الأمارة تثبت لوازم ما أدى إليه أيضا وجوانبه فيجب ترتيب آثارها . هذا حال الأمارات وأما الأصول العملية الجارية في الموضوع عند عدم الأمارة كاستصحاب حياة زيد مثلا فهل يثبت بها نفس الحياة ويجب ترتيب آثارها فقط أو يثبت بها آثار المستصحب وآثار جوانبه كالأمارة وجهان بل قولان :أشهرهما انه لا يثبت به الآثار نفسها وأما آثار الجوانب كما عرفت فلا تكاد تترتب بإجراء الاستصحاب في نفس الحياة ، فلو أريد إثبات تلك الآثار فلا بد من إجراء استصحاب آخر بالنسبة إلى كل من الجوانب لو كان لها حالة سابقة وجودية ؛ فاستصحاب الحياة ينفع لترتيب حرمة التصرف في ماله وأما لزوم التصدق بدرهم أو دينار في المثال السابق فإثباته يحتاج إلى إجراء الاستصحاب في نفس التنفس والتلبس وهذا معنى ما اشتهر من أن الأصل المثبت غير حجة ، ومرادهم أن الأصل الذي يراد به إثبات اللوازم للمستصحب ليترتب عليها آثارها لا

دخيلة على الأصول ، ولو تم تجريدها منه لم يختل فيه شيء . وسبب هذا التوهم أنهم بعد ما رؤوا أبحاثا فلسفية في الأصول حسبوها أصيلة فيه ، وغاب عنهم دخالتها ، وهذا هو حال الطالب إذا لم يتنبه يفوته الكثير وتغيب عنه حتى أساسيات العلم.

ومن هنا كان العلماء يقولون بتهذيب علم الأصول من الأبحاث الفلسفية النظرية لأنهم يرون إقحامها فيه مما لا مبرر له ، إلا بعض أصحاب المسلك الفلسفي طغى عليهم توجههم حتى صاروا يقرؤون كل شيء من خلال الفلسفة ، وعلى ما يبدو أن منهم من أدرج الفلسفة في الأصول ويرى ضرورتها فيه من باب الانتصار للفلسفة.

ولكن يرى السيد الطباطبائي ﷺ أن علم الأصول في غنًى حتى عن البحوث العقلية فضلا عن الأبحاث الفلسفية النظرية ومن هنا يقول في حاشيته على

يكون بحجة . فان قلت إذا حكم الشارع بحياة زيد مثلا بالاستصحاب فلازمه ترتيب آثار التنفس والتلبس ونحوهما أيضا إذ الملازمة بينهما واضحة عقلا وعادة فكيف يحكم بترتيب آثار الحياة دون آثارها . قلت المفروض أن أصل الحياة ولوازمها كلها مشكوكة وجدانا وحكم الشارع بترتيب الآثار تعبدا لم يثبت إلا في خصوص ما وقع مجرى الاستصحاب وهو الحياة فالجوانب لم تحرز بعد بالقطع ولا بحكم تعبدي بترتيب آثارها .اصطلاحات الأصول للمشكيني،ص٥٩.

الكفاية : البرهان غير مستعمل في المباحث الأصولية في الحقيقة إذ العقلاء لا يبنون في القضايا الاعتبارية المتداولة عندهم إلا على أصول بناءاتهم من ضرورة الحاجة أو اللغو ، وأما القضايا الأولية ، وما يتفرع عليها من النظرية فلا تنتج طلبا ولا هربا ، ولا وضعا ، ولا رفعا ، ولا ما ينتهى إلى ذلك بل تصديقا بنسب حقيقية نفس أمرية فافهم . ذلك مضافا إلى ما تحقق في محله : إن القضايا الاعتبارية من حيث هي اعتبارية لا يقام عليها برهان[1].

كما أن الشيخ مرتضى مطهري يرى فصل الأمور الاعتبارية (كعلم الأصول مثلا) عن الأمور النظرية البرهانية فيقول ما نصه : المفاهيم الحقيقية مترابطة بذواتها فأرضية الحركة الفكرية متوفرة بين هذه المفاهيم ، ومن هنا يمكن للذهن عبر تشكيل القياسات والبراهين المنطقية أن ينجح في الانتقال من حقائق إلى حقائق أخرى . أما في الاعتباريات فالعلاقة بين المحمولات والموضوعات اعتبارية ووضعية دائما ، وليس هناك أي مفهومٍ اعتباري ذي علاقة واقعية بمفهومٍ حقيقي أو بمفهوم اعتباري آخر ، ولذا تعدم أرضية الحركة الفكرية المنطقية للذهن في الاعتباريات ، وبعبارة أخرى أقرب للغة المنطق : لا يمكننا عبر دليل مؤلف من قضايا حقيقية (برهان) أن نثبت قضية اعتبارية ، كما لا يمكننا أن نثبت بدليل مؤلف من قضايا اعتبارية حقيقة من الحقائق ، ولا يمكننا أيضا أن نؤلف برهانا من قضايا اعتبارية ونستنتج أمرا اعتباريا منها . مثلا : في عالم القضايا الحقيقية لدينا الأمور التالية : تقدم الشيء على نفسه ، الترجيح

---

[1]) حاشية الكفاية،ج١،ص١٥.

بلا مرجح ، تقدم المعلول على علته ، التسلسل والدور في العلل ، توارد العلل المتعددة على المعلول الواحد ، صدور المعلولات المتعددة من العلة الواحدة ، وجود العرض بلا موضوع ، اجتماع العرضين المتماثلين أو المتضادين في موضوعٍ واحد ، التقدم الزماني المشروط بشرط (محال) . انتفاء الكل بانتفاء الجزء ، انتفاء المشروط بانتفاء الشرط ، انتفاء الممنوع بوجود المانع (ضروري) . جعل الماهية ، جعل المفاهيم الانتزاعية كالسببية والمسببية (غير معقول) .

يمكن في عالم الحقائق التمسك بهذه الأصول العامة للإثبات والنفي ، يعني في مورد أمر حقيقي يمكن الاتكاء على أحد الأصول العامة المتقدمة ، كاستحالة تقدم الشيء على نفسه ، والترجيح بلا مرجح ، واستنتاج نتيجة لإثبات أو نفي أمر ما . كما يمكن الاتكاء في موضوع العلة والمعلول الحقيقي على قانون امتناع تقدم المعلول على علته ، وامتناع التسلسل والدور في العلل ، وامتناع توارد العلل الكثيرة على المعلول الواحد ، وصدور المعلولات المتعددة من العلة الواحدة ، والاتكاء في العرض والموضوع الحقيقي على استحالة وجود العرض بلا موضوع واجتماع المثلين والضدين ، والاتكاء في موضوع الشرط والمشروط الحقيقي على امتناع تقدم المشروط على الشرط ، وفي موضوع الكل والجزء الحقيقي بانتفاء الكل بانتفاء الجزء . أما في العلة والمعلول الاعتباريين ، والشرط والمشروط الاعتباريين ، والعرض والموضوع الاعتباريين ، والجزء والكل الاعتباريين فلا يمكن التوسل بأي من هذه الأصول والقواعد ، والحصول على نتيجة منطقية ، لأن تقدم الشيء على نفسه والترجيح بلا مرجح وتقدم المعلول على علته و ... في الاعتباريات ليس محالا ، وانتفاء الكل

بانتفاء الجزء والمشروط بانتفاء الشرط و ... ليس ضروريا في الاعتباريات ، وجعل الماهية والسببية و ... ليس بأمر غير معقول في الاعتباريات . من هنا تتضح السلبية والخطورة البالغة للخلط بين الاعتباريات والحقائق من زاوية منطقية ، ويتضح أيضا أن الأدلة التي ترتكب هذا الخلط تفتقر إلى القيمة المنطقية ، سواء ارتكن الباحث لإثبات الحقائق إلى الأمور الاعتبارية ، كما هو الحال في أغلب أدلة المتكلمين ، الذين استخدموا بشكل عام قاعدة الحسن والقبح وسائر المفاهيم الاعتبارية ، مبتغين من وراء ذلك الإفادة بذلك في أبحاث المبدأ والمعاد ، وكما هو الحال في كثير من أدلة الماديين ، الذين حسبوا أن أحكام الأمور الاعتبارية وسماتها صادقة في الأمور الحقيقية ، أم ارتكن الباحث لإثبات الأمور الاعتبارية إلى القواعد والأصول الخاصة بالأمور الحقيقية ، وقد تقدمت أمثلتها في المتن أعلاه، نظير معظم الأدلة التي تستخدم عادةً في أبحاث علم أصول الفقه[1].

ويقول غلام علي رجائي :

زارنا الإمام يوما في منزلنا بمعية أحد علماء تبريز الكبار اسمه الميرزا رضي وهو من تلامذة المرحوم الآخوند ولكن لم يكن له تلامذة كثيرون بسبب حالات خاصة أمتاز بها أما الإمام فقد كان عارفا بسوابقه ومنزلته العلمية ولذلك كانت تربطه به علاقة صداقة وثيقة وقد جاءت هذه الزيارة أيام الشتاء

[1]) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي،ج١،ص٥٣٠.

وكنا نضع في المنزل جهاز التدفئة (الكرسي) وكانت توجد عليه حاشية المرحوم الكمباني في الأصول ورغم أن الميرزا رضي كان من تلامذة المرحوم الآخوند إلا أنه كان يقول بلزوم تنقية البحوث الأصولية من المباحث الفلسفية لذلك فإنه عندما رأى حاشية الشيخ الكمباني قال بلهجة معترضة : أي كتاب هذا ؟! لقد خلطوا الفلسفة بالأصول[1].

ويرى السيد علي السبزواري نجل المرجع الراحل السيد عبد الأعلى السبزواري ﵀ الفلسفة المسماة بالعلوم العقلية أوهاما أفسدت الفقه إذ يقول : إن الاهتمام بالروايات قد ضعف عند أهل العلم ، مع أن معرفة علوم الأئمة ﵈ والاهتمام بمعارفهم هو الأصل والأساس في كل معرفة علمية ، ولكن لا نرى ذلك في الحوزات العلمية ، حيث لا يكاد أحد من الطلاب يحفظ حديثا ، أو تكون له القدرة العلمية الكافية في فهم كلمات الأئمة ﵈ ، أو يفسرها على الوجه المطلوب ، فقد تركوا اللب وأخذوا بالقشور ، واستغلوا الفراغ العلمي ليملؤوه بأوهام أسموها علوما ، وصبوا جل اهتمامهم عليها ، وقد كان علماء المتقدمون على دراية تامة بهذا الأمر ، وأبدوا تخوفهم من ضياع الفقه وخروجه عن وظيفته المقررة شرعا ، وهي الوصول إلى معارف الأئمة ﵈ ومراداتهم ، ولكن المتأخرين دسّوا في هذا العلم علوما أخرى ، وكان من

---

[1]) قبسات من سيرة الإمام الخميني (في ميدان التعليم الحوزوي)،ص١٦٣ .

أشدها قوةً عليه العلوم العقلية ، فمسخ الفقه[1] وشوه صورته . ومن شاء الاستزادة فليراجع تاريخ فقه وسيرة الفقهاء في هذا الموضوع المهم[2].

دعوى عدم إمكان الرد على الفلسفة إلا لمن درسها

إن أصحاب المسلك الفلسفي يقولون لا يحق الرد على الفلسفة إلا لمن درسها ، وهم بهذا يجعلون بينهم وبين من ينتقدهم ستارا وحائلا يتشبثون به ، وأيضا يغررون أتباعهم ويصمون أسماعهم وأفكارهم عن كل نقد يوجه إليهم ، كما أن للجهل المركب نصيب في الكثير منهم مما يعني زعمهم لهذه الدعوى لم يكن منشأه الإيهام والتغرير وإنما الاشتباه وعدم إدراكهم حدود ما يتداولونه..

وفي مقام الإجابة عن هذه الدعوى التي تشبث بها هؤلاء : هو أننا لا نحاكم أو ننظر للفلسفة من نفس الفلسفة ، وإنما نرد عليها من خلال العقل ، ومن خلال الدين الذي تتعارض معه بعض المطالب الفلسفية مع أن الكثير من أتباع الفلسفة أو الذين كانوا يكبرونها تغيرت نظرتهم نحوها في نهاية المطاف بعدما خاضوا غمار الفلسفة ووقفوا على مطالبها . ومن أولائك الذين تغيرت نظرتهم تجاه الفلسفة : الفيض الكاشاني والسيد المرجع البروجردي والسيد محمد باقر الصدر والشريعتمداري صاحب التعليقة على شرح المطهري على

---

[1]) بعد تحكيم المباني الفلسفية في الأصول وترتيب الأثر عليها في الفقه .

[2]) مباحث في المنظومة الروائية الشيعية ص٨٤-٨٥ .

المنظومة (رحمهم الله) والسيد السيستاني وغيرهم كما يأتي إن شاء الله ذكر كلماتهم في عنوان:(العلماء الذين تركوا الفلسفة والتصوف في نهاية المطاف).

ثم إن من الذين درَسوا ودرّسوا الفلسفة ابتغاءً للمعرفة ونصرة الدين علقوا بالوحل وغدوا يعتقدون ويقدمون معتقداتها على عقائد الدين ويتبنون لوازمها الفاسدة ؛ فلا دراسة الفلسفة تعصم عن مفاسدها ولا عدم الدراسة ، وإنما شيء آخر وهو معرفة جذورها وموارد تقاطعها مع الدين.

ولكن قد يُقال : كما أنه لا يمكن الرد على علم الفقه والأصول ونحوهما من العلوم لمن يجهلها لا يمكن الرد على الفلسفة لمن لم يدرسها.

والجواب : لا يمكن لمن يجهل علم الفقه والأصول ونحوهما أن يرد عليها ويناقش مبانيها لأن هذه العلوم هي علوم اعتبارية تتطلب معرفة ما اعتُبر فيها ، أما الفلسفة فليست أمورا اعتبارية ، وإنما بعضها يرجع لمدركات العقل والبعض الآخر أفكار وآراء نظرية أبداها الفلاسفة لفهم الوجود ورؤيتهم عنه من خلال تفكيرهم ونظرهم ؛ ففي كلا القسمين يكون العقل ومدركاته هو الحاكم فيها وبعبارة أخرى يمكن تحكيم العقل فيهما.

وقد تقدم[1] في هذه المجال الاعتراض على الشيخ جعفر كاشف الغطاء عندما طرحوا عليه شبهاتٍ فلسفية وطلبوا منه الإجابة عنها فأجاب بما ينبغي لكن من

[1]) في عنوان : (عدم توقف رد شبهات وإثبات الخالق على الفلسفة) .

دون استعمال المصطلحات المعهودة في الفلسفة فلم يقبلوا منه وقالوا : إنك لم تدرس الفلسفة فكيف تجيب عن هذه الأسئلة ؟

فقال : أجيب عنها من خلال مطالعاتي لروايات أهل البيت ونحن غير مأمورين ببيان الاصطلاحات العقلية بل نحن مكلفون بما تتحقق معه النتيجة[1].

الخط المأموني وترجمة كتب الفلسفة

إن ترجمة فلسفة اليونان كان منذ زمن بني أمية ومن ثمار الشجرة الملعونة حيث نقل ابن النديم (ت:٤٣٨هـ) : (كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية . وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة)[2].

وذكر ابن أبي الحديد (ت:٦٥٦هـ) متحدثا عن خالد بن يزيد بن معاوية : (كان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل

---

[1]) في مدرسة الشيخ بهجت،ج٢،ص١٤٩.

[2]) فهرست ابن النديم،ص٣١٣.

صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات)[1].

ويقول العلامة المجلسي ﷺ : (ت:١١١١هـ) : (المشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية)[2].

وقد كان لبني العباس أيضا الدور الكبير في ترجمة الكثير من كتب الفلسفة لا سيما المأمون حيث نقل الذهبي (ت:٧٤٨هـ) : (قيل : إن المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس)[3].

وقد عد الذهبي من أعمال المأمون تعريب الكتب : (قرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ، وأمر بتعريب كتبهم ، وبالغ ، وعمل الرصد فوق جبل دمشق ، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ)[4].

ويقول ابن أبي أصيبعة (ت:٦٦٨هـ) : (إن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه

---

[1]) شرح نهج البلاغة،ج١٥،ص،٢٥٨.
[2]) بحار الأنوار،ج٥٧،ص١٩٩.
[3]) سير أعلام النبلاء،ج١،ص٢٧٨.
[4]) سير أعلام النبلاء،ج١٠،ص٣٧٣.

أمرهم بنقله فنقل وقد قيل إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلد الروم وأحضر المأمون أيضا حنين ابن إسحاق وكان فتي السن وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربي وإصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره ومما يحكى عنه أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلا بمثل وقال أبو سليمان المنطقي السجتاني أن بني شاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة)[1].

وذكر ابن خلكان (ت:٦٨١هـ) عند ترجمة حنين بن إسحاق : (حنين ابن إسحاق أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور كان إمام وقته في صناعة الطب وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة وهو الذي عرب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية وجاء ثابت بن قرة المقدم ذكره فنقحه وهذبه وكذلك كتاب المجسطي وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت وكان حنين المذكور أشد الجماعة اعتناء بتعريبها وعرب غيره أيضا بعض الكتب ولولا ذلك التعريب لما أنتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان لا جرم كل كتاب لم يعربوه باق على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة وكان مغرما المأمون بتعريبها وتحريرها

[1]) عيون الأنباء في طبقات الأطباء،ج١،ص٢٦٠.

وإصلاحها ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضا اعتنوا بها لكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر)[1].

ويتحدث الصفدي (ت:٧٦٧هـ) عن المأمون : (أحضر حنين بن إسحاق إذا لم يجد من يضاهيه في نقله وسأله نقل كتب اليونان إلى اللغة العربية وبذل له من الأموال والعطايا شيئا كثيرا وكتب المأمون إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاء الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع وأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن المطران وابن البطريق وسلمان صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا وقيل أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلا بمثل)[2].

ويقول ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ) : (كتب أرسطو فيه موجودة بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجا وفي كتاب الإشارات وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحها متبعا له غير مخالف وألف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة)[3].

---

[1]) وفيات الأعيان،ج٢،ص٢١٠.

[2]) الوافي بالوفيات،ج١٣،ص١٣٧.

[3]) تاريخ ابن خلدون،ج١،ص٤٩٢.

والمقريزي (ت:٨٤٥هـ) يصف المأمون بأنه أثر في الإسلام أقبح أثر عندما عرب كتب الفلاسفة إذ يقول : (المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر في الإسلام أقبح أثر وهو أنه عرب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والإلحاد الإسلام وأهله)[1].

وقد كان غرض أعداء أئمة الهدى صلوات الله عليهم من تعريب كتب الفلسفة هو من أجل إبعاد المسلمين عن الأئمة واللبس على هداهم ، يقول العلامة المجلسي ﷺ : (هذه الجناية على الدين ، وتشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين ، من بدع خلفاء الجور المعاندين لائمة الدين ، ليصرفوا الناس عنهم وعن الشرع المبين . ويدل على ذلك ما ذكره الصفدي في شرح لامية العجم : إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى ـ أظنه صاحب جزيرة قبرس ـ طلب منهم خزانة كتب اليونان ـ وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد ـ فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد فإنه قال : جهزها إليهم ، ما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت الاختلاف بين علمائها . وقال في موضع آخر : إن المأمون لم يبتكر النقل والتعريب ـ أي لكتب الفلاسفة ـ بل نقل قبله كثير ، فإن يحيى بن خالد بن برمك عرب من كتب الفرس كثيرا مثل (كليلة ودمنة) وعرب لأجله كتاب (المجسطي) من كتب اليونان . والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء .

---

[1]) النزاع والتخاصم،ص١٤٨.

ويدل على أن الخلفاء وأتباعهم كانوا مائلين إلى الفلسفة ، وأن يحيى البرمكي كان محبا لهم ناصرا لمذهبهم ما رواه الكشي بإسناده عن يونس بن عبد الرحمان ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام[1] شيئا من طعنه على الفلاسفة ، فأحب أن يغري به هارون ويضربه على القتل[2].

ويقول الميرزا القمي (ت:١٢٣١هـ) ﷺ صاحب القوانين : (حكاية العقول العشرة[3] وطريقة الفلاسفة فإن ذلك بدأ من نحوسة المأمون الملعون حيث أراد أن يثبت عدم أهلية الإمام الرضا عليه السلام للإمامة فجمع من علماء اليهود والنصارى والصابئين والمجوس وغيرهم وحينما غلبهم الإمام عليه السلام طلب المأمون كتب الفلاسفة من سلطان الروم فأرسلها إليه فأمر المأمون بترجمتها إلى العربية ونشروها بين الناس لعل الناس يتراجعون عن الإمام الرضا عليه السلام وبمقتضى مقولة أن الناس على دين ملوكهم مال الناس إلى طلب هذه العلوم وقد مشى السلاطين اللاحقون على درب السابقين ورغب الناس فيها تقربا إلى الحكام حتى آل الأمر إلى أن ظن الحمقى من الطلبة أن العلم منحصر فيها وأصروا

---

[1]) روي عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئا من طعنه على الفلاسفة ، وأحب أن يغري به هارون ويضربه على القتل. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)،ص١١٤.

[2]) بحار الأنوار،ج٥٧،ص١٩٩.

[3]) يقول الشيخ محمد جواد البلاغي ﷺ : (الفارق بين الاعتراف بحقيقة الإلهية وبين المزاعم المستحيلة في مسألة العقول العشرة المبنية على التقليد الأعمى للفلسفة اليونانية).رسالة في البداء،ص٢٤.

على ذلك واستخفوا بقواعد الشرع والدين إلى الحد الذي قد يبلغ عمر أحدهم الستين أو السبعين وهو لا يعرف شيئا من أحكام العبادات . وببركة جهود ثلة من علمائنا في العصور الأخيرة الذين نصحوا ملوك زمانهم وحذروهم من خطر هذه العقائد ، وهن أمر أولئك وأصبحت الأمور على ما يرام والحمد لله . والآن حيث وصلت الدولة والسلطة إلى سلطاننا ـ الذي هو صفوة ملوك الدهر وصاحب العقائد الحقة وناشر الدين والمذهب ـ حاول بعض شياطين الأنس أن يفسدوا عقيدته ويستميلوه إلى طريقتهم الباطلة لكي تفسد عقيدة الناس بمقتضى مقولة الناس على دين ملوكهم)[1].

إن المأمون العباسي على ما يبدو كان له الدور الأكبر في ترجمة أفكار اليونان ونشرها ؛ ولذا هؤلاء الذين يهتمون بالفلسفة ونشرها وإضفاء عليها ما لا تستحق يواكبون مسيرة أئمة الجور في هذا الجانب وعلى رأسهم المأمون العباسي.

ولست بصدد مطالعة كتب الفلسفة أو دراسة كتاب أو كتابين من كتبها ـ وإن كان بعض العلماء يرى حرمة المطالعة والدراسة إذا خاف على نفسه من الضلال[2] ـ وإنما فيمن يصبو لنشرها وإعطائها ما لا تستحق مثل تقديمها على

---

[1]) رسالة : (رد بر صوفية ووحدت وجود).

[2]) يقول السيد الخوئي ﵀ وقد وافقه الشيخ جواد التبريزي ﵀ في (صراط النجاة) : لم يتضح لنا توقف ما ذكر على دراسة الفلسفة وقد تعرضوا للمقدار اللازم منها في طي أصول الدين والفقه ، وإذا خاف من الضلال إثر دراستها حرم وإلا فلا مانع منه في حد نفسه ، والله العالم . صراط النجاة،ج١،ص٤٥٩.

النصوص الدينية أو توهم فهم النصوص من خلالها وغير ذلك ؛ فهذا وأقرانه في خضم سياق النهج المأموني ، ورجل الدين إذا كان جل اهتمامه ترويج الفلسفة الأولى به أن يسمى رجلا مأمونيا نسبة إلى المأمون وليس برجل دين.

الفلسفة ليست من العلوم الشرعية

إن الفلسفة ليست من العلوم الشرعية فمن اقتصر عليها لا يصدق عليه رجل دين وهذه من بديهيات المعرفة في الأروقة العلمية ؛ يقول الشيخ المظفر ﷺ : الفلسفة ليس فيها طابع ديني ولا تسلك مسلكا معينا أو تتبع دينا بخصوصه بل تبحث عن الحقائق على ما هي عليه وهذا التجرد قد يحمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الإسلامية أو لظاهر الشريعة الإسلامية مما يوجب

ويقول الشيخ محمد تقي التستري ﷺ صاحب (قاموس الرجال) أكثر الناس قاصرة عن إدراك الحق ولذا تتأثر بكتب الضلال ، وقد علق على عبارة اللمعة : (وحفظ كتب الضلال لغير النقض أو الحجة أو التقية) قائلا : لأن أكثر الناس فهمهم قاصر عن تشخيص الحق والباطل ، فإذا قرأ كتاب ضلال يعتقده حقا ، وإذا كان في قلبه زيغ يصير سببا لزيادته . وقد كان المنصور أمر بترجمة كتب زردشت وكتاب زنده ، فكثرت الزنادقة في عصره كابن أبي العوجاء وأبي شاكر الديصاني وابن المقفع وعبد الملك البصري.النجعة في شرح اللمعة،ج٧،ص٣٤.

الخروج عن الدين في واقع الأمر أو في نظر المسلمين والفيلسوف لا يبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه دينا أو مذهبا[1].

وقال أيضا متحدثا عن الفلسفة : لا نأخذ منها عقيدتنا والفلسفة أبعد ما تكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة ولا يجب أن نعتقد بالله عن طريقة الفلاسفة لأن الله لم يكلفنا بذلك[2].

ولا بأس بذكر كلمات بعض الأعلام التي تدل على أن الفلسفة ليست من العلوم الشرعية والمقتصر عليها لا يعد من علماء الشريعة :

يقول السيد اليزدي ﵀ : لو وقف على العلماء ، انصرف إلى علماء الشريعة ، فلا يشمل من يكون من غيرهم ، كعلماء الطب أو الحكمة أو الرياضي أو الجفر أو الرمل أو غير ذلك[3].

وقال السيد عبد الأعلى السبزواري ﵀ معلقا على كلام السيد اليزدي : لاقتضاء العرف الخاص بين المتشرعة ذلك لو لم تكن قرينة على الخلاف ولو كانوا من علماء الشريعة وغيرهم يعطي لهم أيضا[4].

---

[1]) الفلسفة الإسلامية،ص٧٦.

[2]) الفلسفة الإسلامية،ص٨٠.

[3]) العروة الوثقى/باب الوقف.

[4]) مهذب الأحكام،ج٢٢،ص٦٠.

ويقول السيد أبو الحسن الأصفهاني ﷺ في وسيلة النجاة : لو وقف على العلماء انصرف إلى علماء الشريعة ، فلا يشمل غيرهم كعلماء الطب والنجوم والحكمة.

وعلق على كلامه السيد الكلبايكاني ﷺ : إن لم يكونوا عالمين بعلم الشريعة[1].

ويقول الشيخ فاضل اللنكراني ﷺ : لو وقف على عنوان العلماء انصرف إلى الفقهاء وعلماء الشريعة ، أعم من المتمحضين فيها ، أو غيرهم ممن كان عالما بغير علم الشريعة أيضا ، ولا يشمل المعنى اللغوي العام الشامل لكل عالم ولو في الرياضيات والطب ، وحتى الفلسفة والحكمة مع عدم العلم بالشريعة[2].

أي إن العالم بعلوم الشريعة وغيرها من العلوم يعمه الوقف ، أما لو اقتصر الشخص على غير العلوم الشرعية لا يعمه ؛ لعدم تحقق المصداق المنصرف إليه العنوان.

وقال السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي رحمهما الله في (منهاج الصالحين) وعشرات العلماء في رسائلهم العملية عند باب (الوقف) : إذا وقف على العلماء فالظاهر منه علماء الشريعة فلا يشمل علماء الطب والنجوم والهندسة والجغرافيا ونحوهم.

---

[1]) وسيلة النجاة،ج٢،ص٢٥٦.

[2]) تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة،ص٦١.

وأخيرا أنقل ما ذكره الشيخ لطف الله الصافي حفظه الله : لو وقف على العلماء انصرف إلى علماء الشريعة ، فلا يشمل غيرهم كعلماء الطب والنجوم والحكمة[1].

إن سلب عنوان رجل الدين على من بدد كل وقته على الفلسفة وعلم الرياضيات والنجوم والحروف ونحوها مما لا ارتياب فيه عند أهل العلم ، كما أن سلب التوفيق عمن ترك العلوم الشرعية منصرفا للفلسفة أوضح من سلب العنوان ، وأي سوء توفيق أبين ممن يعيش في أكناف الحوزات الشيعية وهو يضيع وقته بفلسفة اليونان وأضرابها مما يحجبه عن نور الثقلين الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

[1]) هداية العباد،ج٢،ص١٩٣.

الفلسفة الإسلامية !

إن فلاسفة المسلمين كان دورهم يقتصر على نقل الفلسفة اليونانية . وقد أُدعي أن فلاسفة الإسلام مثل الكندي وابن سينا وابن رشد والفارابي كان لهم دور في الإضفاء على تلك الفلسفة وكذلك أدعي في كتب الفلاسفة المتأخرين من بعدهم إلا أن هذا مجرد زعمٍ لا واقع له ، وما كتبوه في مصنفاتهم خير شاهد ودليل على بطلانه حيث إن المفاهيم الفلسفية بأصولها نقلها المتأخرون ، وإذا كان لهم رأي فهو في طي ثنايا جزئية بسيطة . وهذا الرأي لم يكن منعدما من حين انبثاق الفلسفة اليونانية ؛ لأنه لم تكن مطالبها بأصولها وفروعها مسلمة ، وإنما لا تكاد تجد فكرةً إلا وعليها النقض وكماً من الآراء . نعم كان لبعض الفلاسفة الإسلاميين مثل الكندي والفخر الرازي وملا صدر التوفيق بين الفلسفة والدين . وهذا التوفيق الذي لا حقيقة ملموسة له جعل بعضهم يتوهم وجود الفلسفة الإسلامية مع أن التوفيق كان عبارة عن تحميل النصوص ما لا تحتمل واجترارها بغير حق[1].

---

[1]) يقول الصفدي (ت:٧٦٤هـ) : زيد بن عبد الله بن رفاعة الهاشم أبو الخير أحد الأدباء العلماء الفضلاء كان معاصر الصاحب بن عباد قال ياقوت وكان يعتقد رأي الفلاسفة ذكروا عنه أنه قال متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال.أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم منهم أبو سليمان محمد بن مسعر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الريحاني وأبو أحمد

ومن الأسباب التي قادة إلى حُسبان وجود الفلسفة الإسلامية هو بحث الإلهيات بالمعنى الأخص التي تختص بوجود الخالق وصفاته مع أن جلها والصحيح منها مبتن على مطالب عقلية كما ذكرت ذلك بشيء من التفصيل والأمثلة تحت عنوان (الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق) . ولم يختص بها الفلاسفة وإنما مُنظرٌ لها عند المتكلمين وغيرهم.

يقول ابن خلدون : كتب أرسطو فيه موجودة بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من

النهرجوري والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم وكانت هذه الجماعة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة فوضعوا بينهم مذهبا وزعموا أنهم قد قربوا به من الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته وقالوا إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى عملهم وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمها وعملها وسموها رسائل إخوان الصفاء وكتموا أسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وادعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضوانه وحملت هذه الرسائل إلى الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني فنظر فيها أياما وتبحر فيها دهرا طويلا وقال تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ظنوا ما لم يكن ولا يكون ولا يستطاع ظنوا أنهم يدسون الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقي الذي هو علم معرفة النغم والإيقاع والنقرات والأوزان والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات والكيفيات وأن يطفئوا الشريعة بالفلسفة وقد رام هذا قبلهم قوم كانوا أحد أنيابا وأحضر أسبابا وأعظم قدرا فلم يتم لهم ما أرادوا ولا بلغوا ما أملوه وحصلوا على لوثات قبيحة وعواقب محزنة.الوافي بالوفيات،ج١٥،ص٣٠.

ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجا وفي كتاب الإشارات وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحها متبعا له غير مخالف وألف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة[1].

إن ابن خلدون يقر أن ابن سينا استوعب كتب أرسطو وكان الأول في التصنيف فيها ـ وإن كانت له مخالفات تُذكر فهي ضمن دائرة وحيز فلسفة أرسطو ـ والمصنفات المعول عليها في الفلسفة سواء كانت للفلاسفة الإسلاميين أو غيرهم كانت ناظرة لكتب ابن سينا المستقاة من فلسفة أرسطو فأي فلسفة إسلامية في البين؟!

ولو كان للفلسفة الإسلامية وجودٌ حقا كما يدعون لذكروا لها الأمثلة والشواهد ، ولكن الاكتفاء بالدعوى أفضل لهم من الشروع في التمثيل وذكر الشواهد ؛ لأن الأخذ ببيان مصاديق الفلسفة الإسلامية يكشف زيف المدعى ويظهره في البطلان جليا ؛ ولذا كان غض الطرف خيارا لا مناص لهم سواه، كما تغاضى أصحاب دعوى جواز التعبد بجميع الأديان عن ذكر جذورها الصوفية والظاهرة جليا في أشهر كتب التصوف كما ذكرت ذلك في كتاب (بدعة جواز التعبد بجميع الأديان) . وحسنا لهم أن فعلو حيث قطعوا الفكرة عن جذورها حتى لا يُقلل من أهميتها واعتبارها عند المتلقي لها . وهذه من

---

[1]) تاريخ ابن خلدون،ج١،ص٤٩٢.

أساليب الحكمة في البيان : التفصيل حينما يكون أبلغ في البيان ، والاقتصار على الإجمال حينما يقتضي البيان الاختصار . وهي من الأمور الحسنة في المعارف الحقة ، أما في موارد الشر فتكون من الدجل والاحتيال أو لنقل لازم الإجمال والتفصيل حينها المكر بالمتلقي.

وأول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين[1] هو يعقوب بن إسحاق الكندي (ت:٢٥٢هـ) تخفيفا للموقف الإسلامي الناقم على الفلسفة ، وهذا التوفيق جعل غير المدرك لحقيقة الأمر يتوهم أن ثمة فلسفة إسلامية في البين !

---

[1]) يقول صاحب مفتاح الكرامة ﷺ يعقوب بن إسحاق الكندي : هو أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين فأضاء الطريق في ذلك لمن بعده ، وذكر السيد في الفرج : أن له واحد وثلاثين كتابا في دلالة علوم الفلسفة على مذهب الإسلام وعلى علوم النبوة . فأدى به المطاف أن يكتب في تناقض القرآن. مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة،ج١٢،ص٢٥٠.
وهذا نص ما قاله السيد ابن طاووس ﷺ في فرج المهموم : ذكر محمد بن إسحاق النديم في الجزء الرابع من الفهرست نسب الكندي وأنه من ولد محمد بن الأشعث بن قيس . وقال : إنه فاضل دهره في علومه ، واحد عصره في نجومه ، ثم ذكر له أحد وثلاثين كتابا ورسالة في دلالة علوم الفلاسفة على مذهب الإسلام وعلوم النبوة.فرج المهموم،ص١٢٨
وعلى ما يبدو أن السيد ابن طاووس ﷺ استشف من الكتب التي ذكرها ابن النديم أحد وثلاثين كتابا ورسالة في دلالة علوم الفلاسفة على الإسلام لأنه لا يوجد نص صريح لابن النديم في الفهرست لهذه العبارة.
ويقول البيهقي : يعقوب بن إسحاق الكندي كان مهندسا خائضا غمرات العلم ، وله تصانيف كثيرة ، وقد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات.تاريخ حكماء الإسلام،ص٤١

وقد كانت توفيقات الكندي محل استياء واعتراض العلماء والأوساط العلمية بصورة عامة حتى أن الشاعر أبا العباس الناشئ رد عليه بقصيدة من جملة ما جاء فيها :

أبـا يوسـف إنـي نظـرت فلـم أجـد ... على الفحْص رأيا صح منك ولا عقدا
وصـرت حكيمـا عنـد قـوم إذا امـرؤ ... بلاهـم جميعـا لم يجـد عنـدهم عنـدا
أتقْـــرنُ إلحـــادا بـــدين محمـــد ... لقـد جئـت شـيئا يـا أخـا كنـدةٍ إدًّا
وتخلـــط يونانـــاً بقحطـــان ضـــلَّة ... لعمـري لقـد باعَـدْت بينهمـا جـدا[1]

وخطى الكندي سار عليها من العامة الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) ورام التوفيق بين الدين والفلسفة في تفسيره ولكن المباينة بينهما كانت واضحة للعلماء وكان من السيوطي أن يقول متحدثا عن الرازي : قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها ، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ، وقال أبو حيان في البحر[2] : جمع الإمام الرازي في

---

[1]) مروج الذهب،ج١ص٣٢٣.

[2]) يقصد البحر المحيط في التفسير . وهذا نص ما ذكره أبو حيان الأندلسي : نخرج عن طريقة التفسير ، كما فعله أبو عبد اللّه محمد بن عمر الرازي ، المعروف بابن خطيب الري ، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير.البحر المحيط،ج١،ص٥٤٧.

تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير[1].

وأيضا يقول أبو حيان في الفخر الرازي وتفسيره : هذا الرجل كثيرا ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئا من مفاهيم أهل الفلسفة ، فتفسيرهم كاللغز والأحاجي ، ويسميهم هذا الرجل حكماء ، وهم من أجهل الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه[2].

وفي الوسط الشيعي رام السيد حيدر الآملي موافقة الدين للفلسفة والتصوف في كتبه وتبعه على ذلك ملا صدرا حتى جعل كتبه الفلسفية شرحا للدين وكتبه الدينية شرحا للفلسفة كما فعل في شرحه لأصول الكافي ، وفعله هذا للعبث والهزل أقرب من الجد والعمل حتى كانت كتبه محل سخط واحتدام العلماء : يقول الخوانساري : أوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الأعلام به وبكتبه بل فتوى طائفة بكفره فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الأصول : شروح الكافي كثيرة جليلة قدرا وأول من شرحه بالكفر صدرا هذا[3].

وبعضهم توهم دور العقل في الدين من خلال إدراك بعض المصالح والمفاسد للأحكام ومعرفة مصاديق الأحكام في زوايا منها ـ مثل أولوية حرمة الضرب

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن،ج٤،ص٢٤٢.
[2]) البحر المحيط،ج٦،ص٤٢٥.
[3]) روضات الجنات،ج٤،ص١٢١.

بعد النهي عن التأفف للوالدين ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[1] المسمى بقياس الأولوية ـ هو توفيق بين الفلسفة والدين ومن ثم اصطلح أو عبر على هذا التوفيق بالفلسفة الإسلامية مع أن الفلسفة اليونانية هي عبارة عن أفكار وآراء وليست أمورا عقلية ، وهل يصح نعت كل ما يخطر في الذهن من رؤى وأفكار بالعقل ؟! وحتى يتعقل الأمر بشكل أكثر وضوحا يكفي ملاحظة أن كل فكرة فلسفية يوجد عليها نقض فلسفي ولا تكاد تجد فكرة فلسفيه إلا وكان في قبالها الردود والنقوض من قِبل الفلاسفة أنفسهم فهل العقل إلى جانب أصل الفكرة أم معها ومع كل النقوض ؟!

ثم إن الصراع هو بين الفلسفة والدين وليس بين العقل والدين كما حاول أصحاب التوجه الفلسفي إحالة أصل الصراع مع العقل.

والتوفيق بين الفلسفة والدين نظير التوفيق بين الحداثة والدين حيث أراد الحداثويون التوفيق بين الدين والحداثة فخالفوا الدين بحجج واهية مثل علي شريعتي الذي نفى وجوب الحجاب وأنكر جواز تعدد الزوجات في الإسلام كما ذكرت ذلك مع الرد عليه في كتاب : (علي شريعتي مفكرٌ أم منحرفٌ) .

وكل جماعة بما لديها من رؤى ومتبنيات تسعى جاهدة لموافقتها مع الدين تبريرا لما عليه ، ومحاولة لإرضاء الخصم ولكن لم يخمدوا نار خصمهم إلا لهيبا وسنانا . يقول السيد الطباطبائي في هذه المحاولات : رام جمع من العلماء بما عندهم من بضاعة العلم على اختلاف مشاربهم أن يوفقوا بين الظواهر الدينية

---

[1]) سورة الإسراء : ٢٣.

والعرفان كابن العربي وعبد الرزاق الكاشاني وابن فهد والشهيد الثاني والفيض الكاشاني.وآخرون أن يوفقوا بين الفلسفة والعرفان كأبي نصر الفارابي والشيخ السهروردي صاحب الإشراق والشيخ صائن الدين محمد تركه.وآخرون أن يوفقوا بين الظواهر الدينية والفلسفة كالقاضي سعيد وغيره . وآخرون أن يوفقوا بين الجميع كابن سينا في تفاسيره وكتبه وصدر المتألهين الشيرازي في كتبه ورسائله وعدة ممن تأخر عنه . ومع ذلك كله فالاختلاف العريق على حاله لا تزيد كثرة المساعي في قطع أصله إلا شدة في التعرق ، ولا في إخماد ناره إلا اشتعالا[1].

وفي الواقع حكاية الفلسفة الإسلامية تشبه حكاية الخنزير المُذكى ؛ فكما أن الخنزير ليس من شأنه التذكية الفلسفة لا يمكن نعتها بالإسلامية.

[1]) تفسير الميزان،ج٥،ص٢٨٣.

الفلسفة الإسلامية ما بين الادعاء والشواهد

إن الكتب التي أشادت بالفلسفة الإسلامية وشرقت وغربت بكلام طويل عريض لم تتنزل لذكر الشواهد وبقيت عاتية في شعاراتها لأن التنزل لميدان الشواهد والمصاديق يعني القضاء على تلك الدعوة ويجردها عن محتواها وحينها ينكشف لذي عينين كذب المدعى وزيف السراب.

وقد غررت هذه الكتب ببعض القراء الذين يقبلون الحقائق تبعا لأفواه الرجال لا على أساس المعرفة والحقيقة وجعلتهم يلوكون شيئا لا أساس له من الواقع.

وإذا ما رأيت شخصا يصر على وجود الفلسفة الإسلامية لا تجهد نفسك معه واطلب منه أن يعرج قليلا على ذكر الأمثلة والشواهد ستجده يرجع القهقري سريعا ويعيد نظره فيما تلقاه!

وقد يُقال أن المراد بالفلسفة الإسلامية هو موافقة فلسفة اليونان وغيرها من الفلسفات للإسلام .

ولكن مما يلاحظ على ذلك أن الموافقة على فرض وجودها تكون بعد التأويل للنصوص ولي عنقها لأنه لا توجد موافقة قطعية وصريحة في البين .

ثم إن الفلسفة الإسلامية لو كانت هي موافقة أفكار اليونان وغيرها للنصوص الدينية لم يتحصل لدينا معارف جديدة إضافية وكانت القيمة للنصوص الدينية حيث لا شيء مضاف ومستجد بعد النصوص.

ولربما يُقال أيضا أن المراد بالفلسفة الإسلامية ما لم تكن متقاطعة مع الإسلام وهنا تتوسع دائرة الفلسفة الإسلامية أكثر مما إذا كانت مقتصرة على الموافقة حصرا.

وهذا القول وإن كان يبدو مقبولا أكثر من الموافقة إذ الموافقة بعيدة المنال والتحقق إلا أنه يرد عليه :

أولا : صحة تسمية علوم الطب والفلك والطبيعة .. بالعلوم الإسلامية وهذا مما لا يلتزم به أحدٌ .

ثانيا : القول بعدم المخالفة لا يخلو من تعسف في كثير من الأحيان ، إلا أن هذا إشكال مصداقي لم يتعرض وينقض أصل الفكرة ومفهومها . نعم إذا كانت كل المصاديق جارية على نحو التعسف يمكن أخذه كاعتراض على أصل الفكرة إذ تكون زعما يبدده الواقع ويرفضه.

ثالثا : لكل من الإسلام واليونان معالم ومعارف قائمة بذاتها فتسمية ما لأحدهما باسم الآخر وإدراجه ضمن مصاديقه لا يتسم بشيء من العلم والموضوعية.

ثم إن المتداول في كتب فلاسفة الإسلام حتى المتأخرين منهم لم يختلف عن الفلسفات الدخيلة على الإسلام ولا تجد فكرة فيها إلا ومعلومة الأصول والفروع في تلك الفلسفات.

وكما قلت آنفا التنزل لبيان المصاديق وذكر شواهد للفلسفة الإسلامية المزعومة يحط دعوى هؤلاء المدعين ويحبطها بشكل جلي ولذا كان وقوفهم على التل بعيدين عن التعرض لمصاديق الفلسفة الإسلامية أسلم لهم وأكثر تغريرا لمدعاهم.

الفلسفة والتصوف من روافد الإلحاد

إن الفلسفة والتصوف من روافد الإلحاد الأساسية حتى كان الكفر من الأمور الشائعة بين الفلاسفة والصوفية سواء كان صريحا أو ما يلزم من بعض المتبنيات والأفكار، كما وصف الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذين يميلون للفلسفة والتصوف بالدعاة إلى نحلة الملحدين حيث روي عنه عليه السلام : علماؤهم شرار خلق اللّه على وجه الأرض لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف ، وايم[1] اللّه إنهم من أهل العدول والتحرف ، يبالغون في حب مخالفينا ويضلون شيعتنا

[1]) ايم الله من ألفاظ القسم ، كقولك لعمر الله وعهد الله ، وفيها لغات كثيرة ، وتفتح همزتها وتكسر ، وهمزتها وصل،وقد تقطع .النهاية في غريب الحديث والأثر،ج١،ص١٠٦

وموالينا، فإن نالوا منصبا لم يشبعوا من الرشاء ، وإن خذلوا عبدوا اللّه على الرياء ، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين والدعاة إلى نحلة الملحدين ، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه[1].

وهذا ابن أبي العوجاء كان من تلامذة الصوفي الكبير الحسن البصري ومن ثم انحرف عن التوحيد كما روى الشيخ الكليني والشيخ الصدوق رحمهما الله حيث يقولان في ابن أبي العوجاء : كان من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد فقيل له : تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ؟ فقال : إن صاحبي كان مخلطا ، كان يقول طورا بالقدر وطورا بالجبر وما أعلمه اعتقد مذهبا دام عليه وقدم مكة متمردا وإنكارا على من يحج وكان يكره العلماء مجالسته ومساءلته لخبث لسانه وفساد ضميره[2]

والفيلسوف الكندي[3] قادته فلسفته أن يكتب في تناقض القرآن لولا أن رده الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما روى ابن شهر آشوب : أن إسحاق الكندي

---

[1]) حديقة الشيعة،ص٥٩٢.

[2]) الكافي،ج٨،ص٣٧.من لا يحضره الفقيه،ج٢،ص٢٤٩.

[3]) الأشعث بن قيس الكندي (ت : ٤٠ هـ) كان من قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين ، حيث كان على ميمنة الجيش كما ذكر المنقري (ت:٢١٢هـ) متحدثا عن أمير المؤمنين عليه السلام : جعل على الميمنة الأشعث بن قيس.وقعة صفين،ص٢٠٥

وبسبب الأشعث كانت الفتنة التي قادت لرفع المصاحف حيث روى المنقري : أن الأشعث خطب في قومه ليلة الهرير ومن جملة ما قال : إن نحن تواقفنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة

الحرمات . أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحتف ، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غدا إذا فنينا . اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والرأي يخطئ ويصيب ، وإذا قضى الله أمرا أمضاه على ما أحب العباد أو كرهوا . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .قال صعصعة : فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال : أصاب ورب الكعبة ، لئن نحن التقينا غدا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ، ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم . وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى . اربطوا المصاحف على أطراف القنا . قال صعصعة : فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل : يا أهل العراق ، من لذرارينا إن قتلتمونا ومن لذراريكم إن قتلناكم ؟ الله الله في البقية . فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل ، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دعوا إليه ، ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح ، ونادوا : يا أهل العراق ، كتاب الله بيننا وبينكم.وقعة صفين،ص٤٨١.

على ما يبدو أن خطبة الأشعث كانت سببا للفتنة ومن ثم كان ما فعله ابن العاص من رفع المصاحف من نتائجها .

والأشعث هذا هو الذي أصر على التحكيم واختيار أبا موسى الأشعري كما روي المنقري : قال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد : فإنا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعري . فقال لهم على : إني لا أرضى بأبي موسى ، ولا أرى أن أوليه . فقال الأشعث، وزيد بن حصين ، ومسعر بن فدكي ، في عصابة من القراء : إنا لا نرضى إلا به...قال علي : قد أبيتم إلا أبا موسى ؟ قالوا : نعم.وقعة صفين،ص٤٩٩

والأشعث هو الذي بيت عبد الرحمن بن ملجم ليلة ضرب أمير المؤمنين عليه السلام وشجعه على قتله كما روى ابن سعد في الطبقات : بات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليا في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى كاد أن يطلع

الفجر فقال له الأشعث فضحك الصبح فقم فقام عبد الرحمن بن ملجم.الطبقات الكبرى،ج٣،ص٣٦

وكان للأشعث بن قيس ابنان وبنت :

١ ـ محمد بن الأشعث.كانت له وقائع ضد أهل البيت وأصحابهم من ضمنها أنه كان له دور كبير في قتل مسلم بن عقيل رضوان الله عليه كما روى أبو الفرج الأصفهاني : إن ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلا كلهم من قيس عليهم عمرو بن عبيد الله ابن العباس السلمي حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل.مقاتل الطالبيين،ص٦٩

وكان محمد ابن الأشعث من الذين عانوا على قتل هاني بن عروة ؛روى ابن أعثم في الفتوح أن زياد بن أبيه : أقبل على محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وأسماء بن خارجة فقال: صيروا إلى هانئ بن عروة فاسألوه أن يصير إلينا.الفتوح،ج٥،ص٤٥

وقد شارك في دم الإمام الحسين عليه السلام فعن الإمام الصادق عليه السلام: إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام . الكافي،ج٨،ص١٩١.

٢ ـ قيس بن الأشعث : من الذين كتبوا للإمام الحسين عليه السلام بالمجيء ثم نكثوا والتحق بجيش عمر بن سعد ولذا الإمام خاطبهم يوم عاشور : يا شبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب ، وإنما تقدم على جند لك مجند ؟ ! فقال له قيس بن الأشعث : ما ندري ما تقول ، ولكن انزل على حكم بني عمك.إرشاد المفيد،ج٢،ص٩٨

كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله وأن بعض تلامذته دخل يوما على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد عليه السلام : أما فيكم رجل رشيد يردع أستأذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن ، فقال التلميذ : نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ، فقال له أبو محمد عليه السلام : أتؤدي إليه ما ألقيه إليك ؟ قال : نعم ، قال : فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو

وكان هذا اللعين من الذين سلبوا قطيفة الإمام الحسين بعد مقتله كما روى أبو مخنف والدينوري : أخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز وكان يسمى بعد قيس قطيفة. مقتل أبي مخنف،ص٢١٤.الأخبار الطوال،ص٣٠٢

٣ ـ جعدة بنت الأشعث : هي التي سمت الإمام الحسن عليه السلام كما روى الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد : أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس : أني مزوجك (يزيد ابني) ، على أن تسمي الحسن ، وبعث إليها مائة ألف درهم ، ففعلت وسمت الحسن عليه السلام فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد.الإرشاد،ج٢،ص١٦

وكان من أحفاد الأشعث بن قيس الفيلسوف الكندي الذي من أعماله الشنيعة أنه رام كتابة كتابا في تناقض القرآن الكريم لولا ردع الإمام الحسن عليه السلام يقول ابن النديم : الكندي وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد ابن الأشعث بن قيس الكندي. فهرست ابن النديم،ص٣٢٥

بسبيله فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك فقل له إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها ؟ فإنه سيقول لك أنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع ، فإذا أوجب ذلك فقل له : فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعا لغير معانيه . فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن القى عليه هذه المسألة فقال له : أعد علي ، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملا في اللغة وسائغا في النظر فقال : أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك ؟ فقال : إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك ، فقال كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا ؟ فقال : أمرني به أبو محمد فقال : الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت ، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه[1].

---

[1]) مناقب آل أبي طالب،ج٣ص٥٢٦ . وبهذا الصدد روي عن أبي معمر السعداني أن رجلا أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:يا أمير المؤمنين إني قد شككت في كتاب الله المنزل.فقال له علي عليه السلام : ثكلتك أمك،وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟!قال:لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضا،فكيف لا أشك فيه.فقال علي بن أبي طالب عليه السلام:إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضا،ولا يكذب بعضه بعضا،ولكنك لم ترزق عقلا تنتفع به،فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.قال له الرجل:إني وجدت الله يقول :﴿**فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا**﴾.وقال أيضا:﴿**نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾.وقال:﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ فمرة يخبر أنه ينسى،ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! قال:هات ما شككت فيه أيضاً قال: وأجد الله يقول :﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**﴾.وقال:واستنطقوا فقالوا :﴿**وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾.وقال:﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾.وقال:﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ**﴾.وقال:﴿**لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ**

بِالْوَعِيدِ﴾.وقال:﴿**نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**.فمرة يخبر أنهم يتكلمون ومرة يخبر أنهم لا يتكلمون **﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾**،ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون،ويقول عن مقالتهم:**﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**.ومرة يخبر أنهم يختصمون، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع ؟! قال:هات ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله عز وجل يقول:**﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**.ويقول:**﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**.ويقول:**﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾**.ويقول:**﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾** ومن أدركته الأبصار فقد أحاط به العلم، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات أيضا ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله تبارك وتعالى يقول:**﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾**.وقال:**﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾**.وقال:**﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾**.وقال:**﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾**.وقال:**﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾**.فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله جل ثناؤه يقول:**﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾** وقد يسمى الإنسان سميعاً بصيراً وملكاً وربا ، فمرة يخبر بأن له أسامي كثيرة مشتركة،ومرة يقول:**﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾** فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع ؟! قال: هات ويحك ما شككت فيه.قال: وجدت الله تبارك وتعالى يقول:**﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾**.ويقول:**﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾**.ويقول:**﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** كيف ينظر إليهم من يحجب عنهم،وأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات أيضا ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله عز وجل يقول:**﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾**.وقال:**﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**.وقال:**﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾**.وقال:**﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾**.وقال:**﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾**.وقال:**﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾**.فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات أيضاً ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله جل ثناؤه يقول:**﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾**.وقال:**﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**.وقال:**﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾**.وقال:**﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾**.فمرة يقول:أو يأتي ربك،ومرة يقول:يأتي بعض آيات ربك،فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟! وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله جل جلاله يقول:﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾.وذكر المؤمنين فقال:**﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ**

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.وقال:﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.وقال:﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾وقال:﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.فمرة يخبر أنهم يلقونه،ومرة أنه:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.ومرة يقول:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾،فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات ويحك ما شككت فيه.قال:وأجد الله تبارك وتعالى يقول:﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.وقال:﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.وقال:﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾.فمرة يخبر أنهم يظنون،ومرة يخبر أنهم يعلمون، والظن شك،فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!قال:هات ما شككت فيه.قال:وأجد الله تعالى يقول:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.وقال:﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.وقال:﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.وقال:﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ◆وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع.قال هات ويحك ما شككت فيه.قال: وأجد الله تعالى يقول:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.وقال:﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.وقال:﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.وقال:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾.وقال:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.فأنى ذلك يا أمير المؤمنين؟!وكيف لا أشك فيما تسمع؟!وقد هلكت إن لم ترحمني،وتشرح لي صدري فيما عسى أن يجري ذلك على يديك، فإن كان الرب تبارك وتعالى حقا، والكتاب حقا، والرسل حقاً، فقد هلكت وخسرت،وإن تكن الرسل باطلا فما علي بأس،وقد نجوت.فقال علي ﷺ: قدوس ربنا قدوس،تبارك وتعالى علواً كبيراً.نشهد أنه هو الدائم الذي لا يزول، ولا نشك فيه،و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾،وأن الكتاب حق، والرسل،حق، وأن الثواب والعقاب حق.فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله،إن شاء رزقك،وإن شاء حرمك ذلك.ولكن سأعلمك ما شككت فيه،ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه،وثبتك،وإن يكن شراً ضللت وهلكت.أما قوله:﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ إنما يعني :﴿نَسُوا اللهَ﴾ في دار الدنيا، لم يعملوا بطاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ في الآخرة،أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً،فصاروا منسيين من الخير.وكذلك تفسير قوله عز وجل:﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾؟! يعني بالنسيان أنه لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين، حين آمنوا به وبرسله،وخافوه بالغيب.وأما قوله:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾،فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل،بل هو الحفيظ العليم.وقد يقول العرب في باب النسيان:قد نسينا فلان،فلا يذكرنا،أي إنه لا يأمر لنا بخير،ولا يذكرنا به.فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل؟!قال:نعم فرجت عني فرج الله عنك،وحللت عني عقدة،فعظم الله

أجرك.فقال﷾:وأما قوله:﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.وقوله:﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.وقوله:﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾.وقوله:﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.وقوله:﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾.وقوله:﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فإن ذلك في (مواطن) غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة.يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذٍ في مواطن:يتفرقون،ويكلم بعضهم بعضاً،ويستغفر بعضهم لبعض،أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا من الرؤساء والأتباع،ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء،وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا،المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم ببعض،ويلعن بعضهم بعضاً.والكفر في هذه الآية البراءة،يقول:فيبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان:﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾.وقول إبراهيم خليل الرحمان:﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يعني تبرأنا منكم.ثم يجتمعون في موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معايشهم،ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله،فلا يزالون يبكون الدم.ثم يجتمعون في موطن آخر،فيستنطقون فيه،فيقولون:﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾،فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم،ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود،فتشهد بكل معصية كانت منهم،ثم يرفع عن ألسنتهم الختم،فيقولون لجلودهم:﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.ثم يجتمعون في موطن آخر،فيستنطقون،فيفر بعضهم من بعض،فذلك قوله عز وجل:﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ◆ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ◆ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ فيستنطقون،فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً،فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون في هذا الموطن،فذلك قوله:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.ثم يجتمعون في موطن آخر، يكون فيه مقام محمد ﷺوهو المقام المحمود،فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله.ثم يثني على الملائكة كلهم،فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد ﷺ.ثم يثني على الرسل بما لم يثن عليهم أحد قبله.ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشهداء، ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات الأرض.فذلك قوله:﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.طوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ،وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.ثم يجتمعون في موطن آخر،ويدال بعضهم على بعض.وهذا كله قبل الحساب فإذ أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه،نسأل الله بركة ذلك اليوم.قال: فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين،وحللت عني عقدة فعظم الله أجرك.فقال﷾:وأما قوله عز وجل:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.وقوله:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾.وقوله:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ◆ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾.وقوله:﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ

﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.فأما قوله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فإن ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان،فيغتسلون فيه،ويشربون منه،فتنضر وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كل قذى ووعث،ثم يؤمرون بدخول الجنة،فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم،ومنه يدخلون الجنة.فذلك قوله عز وجل من تسليم الملائكة عليهم:﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنة،والنظر إلى ما وعدهم ربهم.فذلك قوله:﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.وإنما يعني بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى.وأما قوله:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾،فهو كما قال:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾،يعني لا تحيط به الأوهام، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾،يعني يحيط بها،وهو اللطيف الخبير.وذلك مدح امتدح به ربنا نفسه تبارك وتعالى وتقدس علواً كبيراً.وقد سأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من حمد الله عز وجل ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾،فكانت مسألة تلك أمراً عظيماً،وسأل أمراً جسيماً، فعوقب،فقال الله تبارك وتعالى:﴿لَنْ تَرَانِي﴾ في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة،ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر﴿إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.فأبدى الله جل ثناؤه،وتجلى ربنا تبارك للجبل،فتقطع الجبل فصار رميماً وخر موسى صعقاً يعني ميتا فكانت عقوبته الموت ثم أحياه الله وبعثه،وتاب عليه فقال:﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.يعني أول مؤمن آمن بك منهم أنه لن يراك.وأما قوله:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ◆ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ يعني محمداً ﷺ كان عند سدرة المنتهى حيث لا يتجاوزها خلق من خلق الله.وقوله في آخر الآية:﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ◆ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين:هذه المرة، ومرة أخرى.وذلك أن خلق جبرئيل عظيم، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمين.وأما قوله:﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ لا يحيط الخلائق بالله عز وجل علماً، إذ هو تبارك وتعالى جعل على أبصار القلوب الغطاء، فلا فهم يناله بالكيف،ولا قلب يثبته بالحدود،فلا نصفه إلا كما وصف نفسه،﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾،الأول الآخر، والظاهر والباطن،الخالق الباري،المصور، خلق الأشياء فليس من الأشياء شيء مثله تبارك وتعالى.فقال: فرجت عني فرج الله عنك،وحللت عني عقدة،فأعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.فقال عليه السلام:وأما قوله:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾،وقوله:﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،وقوله:﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾،وقوله:﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ فأما قوله :﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ فإنه ما ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا،وليس بكائن إلا من وراء حجاب،أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء،كذلك

قال الله تبارك وتعالى علواً كبيراً قد كان الرسول يوحى إليه من رسل السماء،فيبلغ رسل السماء رسل الأرض،وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السماء.وقد قال رسول الله ﷺ:يا جبرئيل هل رأيت ربك؟!فقال جبرئيل عليه السلام:إن ربي لا يرى.فقال رسول الله ﷺ:فمن أين تأخذ الوحي؟! فقال:آخذه من إسرافيل.فقال:ومن أين يأخذه إسرافيل؟!قال:يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين.قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟! قال:يقذف في قلبه قذفاً.فهذا وحي،وهو كلام الله عز وجل،وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل،ومنه ما قذفه في قلوبهم،ومنه رؤيا يريها الرسل،ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ، فهو كلام الله.فاكتف بما وصفت لك من كلام الله،فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد،فإن منه ما يبلغ به رسل السماء رسل الأرض.قال:فرجت عني فرج الله عنك،وحللت عني عقدة،فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.فقال عليه السلام:وأما قوله:﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾،فإن تأويله هل تعلم أحداً اسمه الله غير الله تبارك وتعالى؛فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء،فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر،وهو كلام الله،وتأويله لا يشبه كلام البشر،كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر،ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر،فكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضل.قال:فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة، فعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين.فقال عليه السلام:وأما قوله:﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾.كذلك ربنا لا يعزب عنه شيء، وكيف يكون من خلق الأشياء لا يعلم ما خلق، وهو الخلاق العليم؟!وأما قوله:﴿**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾يخبر أنه لا يصيبهم بخير.وقد تقول العرب:والله ما ينظر إلينا فلان.وإنما يعنون بذلك أنه لا يصيبنا بخير، فذلك النظر هاهنا من الله تبارك وتعالى إلى خلقه، فنظره إليهم رحمة لهم،وأما قوله :﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ فإنما يعني بذلك يوم القيامة: أنهم عن ثواب ربهم محجوبون.قال:فرجت عني فرج الله عنك، وحللت عني عقدة،فعظم الله أجرك.فقال عليه السلام:وأما قوله:﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾وقوله:﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾.وقوله:﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾.وقوله:﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾.وقوله:﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾.فكذلك الله تبارك وتعالى سبوحا قدوسا تعالى أن يجري منه ما يجري من المخلوقين،وهو اللطيف الخبير،وأجل وأكبر أن ينزل به شيء مما ينزل بخلقه،وهو على العرش أستوى علمه شاهد لكل نجوى.وهو الوكيل على كل شيء،والميسر لكل شيء.والمدبر للأشياء كلها تعالى الله عن أن يكون على عرشه علواً كبيراً.فقال عليه السلام وأما قوله:﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾.وقوله:﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾.وقوله:﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ**﴾.وقوله:﴿**هَلْ**

﴿يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾،فإن ذلك حق كما قال الله عز وجل وليس له جيئة كجيئة الخلق،وقد أعلمتك أن رُبَّ شيء من كتاب الله تأويله على غير تنزيله، ولا يشبه كلام البشر.وسأنبئك بطرف منه.فتكتفي إن شاء الله من ذلك بقول إبراهيم عليه السلام:﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادة واجتهاداً،وقربة إلى الله عز وجل.ألا ترى أن تأويله غير تنزيله؟!وقال:﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.يعني السلاح وغير ذلك.وقوله:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يخبر محمداً ﷺ عن المشركين والمنافقين الذين لم يستجيبوا لله وللرسول، فقال:﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حيث لم يستجيبوا لله ولرسوله ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني بذلك العذاب يأتيهم في دار الدنيا كما عذب القرون الأولى، فهذا خبر يخبر به النبي ﷺ عنهم.ثم قال:﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾.يعني من قبل أن يجيء هذه الآية، وهذه الآية طلوع الشمس من مغربها.وإنما يكتفي أولوا الألباب والحجى وأولوا النهى أن يعلموا أنه إذا انكشف الغطاء رأوا ما يوعدون،وقال في آية أخرى:﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ يعني أرسل عليهم عذاباً، وكذلك إتيانه بنيانهم قال الله عز وجل:﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾،فإتيانه بنيانهم من القواعد إرسال العذاب عليهم،وكذلك ما وصف من أمر الآخرة تبارك اسمه وتعالى علواً كبيراً إنه يجري أموره في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة،كما يجري أموره في الدنيا،لا يغيب ولا يأفل مع الآفلين فاكتف بما وصفت لك من ذلك، مما جال في صدرك مما وصف الله عز وجل في كتابه.ولا تجعل كلامه ككلام البشر، هو أعظم وأجل،وأكرم وأعز تبارك وتعالى من أن يصفه الواصفون،إلا بما وصف به نفسه في قوله عز وجل:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.قال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج الله عنك، وحللت عني عقدة.فقال عليه السلام: وأما قوله:﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾،وذكر الله المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾.وقوله لغيرهم:﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾.وقوله:﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ فأما قوله:﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾. يعني: البعث، فسماه الله عز وجل لقاءه،وكذلك ذكر المؤمنين﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾يعني:يوقنون أنهم يبعثون ويحشرون،ويحاسبون،ويجزون بالثواب والعقاب.فالظن هاهنا اليقين.وكذلك قوله:﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾.وقوله:﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾.من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب.فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية، واللقاء هو البعث، فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه، فإنه يعني بذلك البعث.وكذلك قوله:﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾يعني: أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون.قال:فرجت عني يا أمير المؤمنين،فرج الله عنك، فقد حللت عني عقدة.فقال عليه السلام:وأما

قوله:﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾يعني:أيقنوا أنهم داخلوها،وكذلك قوله:﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ يقول:إني أيقنت أني أبعث فأحاسب،وكذلك قوله:﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.وأما قوله للمنافقين:﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾فهذا الظن ظن شك وليس ظن يقين،والظن ظنان:ظن شك وظن يقين،فما كان من أمر معاد من الظن فهو ظن يقين وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك فافهم ما فسرت لك ،قال فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك.فقال ﷺ وأما قوله تبارك وتعالى:﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾يقول:إني ظننت أني أبعث فأحاسب، لقوله:﴿مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.وقوله للمنافقين:﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ فهذا الظن ظن شك، فليس الظن ظن يقين والظن ظنان: ظن شك، وظن يقين. فما كان من أمر معاد من الظن فهو ظن يقين، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك.فافهم ما فسرت لك.قال:فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج الله عنك.فقال ﷺ وأما قوله تبارك وتعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾فهو ميزان العدل،يؤخذ به الخلائق يوم القيامة،يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين،وفي غير هذا الحديث الموازين هم الأنبياء والأوصياء ﷺ، وأما قوله عز وجل:﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾. فإن ذلك خاصة.وأما قوله :﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾فإن رسول الله ﷺ قال:قال الله عز وجل:لقد حقت كرامتي ـ أو قال:مودتي ـ لمن يراقبني ويتحاب بجلالي،إن وجوههم يوم القيامة من نور،على منابر من نور،عليهم ثياب خضر.قيل: من هم يا رسول الله؟!قال:قوم ليسوا بأنبياء ولا شهداء،ولكنهم تحابوا بجلال الله، ويدخلون الجنة بغير حساب،نسأل الله أن يجعلنا منهم برحمته.وأما قوله:فمن ثقلت موازينه وخفت موازينه فإنما يعني الحساب توزن الحسنات والسيئات، والحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان.فقال ﷺ وأما قوله:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾وقوله:﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.وقوله:﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.وقوله:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ وقوله:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.فإن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء، أما ملك الموت فإن الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه.ويوكل رسله من الملائكة خاصة بما يشاء من خلقه،والملائكة الذين سماهم الله عز ذكره وكّلهم بخاصة من يشاء من خلقه ، أنه تبارك وتعالى. يدبر الأمور كيف يشاء.وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس،لأن منهم القوي والضعيف،ولأن منه ما يطاق حمله،ومنه ما لا يطاق حمله إلا من يسهل الله له حمله،وأعانه عليه من خاصة أوليائه،وإنما يكفيك أن تعلم أن الله هو المحيي المميت،وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم.قال:فرجت عني يا أمير المؤمنين، أنفع الله المسلمين بك.فقال علي ﷺ للرجل:إن كنت قد

وقد كان من فلسفة المشاء والإشراق أن تقود منتحليها للوقوع بعدة معتقدات فاسدة حكم العلماء بكفر المعتقِد بها وسوء معتقده من قبيل (الواحد لا يصدر منه إلا واحد)[1] و (الشيء ما لم يجب لم يوجد) والقول بالتجسيم ووحدة الوجود والحلول والاتحاد وإنكار المعاد الجسماني والمعراج الجسماني وعد الجنة والنار والملائكة من الأمور المجردة إلى غيرها من الأمور المخالفة للشريعة صريحا أو ظاهرا.

ويقول الشيخ محمد تقي التستري ﷺ صاحب (قاموس الرجال) أكثر الناس قاصرة عن إدراك الحق ولذا تتأثر بكتب الضلال ، وعندما أمر المنصور بترجمة كتب زردشت وكتاب زنده كثرت الزنادقة في عصره عند تعليقه على عبارة اللمعة : (وحفظ كتب الضلال لغير النقض أو الحجة أو التقية) قائلا : لأن أكثر الناس فهمهم قاصر عن تشخيص الحق والباطل ، فإذا قرأ كتاب ضلال يعتقده حقا ، وإذا كان في قلبه زيغ يصير سببا لزيادته . وقد كان المنصور أمر

شرح الله صدرك بما قد تبينت لك،فأنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة من المؤمنين حقا.فقال الرجل:يا أمير المؤمنين كيف لي أن أعلم بأني من المؤمنين حقاً؟!قال ﷺ:لا يعلم ذلك إلا من أعلمه الله على لسان نبيه ﷺ، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة،أو شرح الله صدره ليعلم ما في الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله وأنبيائه.قال:يا أمير المؤمنين ومن يطيق ذلك.قال: من شرح الله صدره ووفقه له، فعليك بالعمل لله في سر أمرك وعلانيتك فلا شيء يعدل العمل.توحيد الصدوق،ص٢٧٩.

[1]) وكما قال العلامة الحلي ﷺ في تعليله من وجهة نظرهم (الواحد لا يتعدد أثره) والذي يلزم منه العجز لله تعالى

بترجمة كتب زردشت وكتاب زنده ، فكثرت الزنادقة في عصره كابن أبي العوجاء وأبي شاكر الديصاني وابن المقفع وعبد الملك البصري[1].

والعلماء قديما وحديثا كانوا يحذرون من الفلسفة والتصوف لأنها لا يقودان صاحبهما إلا إلى الانحراف والابتعاد عن الشرع وخذ على سبيل المثال ما قاله الشيخ لطف الله الصافي : ليس لمن يشتغل بالفلسفة أن يرى نفسه مصونا من الإلحاد في نهاية جهوده الفلسفية ، ولا يمكن إعطاء ضمانة الحصانة له عن الانحراف في معارف الإسلام ومسائله في شتى جوانبها التي يبحث عنها في الفلسفة بكل حرية وسهولة فهذا الجمع الكثير من الفلاسفة الذين ألحدوا أو قالوا بوحدة الوجود في المعاني التي هي مخالفة لضروريات الأديان وسائر العقائد الباطلة نظير إنكار المعاد الجسماني ، هل أرادوا أن ينحرفوا حين بدأوا في الفلسفة ؟ أو الذين أنكروا المعاد والنشأة بعد الموت والجنة والنار ، هل كانوا يريدون أن يصلوا إلى إنكار هذه الأمور ؟ أو ذاك الفيلسوف والعارف الشهير الذي اختار القول بالتجسم ، وعبر عنه بالجسم الإلهي[2] ، وغيره من

---

[1]) النجعة في شرح اللمعة،ج٧،ص٣٤.

[2]) يقول ملا صدرا : فليجز أن يكون في الوجود جسم إلهي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.شرح أصول الكافي،ج٣،ص٢١٨

إن كلامه واضح وصريح ومما لا يقبل التبرير أنه ينسب التجسيم لله تعالى بمعنى أن له جسم يناسبه إلا أنه ليس كغيره من الأجسام . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لأن الجسم لا يمكن نسبته لله تعالى وإن كان لا يشابه الأجسام.

ورد بعضهم قول الملا صدرا آنف الذكر قائلا : هذا منه عجيب فإن الجسم أي الجوهر القابل الأبعاد الثلاثة كما صرح به يستلزم التركب لا محالة ، ضرورة أن طوله غير عرضه

وعرضه غير عمقه ، فيصير ممكنا ولا يجديه ما ذكره من كونه إلهيا ليس كمثله شيء إلى آخره.وأيضا لا يمكن تعقل الأبعاد الثلاثة إلا متناهية محدودة ، وإلا لم تتحقق الأبعاد المذكورة فيلزم تناهي الواجب ، مع أنه خارج عن الحد والتناهي اتفاقا وعقلا ونقلا.

وقد قسّم السيد الخوئي ﷺ المجسمة إلى طائفتين قائلا : وهم على طائفتين فإن منهم من يدعي أن الله سبحانه جسم حقيقة كغيره من الأجسام وله يد ورجل إلا أنه خالق لغيره وموجد لسائر الأجسام فالقائل بهذا القول إن التزم بلازمه من الحدوث والحاجة إلى الحيز والمكان ونفي القدمة فلا إشكال في الحكم بكفره ونجاسته لأنه إنكار لوجوده سبحانه حقيقة وأما إذا لم يلتزم بذلك بل اعتقد بقدمه تعالى وأنكر الحاجة فلا دليل على كفره ونجاسته وإن كان اعتقاده هذا باطلا ومما لا أساس له . ومنهم من يدعي أنه تعالى جسم ولكن لا كسائر الأجسام كما ورد أنه شيء لا كالأشياء فهو قديم غير محتاج . ومثل هذا الاعتقاد لا يستتبع الكفر والنجاسة أما استلزامه الكفر من أجل أنه إنكار للضروري حيث إن عدم تجسمه من الضروري فهو يبتني على الخلاف المتقدم من أن إنكار الضروري هل يستلزم الكفر مطلقا أو أنه إنما يوجب الكفر فيما إذا كان المنكر عالما بالحال بحيث كان إنكاره مستلزما لتكذيب النبي ﷺ هذا . والعجب عن صدر المتألهين حيث ذهب إلى هذا القول في شرحه على الكافي وقال ما ملخصه : إنه لا مانع من التزام أنه سبحانه جسم إلهي فإن للجسم أقساما فمنها : جسم مادي وهو كالأجسام الخارجية المشتملة على المادة لا محالة . ومنها جسم مثالي وهو الصورة الحاصلة للإنسان من الأجسام الخارجية وهي جسم لا مادة لها . ومنها : جسم عقلي وهو الكلي المتحقق في الذهن وهو أيضا مما لا مادة له بل وعدم اشتماله عليها أظهر من سابقه . و منها : جسم إلهي وهو فوق الأجسام بأقسامها وعدم حاجته إلى المادة أظهر من عدم الحاجة إليها في الجسم العقلي ومنها : غير ذلك من الأقسام ولقد صرح بأن المقسم لهذه الأقسام الأربعة هو الجسم الذي له أبعاد ثلاثة من العمق

الذين وقعوا في الانحرافات ، هل أرادوا من البداية أن يقعوا في مثل هذه الانحرافات؟![1].

ونظير كلامه هذا هو ما ذكره في مقدمة الجزء الأول من كتابه القيم (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) حيث يقول : في الفترة الثانية التي بدأت من عصر بني أمية وتكاملت في عصر بني العباس سيما المأمون جاءت السياسات الحاكمة المعارضة للقوانين الإسلامية التي لا تسمح لأرباب هذه السياسات بسياساتهم الاستضعافية في الحكم والإدارة والمال وما يتعلق بالمسلمين وبيت مالهم ، جاءت بالفلسفة اليونانية بما يوجد فيها من الآراء الإلحادية والمبادئ التي لا تتفق في النهاية مع رسالة اللّه تعالى وهداية الأنبياء في معرفة اللّه تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته الكمالية وأفعاله الحكيمة ، وإن أصرّ بعض المشتغلين بها على التوفيق بين المدرستين . مدرسة الأنبياء ودعوتهم التوحيدية التي قررها وبيّنها القرآن بأحسن التقرير وأكمل التبيين والتي يتفق الكل عليها وعلى أصولها القيّمة القويمة ، فلم يختلفوا حتى في أصل واحد . ومدرسة الفلاسفة الذين اختلفوا في أصولهم اختلافا كثيرا فلم يجمعوا في المبادئ الأولية على كلمة واحدة ولم يجعلوا أمام البشرية مسلكا مشخصا بمبادئه الفكرية

والطول والعرض . وليت شعري أن ما فيه هذه الأبعاد وكان عمقه غير طوله وهما غير عرضه كيف لا يشتمل على مادة ولا يكون متركبا حتى يكون هو الواجب سبحانه.التنقيح في شرح العروة الوثقى،ج٣،ص٧١.

[1]) نكرشي در فلسفة وعرفان،٩٤.

والعملية ولم يهدوها إلى حق اتفقوا عليه . وقد اختلفت آراؤهم في المسائل المتعلقة بالمبدأ والمعاد حتى لعلك لم تجد اثنين منهم اتفقا على رأي واحد في جميع هذه المسائل ، فلكل منهم مسلك سلكه وطريق يذهب فيه اللهم إلا المتمسكين منهم بحبل وحي الأنبياء والمعتمدين على هدايتهم وهداية الأئمة المعصومين عليهم السلام ممن لم يغتروا بأقوال أصحاب الفلسفة ولم يخوضوا في مباحث لم يأذن الشرع الخوض فيها . ومن سبر كتبهم واصطلاحاتهم يعرف أن منطق الفلاسفة ولغتهم غير لغة الأنبياء والمتشرّعين بشرائعهم . فاللّه الذي هو خالق الكل يفعل ما يشاء ، ويبعث الرسل ويجازى العباد على أفعالهم ويرزقهم ، ويسمع دعاءهم ، ويستجيب لهم ، وهو موصوف بالصفات التي وصف هو تعالى نفسه بها ، ليس هو ما أسماه الفلاسفة بالعلة الأولى التي لا يصح إطلاق أسماء اللّه الحسنى عليها حقيقة مثل : الخالق والرازق والغفار والتواب...إلا بالتأويل والتسامح والتجوّز ، فليس في أسماء اللّه تعالى ما هو مرادف للعلة الأولى ولا ما مفهومه مفهومها أو مفهوم غيرها مما أطلقه الفلاسفة الذين عبّروا عن اللّه تعالى بالعلة الأولى . كما يعلم أن مفهوم مثل الخالق والخالقية والمخلوقية ونحوها الذي يبين به الفرق بين اللّه وبين ما سواه ليس مفهوم العلة والعلية والمعلولية الذي يدور عندهم عليه تبيين ربط الحادث بالقديم ، على تفاصيل وبيانات مختلفة فلسفية مذكورة في كتب القوم[1].

ومن كلامه في فتنة العرفاء والمتصوفة :

---

[1]) منتخب الأثر،ج١،ص٧.

ومن الذين بنوا أمرهم على تأويل النصوص وصرفها على ما يوافق أهوائهم وخيالاتهم وأعظمهم ضررا وأقبحهم تأويلا الطائفة المتسمية بالعرفاء والمتصوفة، الذين لعبوا بأصول الدين وفروعه وطبقوها على آرائهم الفاسدة وصحّحوا بها أعمالهم الخبيثة ، لهم مقالات واهية وكلمات باطلة حرّموا الحلال وحلّلوا الحرام ، وجاءوا مع اختلافهم في سيرهم وسلوكهم وسلاسلهم بما يخالف صريح النصوص ، وتأويلات أوهن من بيوت العنكبوت وحسبك في ذلك أن تطالع بعض كتبهم وتاريخ رؤسائهم وأشعارهم حتى تعرف إنّهم من العرفان الحقيقي ومن الشرع أبعد من الأرض عن السماء ، أعاذ اللّه المسلمين من شرورهم فلم يتقهقروا إلا لاشتغالهم بترهات هؤلاء وانصرافهم عن التمسك بالثقلين . وأكثر ضررا من هاتين الطائفتين على أنفسهم وعلى غيرهم من خلط ما تسميه هؤلاء بالعرفان بفلسفة اليونان فزاد في الطنبور نغمة أخرى .وإن شئت أن تعرف ما عليه المتصوفة ومن سلك مسالكهم فراجع تفسير ملا عبد الرزاق القاساني تجد فيه كثيرا من هذه التأويلات ، فإنه في مثل الآية الكريمة : ﴿**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**﴾[1] تأول الحمار بالعزير النبي ، ﴿**الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ**﴾[2] بالقلب والنفس ، ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ**﴾[3] بالعقل النظري والعقل العلمي ، وفي : ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[4] ، تأول

---

[1]) سورة البقرة : ٢٥٩ .

[2]) سورة البقرة : ١٥٨ .

[3]) سورة الكهف : ٨٢ .

[4]) سورة النساء : ١ .

النفس بالنفس الناطقة ، وفي : ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1] تأول الزوج بالنفس الحيوانية ، والتأويلات الفاسدة في كلماتهم كثيرة جدا ، فراجع الفصوص وغيرها ولا يهمنا ذكر أكثر من ذلك ، والغرض الإشارة إلى فساد الطريقة[2].

وذكر العلامة الأميني ﷺ كلام الخوارزمي الذي يقول فيه أن سبب انحرافات الشهرستاني كانت بسبب الفلسفة وهذا نص ما جاء في (موسوعة الغدير) : أنا لم أجد في قاموس البيان ما يعرب عن حقيقة الشهرستاني وكتابه ، وكل ما ذكر من تقولاته وتحكماته يقصر عن استكناه بجره وعجره ، غير أن لمعاصره أبي محمد الخوارزمي كما في معجم البلدان[3] كلاما ينم عن روحياته وإليك نصه . قال بعد ذكر مشايخه في الفقه وأصوله والحديث : ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام ، وكثيرا ما كنا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله ، وكيف مال إلى شيء لا أصل له ، واختار أمرا لا دليل عليه لا معقولا ولا منقولا ، ونعوذ باللّه من الخذلان والحرمان من نور الإيمان ، وليس ذلك إلا لإعراضه عن نور الشريعة ، واشتغاله بظلمات الفلسفة ، وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات ، فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم ، وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها

---

[1]) سورة النساء : ١ .

[2]) لمحات في الكتاب والحديث والمذهب.

[3]) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي،ج٣،ص٣٧٧.

لفظ : قال اللّه ، ولا قال رسول اللّه ﷺ ولا جواب من المسائل الشرعية ، واللّه أعلم بحاله[1].

ومما يُذكر بهذا الصدد قول ابن خلدون : فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه، ولا يكبن أحد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل أن يسلم لذلك معاطبها[2].

---

[1]) الغدير،ج٣،ص٢١٠

[2]) تاريخ ابن خلدون،ج١،ص٥١٩

إحازة ظريفة

روي في الكافي وتوحيد الصدوق عن الإمام السجاد عليه السلام : (إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى :﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[1] والآيات من سورة الحديد إلى قوله : ﴿**وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[2] فمن رام وراء ذلك فقد هلك)[3].

حسِب بعض أصحاب المسلك الفلسفي أن هذا الحديث فيهم خاصة من بعد ما خالوا أنفسهم من أهل التعمق !

وهذه هو دأبهم وسيرتهم حين التعامل مع القرآن والحديث يجترون النصوص ويقربونها للمعاني الفلسفية المتداولة لديهم ، ومن ثم يعدونها من التفسير لتلك النصوص ، وكان الأجدر بهم أن يسموها بتفسير النصوص الدينية للفلسفة أو يسموها وضع المفاهيم الفلسفية إلى جنب النصوص الدينية بالرغم من عدم إمكان التوافق بينهما كما فعلوا بهذا الحديث وحازوه إلى جنبتهم ببساطة ظريفة.

---

[1]) سورة الإخلاص : ١

[2]) سورة الحديد : ٦ .

[3]) أصول الكافي،ج١،ص١٣٩.التوحيد،ص٢٨٣.

ولو كان الحديث في الفلسفة لم يرد فيه : (في آخر الزمان) لأن الفلسفة متقدمة على الخبر بأكثر من سبعمائة سنة فلا يستقيم معها التعبير بآخر الزمان.

يقول العلامة المجلسي ﵀ : (متعمقون) : أي ليتعمقوا فيه أو لا يتعمقوا كثيرا بأفكارهم بل يقتصروا في معرفته سبحانه على ما بين لهم ، أو يكون لهم معيارا يعرضون أفكارهم عليها ، فلا يزلوا ولا يخطأوا ، والأوسط أظهر ، وآيات الحديد مشتملة على دقائق المعرفة[1].

وعلق السيد هاشم الحسيني الطهراني ﵀ على الحديث قائلا : وغيرهما من الآيات ليتعمقوا ويتفكروا فيها ويعرفوا ربهم ويستغنوا عن وصف الواصفين وأقاويل المتكلمين المتكلفين وكلمات المتفلسفين[2].

ولربما يمكن أن يُقال أن الخبر يتحدث عن نضوج العقول وتعمقها في آخر الزمان مما يجعلهم يقفون على بعض أسرار تلك الآيات.

---

[1]) مرآة العقول،ج١،ص٣٢٨.

[2]) من تعليقه على توحيد الصدوق،ص٢٨٤ .

دلالات نبذ التيار الفلسفي

إن نبذ الفلسفة والمروجين لها من قِبل العلماء على مر العصور يحمل في طياته عدة دلالات ، أو لنقل أنه انبثق من خلال عدة أسباب من أهمها :

أولاً : عدم توقف أي شيء من الدين والتوحيد على المطالب الفلسفية بما في ذلك رد الشبهات ونقضها ، وإنما على كليات العقل وبديهياته وقد تكفل علم الكلام ذلك ، والمطالب المفيدة في الفلسفة إذا ما وجدت فهي مطالب عقلية يمكن تجريدها عن المصطلحات الفلسفية ، وبعبارة أخرى لا دخالة للفلسفة في إيجادها وتكوينها مثل دلالة المعلول على علته بالمعنى الكلامي لا الفلسفي[1].

وهذا ما صرح به جملة من الأعلام ومن ضمنهم السيد الخوئي ﷺ عندما سُئل:هل إن دراسة الفلسفة لازمة لطالب العلوم الدينية الذي يضع نفسه في موضع الأخذ والرد بالنسبة إلى سائر العقائد والأديان وهل هناك وجوب كفائي على طلاب العلوم الدينية في القيام بهذا الدور ، وهل يمكن إدخال هذا تحت عنوان كونه (أي الفلسفة) مقدمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو كونه مقدمة للحفاظ على الدين أو كليهما ، وإن لم تكن لازمة لطلاب العلوم الدينية فهل فيها رجحان أو لا رجحان فيها أصلا ، ثم إن دراسة الفلسفة على

---

[1]) تم بيان الفرق بينهما تحت عنوان : (نقاش الملحدين بالوجود الذهني كالنقاش بالقرآن والحديث) .

من تكون غير جائزة ـ أرجو أن توضحوا لنا جواب هذه الفقرة تماما ـ ولو فرضنا أن فهم علم أصول الفقه أو بعض أبوابه ـ فهما صحيحا كاملا ـ كان متوقفا عليها فهل هناك رجحان في دراستها عموما ، أو بقيد أن هذا الطالب يكون له مستقبل جيد في الإفادة إن شاء الله ؟

فأجاب ﷺ : لم يتضح لنا توقف ما ذكر على دراسة الفلسفة وقد تعرضوا للمقدار اللازم منها في طي أصول الدين والفقه ، وإذا خاف من الضلال إثر دراستها حرم وإلا فلا مانع منه في حد نفسه والله العالم[1].

ولا يخفى أن ثلة من العلماء صرحوا بأن كتب الفلسفة هي من كتب الضلال ناهيك عن عدم القول بتوقف إثبات مطالب التوحيد ودحض الشبهات عليها ؛ يقول العلامة الحلي ﷺ عند بيان أنواع العلوم وحكم كل واحد منها : العلم إما فرض عين أو فرض كفاية أو مستحب أو حرام فالأول...والحرام ما اشتمل على وجه قبح كعلم الفلسفة لغير النقض وعلم الموسيقى ؟ وغير ذلك مما نهى الشرع عن تعلمه كالسحر وعلم القيافة والكهنة وغيرها[2].

ومنهم من حكم بالضلال على بعضها دون البعض الآخر ـ لكن يبقى الكلام في صحة التبعيض ومدى أبعاضه ـ كالشيخ الأنصاري ﷺ الذي عد بعض كتب عرفاء الصوفية والفلاسفة من كتب الضلال لاشتمالها على ظواهر منكرة حتى

---

[1]) صراط النجاة،ج١،ص٤٥٩.

[2]) تذكرة الفقهاء،ج١،ص٤٠٨.

فيما لو كانت مطالبها حقة حيث يقول ﷺ : أن المراد بالضلال ما يكون باطلا في نفسه ؟ فالمراد الكتب المشتملة على المطالب الباطلة ، أو أن المراد به مقابل الهداية ؟ فيحتمل أن يراد بكتبه ما وضع لحصول الضلال ، وأن يراد ما أوجب الضلال وإن كان مطالبها حقة،كبعض كتب العرفاء والحكماء المشتملة على ظواهر منكرة يدعون أن المراد غير ظاهرها ، فهذه أيضا كتب ضلال على تقدير حقيتها[1].

وقد يكون كلام الشيخ الأنصاري ﷺ في التبعيض على نحو القدر المتيقن .

ثانياً : إن أصحاب التيار الفلسفي وقعوا في الاشتباه والخطأ في اختيارهم هكذا مسلك ، وأن ادعاءهم تسخير الفلسفة في إرساء قواعد الدين والتوحيد محض توهم وزعم لا صحة له . ونحن نرى مجادلات الأئمة عليهم السلام في الأخبار مع الملحدين بالأمور العقلية ولم يكن بالمصطلحات الفلسفية ، ولم يترك الأنبياء والأئمة عليهم السلام العقائد وأمر التوحيد الذي هو أعظم شيء في دعوتهم ومهامهم للفلاسفة ، أو قل لم يترك الأنبياء وأوصياؤهم عليهم السلام كمال الدين موكولا للفلاسفة أو أنهم عليهم السلام جاءوا ليحيلوهم عليهم .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : (أم أنزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله

---

[1]) كتاب المكاسب،ج١،ص٢٨٣.

سبحانه دينا تاما فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه ؟! والله سبحانه يقول : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1] فيه تبيان كل شيء)[2].

ثالثاً : إن وظيفة الحوزات الدينية هو نشر الدين ومعارف الثقلين ، وإدخال الفلسفة والتصوف إلى أروقتها يصرف الطلبة عن مسؤوليتهم الأساسية ، بل بعض الطلبة يجعل هذه الأفكار الدخيلة وغير الشرعية موازية للعلوم النقلية هذا فيما إذا لم يفضلها عليها ، كما حدث في المعاد الجسماني وقدموا الفلسفة وقالوا بالروحاني ، بل منهم من توهم أن بعض النصوص لا يمكن فهمها إلا من خلال مقدمات الفلسفة إلى غيرها من الأمور المضحكة . وعلاوة على كل هذا ترى من سماتهم البارزة الاستخفاف بالعلماء وعدهم ظاهريين لا يفقهون من الدين إلا ظاهره ، وهم المختصون بفهم أسرار الدين وغوامضه مع أن الأجدر بهم أن يكفوا عن هذه الأباطيل وينكفئوا على التتلمذ والتعلم .

رابعاً : تغلغل التيار الفلسفي في الحوزات الشيعية يعني توغل أفكار الفلاسفة والصوفية والكثير من الأفكار المنحرفة ؛ تصوروا ماذا يحدث لو انتشرت أفكار ابن عربي مثل كلامه في نوح ، وعتاب موسى لهارون وغيره :

يقول ابن عربي أن النبي نوح عليه السلام كان راضيا عن قومه وأثنى عليهم بلسان الذم :(فعلم العلماء باللّه ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم)[3].

---

[1]) سورة الأنعام : ٣٨ .

[2]) نهج البلاغة،ج١،ص٥٥.خطبة:(١٨).

[3]) فصوص الحكم/الفص النوحي.

ويقول أن النبي موسى عاتب النبي هارون عليهما السلام لإنكاره على قومه عبادة العجل وعدم معرفته وجود الحق في كل شيء حيث يقول : (فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)[1].

ومن هنا لك أن تعرف سذاجة وزيغ من يثني على ابن عربي ويهتم بكتبه إذ من يطالع كتبه لا يتردد بكفره إلا إذا كان ذا توجه صوفي فيتغاضى عن كفره أو يتأول كلامه ولو لم يحكم بكفره إلا لهذين النصين من كلامه لكفى.

وملخص ذلك : لم يتوقف إثبات وجود الخالق والأمور العقدية بصورة عامة على الفلسفة . وثانيا : اتخاذ منهج الفلسفة لإرساء قواعد الدين وجعلها منهجا محض توهم لا صحة له . وثالثا : وظيفة الطالب في الحوزة نشر معارف الثقلين وإدخال الفلسفة لأروقة الحوزة يثنيهم ويبعدهم عن مسؤوليتهم الأساسية . ورابعا : تغلغل الفلسفة في الحوزة يعني دخول الفلسفة والتصوف وما يحملان من أباطيل وبدع .

---

[1]) فصوص الحكم/فص حكمة إمامية في كلمة هارونية .

إذا كانت الفلسفة سيئة لِمَ لم ينه الأئمة عنها ؟ وأحاديث في ذمها

قد يُقال إذا كانت الفلسفة سيئة وتترتب عليها المحاذير الشرعية لماذا لم يردع الأئمة عنها ؟!

ويمكن الإجابة عن ذلك بثلاثة أجوبة كل واحد منها كافٍ في المقام :

الجواب الأول :

توجد عدة أحاديث عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم في ذم الفلسفة فيكون أصل الاعتراض غير صحيح ، ولا نسلم بعدم وجود الأحاديث في ذمها .

وقد كان من ضمن تلك الأحاديث ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب اليهودي المعترض عليه بأنه لا يعلم الفلسفة : أليست الفلسفة من اعتدلت طباعه ، ومن اعتدلت طباعه صفي مزاجه ، ومن صفي مزاجه قوى أثر النفس فيه ، ومن قوى أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ، ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية ، ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان[1].

---

[1]) مستدرك سفينة البحار،ج٨،ص٣١١عن كتاب السلسبيل،ص٢٦١.

ورواه الشيخ علي بن يونس العاملي ﷺ (ت:٨٨٧هـ) باختلاف يسير أن الدهقان قال لأمير المؤمنين عليه السلام : ما رأيت أعلم منك إلا أنك ما أدركت علم الفلسفة ، فقال عليه السلام : من صفي مزاجه اعتدلت طبايعه ، ومن اعتدلت طبايعه قوي أثر النفس فيه ومن قوي أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ، ومن سما إلى ما يرتقيه تخلق بالأخلاق النفسانية وأدرك العلوم اللاهوتية ، ومن أدرك العلوم اللاهوتية صار موجودا بما هو إنسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان[1].

وقد يُقال أن ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يدل على ذم الفلسفة وجواب ذلك : إن الفلسفة يُعنى بها الحكمة والعلم ونحوها من المعاني ، والفلاسفة يرونها في ما لديهم من اصطلاحات ومفاهيم . ولكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى العلم والحكمة في شيء آخر غير ما هو مصطلح عليه عند الفلاسفة ، فقوله عليه السلام:(أليست الفلسفة من اعتدلت طباعه..) أي ليست الفلسفة المتداولة عند الفلاسفة وإنما حقيقة الحكمة والعلم . نظير الخلاف الحاصل ما بين الأديان والمذاهب على الحق حيث كل يرى الحق إلى جانبه فمن كان موافقا له كان صاحبه دون الآخر المدعي لأن الحق واحد لا يتعدد بعدد الأطراف المتنازعة.
وهذا يمثل طعنا للفلسفة من جهة ، ومن جهة أخرى كان الذم غير صريح وإنما من خلال التلميح والتعريض ، ونفس إعراض الأمير عليه السلام عن الفلسفة جهة ثالثة في الطعن والقدح.

---

[1]) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم،ص٢٢٤.

ومع هذا يمكن أن يُقال الرواية مرسلة ، والبادي عليها لا تشبه مفرداتها ما جاء في كلمات الأئمة عليهم السلام . وقد يلاحظ عليه أن الإمام عليه السلام جاء بهذه المفردات لكونها شائعة عندهم ليبين لهم أنه عليه السلام على إحاطة بها ، وفي نفس الوقت يكلمهم بنفس المفردات والدلالات لديهم ، إلا أنه مضافا لكل ذلك أقل ما يقال فيها أنه لا يمكن الجزم بصحتها[1].

---

[1]) الروايات الضعيفة سواء كان الضعف للإرسال أو عدم الوثوق برواة السند لا يمكن القطع بعدم صدورها ؛ لأن البحث في الأسانيد وتصحيح بعضها وركون بعضها ثم عدم العمل به هذا في مقام الظاهر وكما يعبرون مقام الإثبات ، ولم يكن ناظرا للواقع وعالم الثبوت.نعم إذا كان الخبر الضعيف مخالفا لما هو ضروري من الضروريات الدينية أو المذهبية يُقطع بعدم صدوره أو غير مراد العمل به كما لو صدر في حال تقية.

ولكن ماذا عن الخبر الضعيف الذي لا يُقطع بعدم صدوره إلا أنه توجد عليه قرائن للوضع كما لو كان مشابها لمفردات الفلاسفة والصوفية وعلى نسق مذاقهم ، أو كانت الركة وضعف التعبير بادٍ عليه؟

والجواب عن ذلك : ما زال لم يخالف القطعيات الضرورية لا يمكن القطع بعدم صدوره ؛ وذلك لأن الخبر إذا كان مرويا عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم لا يمنع أن يكون متداولا في أوساطهم ، وإذا كان على مذاقهم لا يبعد أن يكون ذلك المذاق أو بعض المفردات فيه تلقوها من الأئمة عليهم السلام ، مما أعني أن الأئمة سبقوهم في ذلك ، ومع هذا لا يمكن القطع بصدوره ؛ لأن الفرقة الصوفية فرقة معروفة بالوضع ونسبة للأئمة ما لم يكن لهم تصحيحا لطريقتهم ومعتقداتهم مثل وحدة الوجود التي دللت عليها كلماتهم مثل قول الحلاج : (أنا الحق) . عوارف المعارف،ص٩١ . وقول أبي يزيد البسطامي : (سبحاني) . عوارف المعارف،ص٩١ . إلى غيرها من الكلمات التي شاعت عنهم .

ولا يبعد أن يكون الإمام جاء بهذه المفردات لكونها شائعة عندهم ليبين لهم أنه عليه السلام على إحاطة بها ، وفي نفس الوقت يكلمهم بنفس المفردات والدلالات لديهم كما تم التنويه

لذلك.أو أن الإمام جاء بالمفردات التي لم تكن شائعة في أخبارهم عليهم السلام لأنها وردت في كلام السائل أو المعترض للإجابة عليها خصوصا في الروايات التي ورد فيها قال فلان (الصوفي أو الفيلسوف) وقال الإمام .

وأما بالنسبة لضعف التعبير فيلاحظ عليه أن ثلة من الأخبار لم يحفظ الرواة مفرداتها أجمع ولذا نقلوا لنا معانيها بتعابيرهم.

ولا يخفى كما أن الأخبار الضعيفة توجد على بعضها قرائن للوضع في قبالها أخبار توجد عليها قرائن للصحة وكلما تأكدت هذه القرائن أكثر سواء كانت في جانب الصحة أو الوضع كلما ازدادت نسبة احتمال الصدور في تلك الجهة والوضع في هذه.

وملخص ذلك في نقطتين :

الأولى : تنقسم الروايات الضعيفة إلى :

١ ـ يقطع بعدم صدورها لمخالفتها الضروريات.

٢ ـ لا يقطع بصدورها وعدمه ولا توجد عليها قرائن الوضع.

٣ ـ لا يقطع بالصدور وعدمه إلا أنه توجد عليها قرائن الوضع وإن كانت بعض القرائن والأخبار يمكن الاختلاف فيها ، كما في قرينة المذاق الصوفي فيوجد من يراها على مذاقهم ويوجد من لا يراها عند أحاديث معينة.

النقطة الأخرى :

إن الكلام في هذه الأقسام تارة على مستوى الظاهر وتارة أخرى على مستوى الواقع ؛ فلا يصح الخلط بين الأمرين ، وإذا كانت توجد قرائن على الوضع لا يعني القفز إلى عالم الواقع ومن ثم يُقال بالقطع بعدم الصدور إذ القرائن أقصى ما تفيد النفي الظاهري ، إلا إذا تأكدت كثيرا في حالات مخصوصة يمكن حينها الجزم بعدم الصدور إلا أن وقوع مثل هذا على نحو القلة.

وروي في توحيد المفضل[1] عن الإمام الصادق عليه السلام : (فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه...ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز وقصور العلم : لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد ، لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة ، كمطل النظر إلى البول ، وجس العرق ، وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة ، حتى ربما كان ذلك سببا للموت ، فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو هكذا ، كان أول ما فيه إن كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت...واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم (قوسموس) وتفسيره الزينة ، وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة ، أفكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه التقدير والنظام فلم يرضوا أن يسموه تقديرا ونظاما سموه زينة ، ليخبروا أنه مع ما هو عليه

---

[1]) كتاب (التوحيد) ورسالة (الإهليلجة) المرويان عن المفضل بن عمر الجعفي لهما قيمة معرفية عظيمة في مجال إثبات وجود الخالق وأسرار الخلقة . ومضمونهما من المضامين العالية كما ذكر العلامة المجلسي رحمه الله : (لا يضر إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل وقد شهد بذلك السيد ابن طاووس وغيره ولا ضعف محمد بن سنان ــ الذي روى عن المفضل توحيده ــ والمفضل لأنه في محل المنع بل يظهر من الأخبار الكثيرة علو قدرهما وجلالتهما مع أن متن الخبرين شاهد صدق على صحتهما.وأيضا هما يشتملان على براهين لا تتوقف إفادتها العلم على صحة الخبر).بحار الأنوار،ج٣،ص٥٥.
والإهليلجة رواها الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال تحت عنوان : (ذكر تسع عشرة مسألة سأل عنها الصادق عليه السلام الطبيب الهندي في مجلس المنصور فلم يعلمها وأخبره الصادق عليه السلام بجوابها.

من الصواب والإتقان ، على غاية الحسن والبهاء . أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ ، وهم يرون الطبيب يخطئ ، ويقضون على العالم بالإهمال ، ولا يرون شيئا منه مهملا ، بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة ، حتى جهلوا مواضعها في الخلق ، فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جل وعلا . بل العجب من المخذول (ماني)[1] حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحكيم الكريم . وأعجب منهم جميعا (المعطلة) الذين راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل ، فلما أعوزهم ذلك ، خرجوا إلى الجحود والتكذيب...فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها ، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها ، فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع . وقال آخرون هو سحابة وقال آخرون جسم زجاجي ،

---

[1]) المانوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم : أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين . أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين ، دراكين سميعين بصيرين، وهما مع ذلك في النفس ، والصورة ، والفعل ، والتدبير ، متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص و الظل.الملل والنحل للشهرستاني،ج١،ص٢٤٤.

يقل نارية في العالم ، ويرسل عليه شعاعها . وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر . وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار . وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة : ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة . وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء . وقال آخرون بل هي أقل من ذلك . وقال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة. وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرة . ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس ، دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ، ويدركها الحس ، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها ، فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم ؟ . فإن قالوا : ولم استتر ؟ قيل لهم : لم يستتر بحيلة يخلص إليها ، كمن يحتجب من الناس بالأبواب والستور . وإنما معنى قولنا استتر إنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام ، كما لطفت النفس . وهي خلق من خلقه . وارتفعت عن إدراكها بالنظر فإن قالوا ولم لطف تعالى عن ذلك علوا كبيرا ؟ كان ذلك خطأ من القول ، لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مباينا لكل شيء ، متعاليا عن شيء سبحانه وتعالى[1].

وقد يُقال : أن رواية المفضل بن عمر الجعفي بصدد ذم منتحلي الفلسفة ادعاءً وكذبا ولا تذم الفلسفة ولا الفلاسفة.

---

[1]) انظر توحيد المفضل : ص٣٠،ص٣٤،ص١١٦،ص١١٨.

ولكن لو خلينا نحن و عبارة : (لمنتحلي الفلسفة) وغضضنا الطرف عن القرائن الأخرى المنساقة في الانتقاص من الفلاسفة والفلسفة معا يمكن أن ينتفي الاحتمال والاعتراض المزبور .

وبعبارة أخرى لو نظرنا لرواية المفضل بمجموعها لرأينا الرواية منساقة بموارد ومواضع متعددة تستصغر الفلاسفة وتنال منهم ومما يحملون فلا مجال حينها لتوهم القدح في خصوص المدعين.

ومن جهة أخرى لو كان الذم لمدعي الفلسفة كذبا دون أصحابها لما كان التحامل على الفلسفة والفلاسفة بهذا السياق غير المكترث بهما ولا المنوه لفضلهما.

ثم إذا كان المقصود المدعين دون غيرهم كما قال المعترضون لخرج الكلام عن الإنصاف والموضوعية إلى جانب عدم الاعتدال وبخس هؤلاء حقهم وهذا مما لا يمكن صدوره من الإمام الصادق عليه السلام وهو يتكلم بهذه الدقة والإتقان العجيب الذي يقصر علماء المعرفة عن محاذاة مراه ونيل مناله.

ومضافا لذلك أن نعت الإمام الصادق عليه السلام للفلاسفة بالتعاسة والخيبة لِما يحملون من فلسفة كانت مترجمة عند المسلمين ومن ثم وصلت إلينا عِبر الفلاسفة جيلا بعد جيل.

ومن الأحاديث التي رويت في ذم الفلسفة ما نقله الميرزا النوري ﵀ عن العلامة الأردبيلي ﵀ في حديقة الشيعة : نقلا عن السيد المرتضى ابن الداعي الحسيني الرازي ، بإسناده عن الشيخ المفيد ، عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن أبيه محمد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الإمام الحسن العسكري ﵇ أنه قال لأبي هاشم الجعفري : (يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة متكدرة ، السنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، أمراؤهم جاهلون جائرون ، وعلماؤهم في أبواب الظلمة ، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء ، وكل جاهل عندهم خبير ، وكل محيل[1] عندهم فقير ، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ، لا يعرفون الضأن من الذئاب ، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض ، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف)[2].

وقد حاول منتهجو المسلك الفلسفة الانتصار لها من خلال جعل الأحاديث الذامة للفلسفة كالأحاديث الذامة للكلام في حين إن الأحاديث الناهي عن الكلام والذامة له في خصوص التكلم بذات الله عز وجل كما روي عن الإمام

---

[1]) قد يكون المراد بالمحيل : هو المخادع والكذاب .

[2]) مستدرك الوسائل،ج١١،ص٣٨٠.

الصادق عليه السلام : (إياكم والكلام في الله ، تكلموا في عظمته ولا تكلموا فيه فإن الكلام في الله لا يزداد إلا تيها)[1].

وعقد الشيخ الصدوق رحمه الله أحد أبواب كتاب التوحيد تحت عنوان : (النهي عن الكلام والجدال والمراء في الله عز وجل) .

أو أن النهي عن الكلام جاء في حق من كان مخالفا لأهل البيت عليهم السلام كما روي في خبر عن يونس بن يعقوب عن الإمام الصادق عليه السلام قال : جعلت فداك إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأصحاب الكلام يقولون ، هذا ينقاد وهذا لا ينقاد ، وهذا ينساق وهذا لا ينساق ، وهذا نعقله وهذا لا نعقله ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنما قلت : (فويل لهم أن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون)[2].

أو في خصوص من لا يحسن الكلام كما قال الإمام الصادق عليه السلام ليونس بن يعقوب : (يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته)[3].

إلى غير ذلك من المخالفات الشرعية واللوازم الفاسدة . وقد لخص الحر العاملي رحمه الله بعض المحاذير التي بينتها الأحاديث في عنوان واحد : (باب عدم

---

[1]) توحيد الصدوق،ص٤٥٧.
[2]) أصول الكافي،ج١،ص٢١٩.
[3]) أصول الكافي،ج١،ص٢١٩.

جواز الكلام في ذات الله والتفكر في ذلك ، والخصومة في الدين والكلام بغير كلام الأئمة عليهم السلام)[1].

ولا يخفى أن بعض الأحاديث جاءت مطلقة بذم الكلام إلا أنها تُقيد في خصوص الكلام بالذات الإلهية ، أو غيرها من المحاذير المذكورة في الأحاديث فتأمل ولا يشتبه عليك الأمر.

بل توجد لدينا أحاديث تأمر بالكلام كما روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال لهشام بن الحكم : (مثلك فليكلم الناس)[2].

وأيضا قال عليه السلام لعبد الرحمن بن الحجاج : (يا عبد الرحمن كلم أهل المدينة فاني أحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك)[3].

الجواب الثاني :

إن الفلسفة بالرغم من ترجمة بعض كتبها كان في زمن بني أمية إلا أنها لم تكن منتشرة ولذا لم تكن محل اهتمام المسلمين ورد الأئمة عليهم السلام المتقدمين عليها،وإنما انتشرت في زمن الدولة العباسية بعد ما تبنت السلطة العباسية ترجمتها والترويج لها .

---

[1]) انظر وسائل الشيعة،ج١١،ص٤٥٢.

[2]) أصول الكافي،ج١،ص٢٢١.

[3]) اختيار معرفة الرجال،ص٣٢٥.

ولم يردع عنها الأئمة اللاحقون عليهم السلام لأنها تمثل المواجهة مع السلطة إذ يكفي فيمن نقض الفلسفة الوشاية به إلى الحاكم كما كان من أمر هشام بن الحكم فقد روي عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئا من طعنه على الفلاسفة ، وأحب أن يغري به هارون ويضريه على القتل[1].

وهذا يعني أن اتخاذ منهج الطعن على الفلسفة يمثل مجابهة السلطة العباسية ومن هنا يكون من المتوقع جدا أن الأئمة اللاحقون عليهم السلام تجنبوا الطعن فيها تقيةً أو أن الأحاديث التي صدرت منهم لخواصهم أخفاها الرواة تقيةً .

وما صدر عن هشام بن الحكم من تأليف كتاب رد فيه على ارسطاليس في التوحيد[2] . ونقدا للفلسفة كان من المجازفة والمخاطرة التي لا يتحمل ما ينجم عنها إلا صاحبها ونظير ذلك ما ألفه الفضل بن شاذان حيث عد النجاشي من مصنفاته : (كتاب الرد على الفلاسفة)[3].

---

[1]) اختيار معرفة الرجال،ص١١٤.

[2]) عده النجاشي من ضمن كتبه.انظر رجال النجاشي،ص٤٣٣.

[3]) رجال النجاشي،ص٣٠٧. ومن ضمن كتبه التي عدها النجاشي : (كتاب الرد على الحسن البصري في التفضيل).

ولربما ما ألفه هشام بن الحكم والفضل بن شاذان وغيرهما من أصحاب الأئمة عليهم السلام في النقض على الفلسفة هو عبارة عن نقض لبعض آرائها مما لا يمثل الرد المؤدي للمواجهة مع السلطة.

الجواب الثالث :

وهو جواب نقضي إذ إن المستشكلين يقولون لو كانت الفلسفة سيئة لصدرت فيها الأحاديث الناهية والمحذرة من الأئمة عليهم السلام . ومما ينقض به عليهم قلب مؤدى الإشكال : لو كانت الفلسفة مهمة وضرورية كما تصورنها لورد فيها من الأحاديث المؤيدة لها والحاثة على تعليمها وتعلمها مما يعني نفس غض الطرف عنها من قِبل الأئمة عليهم السلام هو كاشف عن سوئها ؛ إذ لو كانت نافعة خصوصا في أمر الدين لم يتجاهلها الأئمة عليهم السلام ناهيك عن الأحاديث الطاعنة فيها.

وإذا ما لاحظنا أصحاب الأئمة وتلامذة أصحابهم في الرد على الفلسفة من خلال مصنفاتهم ، وعدم الميل لها والتصنيف فيها ينكشف لنا جليا ما كان عليه الأئمة عليهم السلام من موقف رافض للفلسفة وخط الفلاسفة فإياك أن تنحدر ضمن هذا الخط؟

واعجبا أن يتبنى المنتمين لأهل البيت عليهم السلام ما أعرض عنه أئمتهم ويكون لديهم محل افتخار وتعال على حديثهم ونورهم صلوات الله عليهم.

العلماء الذين تركوا الفلسفة والتصوف في نهاية المطاف

إن الكثير من طلبة الفلسفة والتصوف في بداية طريقهم يُكبرون فلسفة المشاء والإشراق ، ويحسبون توقف محتواهم العلمي عليهما إلا أنهم في نهاية المطاف يبدون تأسفهم ، ويعربون عن ندمهم وضياع عمرهم بأمور ما كان لهم أن يعيروها كل هذا الاهتمام . والسيد محمد باقر الصدر ﵀ يصف حال هؤلاء الطلبة قائلا : الإنسان عندما يعشق الفلسفة ويبدأ بدراستها ، يتصور أنها ستحل كل مشكلاته الفكرية ، ثم يتقدم فيها فيرى أنها لا تحل شيئا منها[1].

وبكل تأكيد هؤلاء أفضل من غيرهم الذين بقوا يكابرون وهم يعلمون بزللهم ـ ومنهم من شق عليه الإعراب عن ندمه وضياع عمره على الفلسفة ولذا بقي كتوما يعيش مآسي الضياع في حسرات نفسه ـ لأنهم حينها يكونون عبرة وشعلة تضيء لغيرهم ، وهذا هو مصيرهم المحتوم الذي ينكشف لهم في نهاية المطاف محملا أعباء الخيبة والأسف . وكما يقول الشيخ البهائي ﵀ : من أعرض عن مطالعة العلوم الدينية ، وصرف أوقاته في إفادة الفنون الفلسفية ؛ فعن قريب لسان حاله يقول عند شروع شمس عمره في الأفول :

---

[1]) تجربتي إلى طالب العلم للشيخ الكوراني،ص١١٥.

تمام عمر با اسلام در داد وستد بودم اكنون مي ميرم واز من بت زنار مى ماند[1]

معناه : أمضيت عمري أتعامل مع الإسلام بالتجارة فالآن أموت ويبقى مني الصنم والوثن.

وإليك كلمات جملة من العلماء الذين قضوا شطرا طويلا في الفلسفة والتصوف ولكن بعد اللتيا والتي[2] تنبهوا لزلل المنهج وتبين لهم سراب الطريق وعدم الجدوى :

---

[1]) الكشكول،ج١،ص٢١٤.

[2]) هما كنايتان عن الشدائد المتعاقبة يكنى بها عنها.مجمع البحرين،ج١،ص٣٨٨.
وذكر الميداني : بعد اللَّتيّا والَّتي هما الداهية الكبيرة والصغيرة وكنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيها بالحية فإنها إذا كثر سمها صغرت لان السم يأكل جسدها وقيل الأصل فيه أن رجلا من جديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا فجرى ذلك على الداهية وقيل إن العرب تصغر الشيء العظيم كالدهيم واللهيم.مجمع الأمثال،ج١،ص٩٧.
وروي أن التعبير بـ : (اللتيا والتي) جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام : (فإن أقل يقولوا حرص على الملك . وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه.بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة).نهج البلاغة،ج١،ص٤٠.

١ ـ الفيض الكاشاني :

إن الشيخ محسن بن مرتضى الكاشاني ﵀ ندم في نهاية المطاف على كتبه التي صنفها على مذاق الفلاسفة والصوفية وصرح بذلك في رسالة : (الإنصاف) . يقول الشيخ آقا بزرك الطهراني ﵀ : (الإنصاف) في طريق العلم بأسرار الدين المختص بالخواص والأشراف وبيان الفرق بين الحق والاعتساف ، للمحقق المحدث المولى محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني المتوفى سنة : (١٠٩١هـ) أوله: (الحمد لله الذي أنقذنا بالتمسك بحبل الثقلين من الوقوع في مهاوي الضلال). ذكر فيه بعض أحواله وبين عذره عما كتبه من الكتب على مذاق الفلاسفة والمتصوفة[١].

وهذا نص ما قاله الفيض الكاشاني في مطلع رسالة (الإنصاف) : الحمد لله الذي أنقذنا بالتمسك بحبل الثقلين من الوقوع في مهاوي الضلال والصلواة والسلام على نبينا محمد وآله خير نبي وخير آل أما بعد ؛ فهذه رسالة في بيان طريق العلم بأسرار الدين المختص بالخواص والأشراف تُسمى بـ (الإنصاف) لخلوها من الجور والاعتساف ـ من هنا بدأت ترجمة النص الفارسي[٢] ـ : المهتدى إلى صراط المصطفى محسن بن مرتضى زاده الله هدي إلي هدي يقول : تفرغت عن التفقه في الدين وحصول البصيرة في الاعتقادات وكيفية إتيان العبادات على طريقة المعصومين ﵈ حينما كنت شابا ، وما احتجت إلى

---

[١]) الذريعة،ج٢،ص٣٩٨.

[٢]) رسالة (الإنصاف) كتب بعضها باللغة العربية والبعض الآخر باللغة الفارسية .

التقليد من أحد من غير المعصوم بتوفيق الله تبارك وتعالى ثم خطر ببالي أن أجتهد في حصول معرفة أسرار الدين وعلوم الراسخين لكي أرتقي في الكمالات النفسانية ولكن ليس للعقل طريقا إليه وما كان للنفس برتبته الإيمانية منفذا إليه ومع ذلك ما صبرت على الجهالة وصرت متألما من ذلك ؛ لذلك خُضتُ أياما في قراءة مجادلات المتكلمين فكنت أجتهد بإزالة الجهلَ بآلة الجهل نفسه ! وبعده صرتُ أتعلم على طريقة المتفلسفين وكنت أبصر طموحات المتصوفة في أقاويلهم[1] وبحثت شطرا من الدهر في رعونات أصحاب أل (من عندي)[2] حدثني قلبي عن ربي وحتى كتبت الكتب والرسائل في تلخيص كلام هؤلاء الطوائف الأربعة[3] وفى بعض الأحيان كنت أقوم بالجمع بين

---

[1]) من الأمور التي أخذها من الصوفية هو أن الفيض الكاشاني نسب حديثا لأمير المؤمنين عليه السلام : (إن للّه تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا أخلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم).الحقائق في محاسن الأخلاق،ص١٧٨

ولكن هذا الحديث لا وجود له في مصادرنا ولذا يقول محقق : (كتاب الحقائق في محاسن الأخلاق) : قال بعض الأعلام : لم نعثر على مصدر لهذه الرواية في كتب أصحابنا الإمامية رضوان اللّه عليهم .

[2]) أل (من عندي) : الذين يقولون من عند أنفسهم ما انزل الله به من سلطان.

[3]) يعني بالطوائف الأربعة : ١ ـ المتكلمين ٢ ـ المتفلسفين ٣ ـ المتصوفة ٤ ـ أل عنديين.والمذموم من علم الكلام في الأحاديث هو التكلم بذات الله عز وجل أو في

آرائهم وأمزج بعضها ببعض[1] من غير تصديق بكلها ، ولا عزيمة قلب على جلها ، بل أحطت بما لديهم خبرا ، وكتبت في ذلك على التمرين زبرا ، فلم أجد في شيء من إشاراتهم شفاء علتي ، ولا في أدارة عباراتهم بلال غلتي ، حتى خفت على نفسي إذ رأيتها فيهم كأنها من ذويهم فتمثلت بقول من قال : خدعوني نهبوني أخذوني غلبوني.....وعدوني كذبوني فإلى من أتظلّم

ففررت إلى اللّه من ذلك ، وعذت باللّه من أن يوقفني هنالك ، واستعذت بقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أدعيته : (أعذني اللّهم من أن استعمل الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتقلقل فيه الفكر)[2].

ثم أنبتُ إلى اللّه ، وفوضت أمري إلى اللّه ، فهداني الله ببركة متابعة الشرع المبين ، إلى التعمق في أسرار القرآن وأحاديث آل سيد المرسلين ، صلوات اللّه عليهم وفهّمني اللّه منها بمقدار حوصلتي ودرجتي من الإيمان ، فحصل لي بعض الاطمينان ، وسلب اللّه مني وساوس الشيطان ، ولله الحمد على ما هداني ، وله الشكر على ما أولاني ، فأخذت أنشد شعرا :

ملك الشرق تشرق وإلى الروح تعلق...غسق النفس تفرّق ربض الفكر تهدّم

خصوص من لا يحسن الكلام وغيرها من المحاذير التي تم التطرق لها عند عنوان : (إذا كانت الفلسفة سيئة لِمَ لم ينه الأئمة عنها ؟ وأحاديث في ذمها).

[1]) إلى هنا انتهى النص المكتوب بالفارسي.

[2]) لم أجد هذا الدعاء في مصادرنا الروائية المشهورة ولا في كتب الأدعية والزيارات.

و﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] ثم إني جربت الأمور ، واختبرت الظلمة والنور ، حتى استبان لي أن طائفة من أصحاب الفضول ، المنتحلين بمتابعة الرسول غمضوا العينين ، ورفضوا الثقلين ، وأحدثوا في العقائد بدعا ، وتحزبوا فيها شيعا ، لا في اثنين منهم اتفاق ولا فيما بينهم تؤالف ديني ولا تحابٌ أخواني إلا النفاق ، وذلك لأنهم كانوا يطوفون حول الطوائف الأربع من غير بصارة ولا متابعة بصير وكانوا بالحري أي يتلى عليهم : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[2] وكان الله مقتهم على صنيعهم ، هذا إذ لم يرزقهم التؤالف والتحابَّ والاتفاق ووكلهم إلى حب الرياسة ورذيلة النفاسة والنفاق ، إلى أن وقعوا بشؤم هذا الصنيع الشنيع إلى التحالف والتدابر والتباغض والتنافر ، على أن من شأن النفوس الحسد والكبرياء وعدم الانقياد لمن كان من أبناء جنسها إذا كان معها في زمان واحد ، وأشده إذا كان معها في بلد واحد ، وليس كذلك إذا كان قد مات أو لم يولد . ثم حبهم الرياسة أوقعهم في استبدادهم بالآراء وتشتتهم في الأهواء ، فهم بما عندهم مغرورون وبأنفسهم معجبون وبه من سواهم مستهزؤن وبما هم فيه مستحترد[3].﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى

---

[1]) سورة المائدة : ٥٤ .

[2]) سورة الحج : ٨ .

[3]) على ما يبدو أن : (مستحترد) وقعت اشتباهاً وخطأً والصحيح كما في كتاب : (سفينة النجاة) للفيض الكاشاني بدل : (مستحرد) جاء : (مستهترون) .سفينة النجاة،ص٢٤٤.

حِينٍ﴾[1]. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (ما كل ذي قلب بلبيب ، ولا كل ذي سمع بسميع ، ولا كل ذي ناظر ببصير : فيا عجبا من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبي ، ولا يقتدون بعمل وصي ، ولا يؤمنون بغيب ، ولا يعفون عن عيب ، يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات ، المعروف فيهم ما عرفوا ، والمنكر عندهم ما أنكروا ، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم ، كأن كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات)[2].

وقال عليه السلام في حديث آخر : (أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه؟! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟! أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه ؟! والله سبحانه يقول : ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[3] فيه تبيان كل شيء)[4].

وما ذلك كله إلا لرفضهم التمسك بحبل الثقلين وتركهم وصية سيد الثقلين ، ترى أحدهم مولعا بالنظر إلى كتب الفلاسفة ليس طول عمره هم سواه ولا يكون في غيره هواه من قبل أن يحكم علما شرعيا أصليا أو فرعيا ، بل وربما لم

---

[1]) سورة المؤمنون : ٥٣ .

[2]) نهج البلاغة ،ج١،ص١٤٤.خطبة:(٨٨).

[3]) سورة الأنعام : ٣٨ .

[4]) نهج البلاغة،ج١،ص٥٥.خطبة:(١٨).

يسمع قط مما جاء به نبيه ﷺ في ذويه سوى ما سمعه في صغره من أمه وأبيه ، لم يتعلم من الشريعة أدبا ولا سنة ولم يتقلد من صاحبها في علمه منة[1].

ليت الفيض الكاشاني[2] رحمه الله تنبه لزلل الفلسفة من بداية الطريق كما تنبه لها إبراهيم ابن صهره ملا صدرا حيث كان ماقتا للفلسفة والتصوف بخلاف سيرة أبيه حتى وصفه صاحب (الحدائق الناظرة) والميرزا عبد الله الأفندي (ت:١١٣٠هـ) صاحب (رياض العلماء) رحمهما الله : بالحي المُخرج من الميت حيث قالا في ترجمة إبراهيم بن ملا صدرا : الميرزا إبراهيم بن المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي كان فاضلا عالما متكلما فقيها جليلا نبيلا متدينا جامعا لأكثر العلوم ماهرا في أكثر الفنون سيما في العقليات والرياضيات، وهو في الحقيقة مصداق قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[3] قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسلكه وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة[4].

وهذا النعت يُعدُ من أقذع ما قيل في تقريع ملا صدرا ولذا يقول السيد الأمين رحمه الله في أعيان الشيعة متحدثا عن ملا صدرا : من أمض التشنيعات عليه في نظري

---

[1]) انظر رسالة (الإنصاف) المطبوعة مع مجموعة رسائل للشيخ الفيض الكاشاني.

[2]) ملا صدرا لقب زوج بنته بالفيض ، ولقب زوج بنته الأخرى بالفياض وهو عبد الرزاق اللاهيجي.انظر روضات الجنات،ج٤،ص١٩٧.ألقاب تتوافق مع نظرية الفيض الصوفية.

[3]) سورة الأنعام : ٩٥ .

[4]) كشكول البحراني،ج١،ص٢٣٣.رياض العلماء،ج١،ص٥٨.

أن يقال : في صدد الثناء على ولده ميرزا إبراهيم : (وهو في الحقيقة مصداق يخرج الحي من الميت) وعلل ذلك بأنه : كان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة بينما أن الوالد هذا لا يرى في غير الحكمة والعرفان حياة للنفس الإنسانية[1].

والسيد علي البروجردي (ت:١٣١٣هـ) ﵀ له قدح في ملا صدرا مشابها لهذا الوصف حيث قال عند ترجمته : محمد بن إبراهيم صدر الدين المعروف بـ (ملا صدرا) كان حكيما فلسفيا صوفيا بحتا ، توفى بالبصرة وهو متوجه إلى الحج في سنة خمسين بعد الألف ، وله كتب منها الأسفار الأربعة والعرشية وغيرهما ، وابنه أماته وأحيى مذهب الحق[2].

٢ ـ الميرزا مهدي الأصفهاني :

يقول الشيخ علي النمازي ﵀ في (مستدرك سفينة البحار) : المهدي الأصفهاني أعلى الله مقامه الشريف هو العالم العامل الكامل بالعلوم الإلهية ، والمؤيد بالتأييدات الصمدانية ، الورع التقي النقي المهذب بالأخلاق الكريمة ، والمتصف بالصفات الجليلة مولانا وأستاذنا الآقا ميرزا مهدي الأصفهاني الخراساني المسكن والمدفن في دار الضيافة الرضوية على ساكنها آلاف الثناء والتحية ، جمع الله تعالى بيننا وبينه في جوار أوليائه محمد وآله الطيبين

---

[1]) أعيان الشيعة،ج٩،ص٣٢٦.

[2]) طرائف المقال،ج١،ص٨٠.

الطاهرين صلوات الله عليهم . ولد ﷺ في سنة : (١٣٠٣) في أصفهان وتلمذ عند أبيه حجة الإسلام الحاج شيخ إسماعيل وعند علماء أصفهان من الفقهاء الكرام حتى بلغ مرتبة كاملة جليلة في الفقه والأصول ، فخرج منه عازما إلى التشرف بجوار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف . فلما تشرف حضر درس الفقيه العلامة السيد محمد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى والعلامة الآخوند ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية في الأصول ثم حضر محضر العلامة المحقق الشيخ محمد حسين النائيني . قال مولانا الأستاذ : أفاض لي العلامة النائيني مهمات الفقه والأصول واستفدت منه مدة منفردا وأول من لحق بنا العلامة السيد جمال الكلبايكاني ثم بعد مدة لحق بنا واحد بعد واحد حتى صرنا سبعة أفراد من الأوتاد . وتم لنا دورة الفقه والأصول في سبع نفرات وكنا في محضره الشريف إلى أربع عشرة سنة .

وحين بلغ إلى خمس وثلاثين سنة سنه الشريف نال أعلى مراتب الاجتهاد وأجازه العلامة النائيني وغيره أحسن الإجازات ومما عبر به في إجازته المفصلة التي كتبها النائيني بخطه الشريف في شوال(١٣٣٨) هجري المزينة بخطوط جمع من الأعاظم المراجع الكرام وتكون عندي قال : (العالم العامل والتقي الفاضل العلم العلام والمهذب الهمام ذو القريحة القويمة والسليقة المستقيمة والنظر الصائب والفكر الثاقب عماد العلماء والصفوة الفقهاء الورع التقي والعدل الزكي جناب الآقا ميرزا مهدي الأصفهاني أدام الله تعالى تأييده وبلغه

الأماني ـ إلى أن قال : ـ وحصل له قوة الاستنباط وبلغ رتبة الاجتهاد وجاز له العمل بما يستنبطه من الأحكام) ـ الخ .

وكان مشتغلا بتعلم الفلسفة المتعارفة وبلغ أعلى مراتبها قال : لم يطمئن قلبي بنيل الحقائق ، ولم تسكن نفسي بدرك الدقائق ، فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان فذهبت إلى أستاذ العرفاء والسالكين السيد أحمد المعروف بالكربلائي في كربلاء وتلمذت عنده حتى نلت معرفة النفس وأعطاني ورقة أمضاها . وذكر اسمي مع جماعة بأنهم وصلوا إلى معرفة النفس وتخليتها من البدن ، ومع ذلك لم تسكن نفسي إذ رأيت هذه الحقائق والدقائق التي سموها بذلك لا توافق ظواهر الكتاب وبيان العترة ولابد من التأويل والتوجيه.ووجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فطويت عنهما كشحا وتوجهت وتوسلت مجدا مكدا إلى مسجد السهلة في غير أوانه باكيا متضرعا متخشعا إلى صاحب العصر والزمان عليه السلام فبان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي : طلب المعارف من غيرنا أو طلب الهداية من غيرنا (الشك مني) مساوق لإنكارنا ، وعلى ظهرها مكتوب : أقامني الله وأنا الحجة ابن الحسن .

قال : فتبرأت من الفلسفة والعرفان وألقيت ما كتبت منهما في الشط ووجهت وجهي بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيت الرسالة الذين جعلهم الله خزانا لعلمه

وتراجمة لوحيه ورغب وأكد الرسول ﷺ بالتمسك بهما وضمن الهداية للمتمسك بهما فاخترت الفحص عن أخبار أئمة الهدى والبحث عن آثار سادات الورى فأعطيت النظر فيها حقه وأوفيت التدبر فيها حظه ، فلعمري وجدتها سفينة نجاة مشحونة بذخائر السعادات وألفيتها فلكا مزينا بالنيرات المنجية من ظلمات الجهالات ، ورأيت سبلها لائحة وطرقها واضحة وأعلام الهداية والفلاح على مسالكها مرفوعة ، ووصلت في سلوك شوارعها إلى رياض نضرة وحدائق خضرة مزينة بأزهار كل علم وثمار كل حكمة إلهية الموحاة إلى النواميس الإلهية فلم أعثر على حكمة إلا وفيها صفوها ولم أظفر بحقيقة إلا وفيها أصلها والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[1].

وتوجد هنا نقطتان :

النقطة الأولى : إن السيد أحمد الكربلائي من الشخصيات البارزة في سلك العرفاء وكان أحد الذين يتردد عليهم في هذا المجال السيد علي القاضي . ولم يكن الميرزا مهدي الأصفهاني هو الوحيد الذي ترك السيد أحمد الكربلائي وإنما السيد علي القاضي أيضا كانت له رسائل يُعرب فيها عن بعض مريديه الذين هجروه كما جاء في طيات الكتب التي تطرقت لسيرته . وهذا شيء متوقع جدا لأن العرفاء إن قالوا لنا طريقة تخالف الكتاب والعترة لم يُتبعوا ويؤخذ منهم ، وإن قالوا لا يوجد عندنا شيء مغاير لهما ؛ فلا موجب لتكلف

[1]) مستدرك سفينة البحار،ج١٠،ص٥١٧ ـ٥٢٠.

طريق التتلمذ عندهم حيث آلاف الآيات والروايات التي تضمنت بيان الجانب المعرفي والتزلف لله عز وجل ، كما أن الالتزام بالواجبات وترك المحرمات والمداومة على المستحبات المؤكدة مثل صلاة الليل كفيلة بأن تجعل الإنسان منشرح الصدر نحو الدين ، مقبلا على الله عز وجل،آخذ نحو عوالم الملكوت.

النقطة الأخرى : (طلب المعارف من غيرنا أو طلب الهداية من غيرنا مساوق لإنكارنا) وردت في مضمونه جملة من الأخبار من ضمنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : (كذب من زعم أنه يعرفنا وهو متمسك بعروة غيرنا)[1].

وعنه عليه السلام : (واللَّه ما جعل اللَّه لأحد خيرة في إتباع غيرنا وأن من وافقنا خالف عدونا ومن وافق عدونا في قول أو عمل فليس منا ولا نحن منهم)[2].

وروى الحر العاملي عن كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق قائلا : في كتاب (صفات الشيعة) عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد،عن الحسين بن خالد ، عن الرضا عليه السلام قال : (شيعتنا المسلمون لأمرنا ، الآخذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا ، فمن لم يكن كذلك فليس منا)[3].

---

[1]) معاني الأخبار،ص٤٩٣.

[2]) الفوائد الطوسية، الحر العاملي، ص٢٥٠.ورواه أيضا في وسائل الشيعة،ج٢٧،ص١١٩

[3]) وسائل الشيعة،ج١٨،ص٨٣.

وقد يُعترض إذا كان في القرآن الكريم والحديث الشريف الغنى والكفاية فلِمَ أمرتنا الآيات والروايات بالرجوع للعلماء كما أمرنا العقل برجوع الجاهل للعالم.

والجواب : أن الرجوع للعلماء لم يكن بالمعنى المعروف عند أصحاب العرفان وعلاقة المريد بشيخه التي هل بالأصل من مناشئ التصوف ، ومن الأمور التي أكد عليها الصوفية في كتبهم وقد ذكرت كلماتهم في كتاب (التصوف والعرفان)

٣ - السيد أبو القاسم الإشكوري :

يقول العلامة النوري صاحب (مستدرك الوسائل) متحدثا عن السيد أبي القاسم الإشكوري (ت:١٣٢٥هـ) : حدثني سلمه اللّه تعالى قال : كنت في عنفوان الشباب في بلدة قزوين منذ أربع سنين مشغولا بتحصيل الكلام وحكمة اليونانيين مجتنبا عن كتب الفقهاء والأصوليين إلى أن ساعدني التوفيق إلى زيارة سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فحضرت مجالس بحث الفقهاء والأصوليين وكنت أرى مطالبهم أوهن من بيت العنكبوت ، فعزمت العود ثانيا على قراءة الحكمة فقرأت أياما إلهيات الأسفار للمولى صدرا عند بعض المتألهين ثم ترددت في أمري ، فتفألت بالقرآن المبين فكان أول ما رأيت منه قوله تعالى : ﴿قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[1] فوهن

[1]) سورة الأحزاب : ٦٧ .

عزمي أياما من قراءتها ، ثم أردت العود ثالثا ، فرأيت في عالم الطيف أن القيامة قد قامت ورأيت لمة من الناس حيارى وأخرى معذبين بأنواع العذاب وتبين أنه لا بأس عليّ وعلى صاحب كان معي فقلت لصاحبي أريد أن أنظر إلى الجحيم وعذابها الأليم ، قال : إني أخاف منها ولا أصاحبك ، فبادرت إليها وسرت في الحشر حتى رأيت الجحيم كبئر عميق في أطرافها الأربعة أربعة من الملائكة على عواتقهم أعمدة تشتعل منها النار ، فدنوت إلى واحد منهم ، فصاح علي وقال تنح عن النار ، فليست هي مقامك فاقشعر جلدي وقلت : أريد أن آخذ منها جذوة لرفع حاجة . قال : لا تقدر على استخراجها منها ، وإنما كان غرضي النظر إليها والاطلاع على من كان فيها فسعى معي في حاجتي ، فما قدرنا على إنجاحها ثم صاح عليّ ثانيا ؛ فرجعت قهقري لهيبته إلى مسافة ، ثم استدبرته مقدارا آخر ثم استقبلتهم لأنظر ما يصنعون ؟ فرأيتهم أخرجوا من جهنم رجلا أسودا طويلا مشوه الخلقة يخرج من منافذ أعضائه شعلات من نار ؛ ثم أسندوه إلى حائط وضربوا على رأسه وصدره ويديه وسائر أعضائه مسامير من حديدة محماة ، ثم شقوا صدره وأدخلوا إحدى يديه فيه وأخرجوها من ظهره وناولوه من ظهره كتابا فقالوا له : اقرأ فقال لهم: كيف أقرأ والكتاب على ظهري ؟! فوجأ عنقه واحد وقلبه إلى ظهره ، فشرع في قراءة الكتاب ، فدنوت منه ، فسمعت منه حكاية الوجود والمهية ، ثم ضربوا على رأسه أعمدة من نار وأسقطوه فيها ، فقلت لهم : من كان هذا الرجل الخبيث ؟ قالوا : هو بهمنيار[1] ، فانتقلت إلى المراد وهجرت مموهات أهل

[1]) بهمنيار كان تلميذا عند ابن سينا .

الفساد وشرعت في تحصيل زاد المعاد ومعرفة كلام شفعاء يوم التناد أعاذنا اللّه تعالى من الجحد والعناد[1].

على ما يبدو أن التفاؤل والرؤيا لم يكونا سببا مستقلا في الترك وإنما لما سبقهما من مقدمات وقناعات.وعلى كل هو من الذين تركوا الفلسفة في نهاية المطاف وهو المطلوب.

ولا يفوتني هنا أن أذكر الرؤيا التي نقلها الشيخ البهائي في كشكوله عن ابن سينا حيث يقول : قال الشيخ العارف مجد الدين البغدادي : رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت له : ما تقول في حق ابن سينا ؟ فقال ﷺ : هو رجل أراد أن يصل إلى اللّه تعالى بلا وساطتي ، فحجبته بيدي هكذا فسقط في النار[2].

٤ ـ ثقة فاضل :

روى العلامة النوري ﷺ عن ثقة فاضل قال : صرفت شطرا من عمري في تحصيل الفلسفة وكان طبعي متنفرا عن علم الحديث جدا وكنت أطالع ليلة فعثرت على مسألة من الفلسفة فأجلت فكري فيها فلم أجد إليها سبيلا ، إلى أن ضاق صدري فنظرت إلى الأرض فرأيت ورقة من علم الشرائع ، فقلت :

---

[1]) دار السلام،ج٢،ص١٨٨.

[2]) كشكول البهائي،ج١،ص٩١ . ونقلها عنه فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين،ج٦،ص٢٩٦ . والمحقق الخوانساري في روضات الجنات،ج٣،ص١٨١ . والعلامة النوري في دار السلام،ج٢،ص٥٧.

سبحان اللّه هذا سبب عدم إدراكي المسألة فأخذت سكينا فمحوته فرأيت تلك الليلة في المنام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أعرض وجهه المبارك عني فسألته عن شيء فقال ما معناه : إني لا أتقبل شيئا ممن يعرض عن الشرائع ؛ فانتبهت فزعا تائبا ولم يكن شيء أحب إلي من علم الحديث وأعرضت عن الفلسفة[1].

إن ذلك الفاضل بعد ما قضى شطرا من عمره في تحصيل الفلسفة أعرض عنها في نهاية المطاف وكان في عداد الذين تركوها . ولو أنه رأى ثمارها وفوائدها ما تركها وعلى ما يبدو أن الرؤيا كانت محفزا له بالإعراض عنها.

٥ ـ الشيخ محمد تقي الشريعتمداري :

يقول الشيخ رحمه الله معربا عن أسفه وندمه ومنتقدا لمسلك أساتذته في الفلسفة والتصوف[2] ذاكرا بعض المطالب الباطلة التي تبنوها إلى ما غير ذلك من المؤاخذات والنصائح التي يبديها كشيخ كبير خبر الطريق وأشفق على سالكيه من بعده :

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أفضل رسله وأشرف أنبيائه الذي بعثه رحمة للعالمين وأرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه

---

[1]) دار السلام،ج٢،ص٩٦.

[2]) وقد ذيل تقريره لشرح المنظومة بحاشية نقديه على تحكيم أستاذه الشيخ مرتضى مطهري لمباني الفلاسفة إذ يقول : فأعدت النظر في المعارف وأدلتها وعرفت مواضع الخلل في كلمات أهل الفلسفة وقد ألهمت بفضل الله دقائق في رد أصولهم فأثبتها ذيل ما قرره الأستاذ في تحكيم مبانيهم.تقريرات شرح المنظومة،ص١٤.

وسراجا منيرا وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الهداة المهديين سيما خاتمهم وقائمهم الإمام المنتظر والوصي الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

أما بعد ، فقد كنت في عنفوان شبابي ساعيا في طلب المعارف مجدا في تحصيلها عن الأدلة الشافية والبراهين الكافية وقد كان اشتهر علماء الفلسفة بالعقل والتحقيق والاستدلال والتدقيق ولم يوجد في علماء الدين من يدرس أصول الدين ومعارفها بالآيات والروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام والتدبر فيها والاستنباط عنها فكان قد خلا الجو لأهل الفلسفة ولم يكن بد لمن يطلب البرهان إلا أن يعكف على أبوابهم و يشرب من مشاربهم.

فحضرت درس جماعة من أساتذة ذلك الفن مثل الأستاذ البارع الحاج ميرزا أبو الحسن الشعراني وآية الله السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني والمتوغل في العرفان الحاج ميرزا مهدي الآشتياني .

والذي كان أكثر استفاداتي منه هو الأستاذ الشهيد والفيلسوف المفكر الشيخ مرتضى المطهري تغمده الله بعفوه ومغفرته فكان يدرّس في المدرسة العلمية مدرسة المروى شرح المنظومة للسبزواري .

فحضرت درسه واستعذبت بيانه و تقريره فكتبت ما ألقاه و قيّدت بالكتابة ما اصطفاه ثم عرضت عليه ما جمعته فاستصوبه وارتضاه وأطرى عليّ.

ثم إني تنبهت بلطف الله وهدايته أن كثيرا من مطالبهم لا يلائم ظواهر الآيات والروايات القطعية فيلتجئون إلى تأويلها وتطبيقها على ما اعتقدوه فشككت في

صحة قواعدهم وأصولهم سيما مع تذكر أن شرعنا مستقل بإقامة الأدلة والبيان ويتطلب التعقل والتفكر والإتيان بالبرهان فيذم أقواما اتبعوا آبائهم واقتدوا بهم من غير هدى ولا علم فقال تعالى : ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾[1]. وقال عزّ من قائل : ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا﴾[2]. وقال عزّ شأنه:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذينَ لا يَعْقِلُون﴾[3].

ويمدح الذين يتفكرون في آيات الله ويتدبرون فيها، فعلمت أن من المحال أن لا ينصب مثل هذا الدين دليلا على مقاصده ولا يقيم برهانا على مطالبه أو يكون دليلٌ أسدّ من دلائله وبرهان أتقن من براهينه أهمله الكتاب ومعلّموه واستنبطه غيرهم . فأعدت النظر في المعارف وأدلتها وعرفت مواضع الخلل في كلمات أهل الفلسفة وقد ألهمت بفضل الله دقائق في رد أصولهم فأثبتها ذيل ما قرره الأستاذ في تحكيم مبانيهم.

ثم إني أتعجب كثيرا من جماعة من العلماء الأتقياء مالوا إلى بعض مطالبهم وإن صرحوا ببطلان بعضها الآخر. فزعموا صحة القول بالوحدة المشكّكة للوجود وإن أبطلوا القول بالوحدة المحضة وقد انجذبوا إلى القول بالوحدة انجذابا شديدا حتى أغمضوا عن زلات مبدعه وقالوا أنه لا يجازف في القول مع تفوهه بخلاف صريح القرآن الكريم كثيرا . مثل قوله[4] بأن عبادة العجل

---

[1]) سورة البقرة : ١١١ .

[2]) سورة الأنعام : ١٤٨ .

[3]) سورة الأنفال : ٢٢ .

[4]) يقصد ابن عربي

من بني إسرائيل كان حقا وإن عتاب موسى لهارون كان لعدم إدراكه حقّيتها ومثل قوله بأن فرعون آمن إيمانا حقيقيا إلى غير ذلك مما هو مناقض للقرآن قطعا[1].

---

[1]) يقول ابن عربي (فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء) . فصوص الحكم/فص حكمة إمامية في كلمة هارونية .

نقل ملا صدرا كلام ابن عربي في إيمان فرعون تحت عنوان:(إيمان فرعون مقبول أم لا) يقول فيه أن فرعون مقبول الإيمان وغرقه وموته شهادة خالصة لربه ولا يوجد دليل أن فرعون يدخل النار .

وعلق ملا صدرا على كلامه قائلا : ويفوح من هذا الكلام رائحة الصدق وقد صدر من مشكوة التحقيق وموضع القرب والولاية.تفسير ملا صدرا،ج٣،ص٣٦٤.

ويقصد من مشكوة التحقيق وموضع القرب والولاية هو ابن عربي!!

هذا بالنسبة إلى إيمان فرعون وما يترتب عليه في نظر ابن عربي وملا صدرا ، أما إذا أردنا معرفة حقيقة الأمر عند أهل البيت عليهم السلام فسنجد الأمر مختلفا تماما إذ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: شر الأولين والآخرين اثنا عشر ، ستة من الأولين وستة من الآخرين . ثم سمى الستة من الأولين ابن آدم الذي قتل أخاه ، وفرعون وهامان وقارون والسامري والدجال اسمه في الأولين ويخرج في الآخرين ، وأما الستة من الآخرين فالعجل وهو نعثل، وفرعون وهو معاوية، وهامان هذه الأمة وهو زياد ، وقارونها وهو سعيد،والسامري وهو أبو موسى عبد الله بن قيس لأنه قال كما قال سامري قوم موسى:لا مساس أي لا قتال. الخصال،ص٤٥٩.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : إن في التابوت الأسفل ستة من الأولين وستة من الآخرين ، فأما الستة من الأولين فابن آدم قاتل أخيه وفرعون الفراعنة والسامري والدجال كتابه في الأولين ويخرج في الآخرين ، وهامان وقارون ، والستة من الآخرين فنعثل ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، ونسي المحدث اثنين.الخصال،ص٤٨٥

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : (للنار سبعة أبواب : باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون).الخصال،ص٣٦٢.
وعنه عليه السلام : (من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار).أصول الكافي،ج٢،ص٣٦٨.

وروي عن إبراهيم بن محمد الهمداني قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام : لأي علة أغرق الله عز وجل فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده ؟ قال عليه السلام : لأنه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف قال الله عز وجل : **﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾** **﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾** وقال عز وجل : **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾** وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال:**﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** فقيل له : **﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾** **﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾** وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد ولبسه على بدنه فلما أغرق ألقاه الله على نجوة من الأرض ببدنه لتكون لمن بعده علامة فيرونه مع تثقله بالحديد مرتفع من الأرض وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع وكان ذلك آية وعلامة ولعلة أخرى أغرق الله عز وجل فرعون وهي أنه : استغاث بموسى لما أدركه الغرق ولم يستغث بالله فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى لم تغث فرعون لأنك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته. عيون الأخبار،ج١،ص٨٤.

وعن محمد بن أبي عمير قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام :**﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾** فقال عليه السلام : أما قوله : **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾** إلى أن قال : وقد علم الله أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية البأس ألا تسمع الله يقول : **﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ**

وظني أن السر في هذا الانجذاب الشديد والتسرع إلى قبول هذا القول هو أنه يبيّن إحاطة الله تعالى بكل شيء ويعطي تصورا واضحا من كونه عز اسمه مع كل شيء وفي كل مكان وأنه هو المؤثر في الأمور حتى قيل لا مؤثر في الوجود إلا الله فبمثل هذه الكلمات تميل القلوب إلى ذكر الله عزّ وجل وإعظامه.

ويزعم صاحب هذا القول أنه قد نال من معرفة الله ما لم ينله غيره ويسمي سائر العلماء قشريين قد حرموا عن إدراك رقائق المعارف ودقائق اللطائف.

فلننبهك على أمور :

الأول : أن إحاطة الله تعالى بكل شيء وقيوميته المطلقة وأنه لا يجري في ملكه إلا ما أذن وأن لا حول ولا قوة إلا به وأمثال هذه المطالب مما لا ريب فيه وقد تعلمنا هذه الحقائق من القرآن الكريم وروايات الأئمة الطاهرين صلوات الله

الْمُسْلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله إيمانه وقال :**﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**.علل الشرائع،ص٣٤.

إن ملا صدرا لم يكتفِ بالتوفيق بين كلام ابن عربي والنصوص الدينية ، وإنما تجاوز إلى أبعد من ذلك وأخذ يقدم كلامه على النصوص مع شدة وضوحها والمتبادر الصريح منها ، بل ينظر إلى كلامه وكأنه من النصوص الدينية التي لا يمكن ردها . ينقل السيد الأمين ﷺ عند ترجمة ملا صدرا قول الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ في ملا صدرا قائلا : (يكثر من النقل عن محيي الدين بن عربي المتوفى : (٦٣٨هـ) في جميع كتبه ولا يذكره إلا بالتقديس والتعظيم كالتعبير عنه بالحكيم العارف والشيخ الجليل المحقق ونحو ذلك بل في بعض المواضع ما يشعر بأن قوله عنده من النصوص الدينية التي يجب التصديق بها ولا يحتمل فيها الخطأ). أعيان الشيعة،ج٩،ص٣٢٨.

يا شيخنا المظفر هذا الملا لم يكتف بعدِ كلام ابن عربي من النصوص الدينية بل قدم كلامه على النصوص متقربا لمنهجه القويم ووجه الكريم !

عليهم أجمعين لكنّا لا نعرف كيفية هذه الإحاطة و القيومية ولا نقول أنها بالسريان أو الاتحاد والعينية فلا نقول (أنه خلق الأشياء وهو عينها) ولا نعدو العبارات التي صدرت عن الأئمة الهداة الدعاة والقادة الهداة والسادة الولاة... وبقية الله وخيرته وحزبه وعيبة علمه وحجته وصراطه ونوره وبرهانه.وكيف نعدو تعاليمهم وقد جعلهم الله حججا على عباده وحفظة لسره وخزنة لعلمه ومستودعا لحكمته وتراجمة لوحيه وأركانا لتوحيده . فنحن نسلم لهم حيث قالوا : لا تتكلموا في ذات الله[1] وإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا.

---

[1]) إن من أوضح الضروريات الاعتقادية هو النهي عن التفكر في ذات الله عز وجل وأحاديث كثيرة نصت على ذلك وحذرت منه،وبينت أنه لا يزيد المتفكر إلا حيرة وبعدا.ولا يوجد أحد من العلماء خالف في ذلك سوى فئة من الفلاسفة،وهذا من الموارد الذي قدموا فيه الفلسفة على الدين والحديث وحتى العقل.ومن ضمن تلك الأحاديث التي تنهى عن التفكر في ذات الله تعالى ما روي عن المؤمنين عليه السلام : (من تفكر في ذات اللّه تزندق).غرر الحكم،ج١،ص٨٨

وعن الإمام الباقر عليه السلام : (تكلموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيرا).أصول الكافي،ج١،ص٩٢

وعنه عليه السلام : (إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه).أصول الكافي،ج١،ص٩٣

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (من نظر في الله كيف هو هلك).أصول الكافي،ج١،ص٩٣

وعنه عليه السلام :(عجز الواصفون عن كنه صفته).أصول الكافي،ج٢،ص١٣٧

وعنه عليه السلام : (يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض ، إن كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول)أصول الكافي،ج١،ص٩٣

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : (أن الله أعلا وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به نفسه ، وكفوا عما سوى ذلك).أصول الكافي،ج١،ص١٠٢

وإذا ما رأيت خبرا يُتصور منه التفكر في ذات الله مثل الخبر الذي روي عن الإمام الصادق عليه السلام:(أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته).أصول الكافي،ج١،ص٥٥.

فليس المراد منه هو التفكر في ذات الله وإنما في قدرته وحتى شراح الحديث بينوا ذلك مثل العلامة المجلسي في مرآة العقول : (الإدمان الإدامة وقوله عليه السلام : وفي قدرته ، كأنه عطف تفسير لقوله : في الله ، فإن التفكر في ذات الله وكنه صفاته ممنوع كما مر في الأخبار في كتاب التوحيد ، لأنه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل ، فالمراد بالتفكر في الله النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه).مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول،ج٧،ص٣٤٥.

ويقول الفيض الكاشاني مع ما لديه من ميل للفلسفة : (ليس المراد بالتفكر في اللّه التفكر في ذاته سبحانه فإنه ممنوع منه لأنه يورث الحيرة والدّهش واضطراب العقل ، بل المراد منه النظر إلى أفعاله وعجايب صنعه وبدايع أمره في خلقه فإنها تدلّ على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه).الحقائق في محاسن الأخلاق،ص٣٠٨

فهذا الخبر يحمل على غيره من الأخبار ويفهم معناه من خلالها من باب حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد،ومن ثم تفسير العام من خلال الخاص والمطلق من خلال المقيد؛فيقال المراد بهذا الخبر هو التفكر بأسماء الله وعظيم صنعه.

فكيف نجترأ أن نقول : (بسيط الحقيقة كل الأشياء) . وبالجملة معرفتنا بالله تعالى معرفة إجمالية . نعلم إحاطته تعالى بكل شيء ومعيته مع كل شيء

ومن هذا وغيره يُعرف أن الخبر المروي عن الإمام الصادق : (أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته).أصول الكافي،ج٢،ص٥٥.المراد به هو التفكر في قدرته وعظيم صنعه.

وقد اضطر بعض الفلاسفة للقول في التفكر بذات الله عز وجل لأن العقل ـ كما يدعون ـ والكشف معيارا لهم في المعرفة ، وعند نفي القول به (التفكر في ذات الله) يلزمهم نفي الكثير من المطالب والبحوث الفلسفية المرتكزة على القول به مثل بسيط الحقيقة،العقول العشرة والسنخية بين الخالق والصادر الأول ، وعلم الله حضوري أم حصولي،ماهيته أنيته ـ ذكره السيد الطباطبائي في الفصل الثالث من المرحلة الرابعة من نهاية الحكمة ـ،الله صرف الوجود.ونحو ذلك

وملخص ما تقدم أن التفكر في قدرة الله عز وجل وعجيب صنعه مما لا إشكال فيه وهو محبذ شرعا وعقلا لكافة البشر.

وأما التفكر في ذات الله عز وجل فهو مذموم شرعا وعقلا ـ لأنه غير ممكن ولا يزيد صاحبه إلا حيرة وتيها ـ لكافة البشر ، ولكن بعض الفلاسفة قيدوه بمن لا طاقة له على ذلك وهو خلاف الشرع والعقل.

وممن قيده وقال بإمكان التفكر بذات الله لصنف خاص هو السيد الطباطبائي قائلا : (وفي النهي عن التفكر في الله سبحانه روايات كثيرة أخر مودعة في جوامع الفريقين ، والنهي إرشادي متعلق بمن لا يحسن الورود في المسائل العقلية العميقة فيكون خوضه فيها تعرضا للهلاك الدائم).تفسير الميزان،ج١٩،ص٥٣.

ولكن لا نعلم كيفية ذلك ، كما نعلم أن الجبر باطل والتفويض باطل، ولا نتكلف تعيين المنزلة بين المنزلتين ولكن نؤمن بها إجمالا.

الثاني : أن ما زعموه من وحدة حقيقة الوجود سنخا واختلافها بالمراتب والدرجات تصريح بمسانخة الخالق والمخلوق[1] في أصل الحقيقة كما أن النور القوي مسانخ للنور الضعيف والافتراق بالدرجة.

و قد قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] وقد نسج أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على منوال هذه الآية الشريفة في خطبه كلمات تؤكد هذا المعنى تأكيدا بليغا مثل قوله عليه السلام في نهج البلاغة في الخطبة الأولى : (الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن) . و (كائن لاعن حدث موجد لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة).

و قال عليه السلام في الخطبة ٤٩ : (الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من أثبته يبصره . سبق في العلو فلا شيء أعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه ... فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود. تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا)

---

[1]) تم التطرق للسنخية ولزوم التشبيه بين الخالق والمخلوق تحت عنوان : (المنطق الأرسطي ردة فعل انقضى زمانها) .

[2]) سورة الشورى : ١١ .

وقال عليه السلام في خطبة الأشباح ٩٠ : (فانظر أيها السائل ما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضيء بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإن ذلك منتهى حق الله عليك . واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين).

إلى آخر ما أفاد صلوات الله عليه فيما هو صريح مطلبنا و تدبر فيها ثم تدبر.

و قال صلوات الله عليه في خطبة منقولة عن الاحتجاج : دليله آياته ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه . وحكم بالتمييز بينونة صفة لا بينونة عزله . إنه رب خالق غير مخلوق. ما تصوّر فهو بخلافه... ليس بإلهٍ من عرف بنفسه . هو الدال بالدليل عليه والمؤدّى بالمعرفة إليه).

قال المجلسي رحمه الله في شرح قوله عليه السلام : (بينونة صفة...) : أي تميزه عن الخلق بمباينته لهم في الصفات لا باعتزاله عنهم في المكان.

الثالث : لا يوجد في شيء من الآيات والروايات تعبير الوحدة والعينيّة بين الله تعالى وخلقه بل كل ما يفيد معنى الإحاطة والمعيّة يتحفظ على المغايرة كقوله تعالى : ﴿**وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطا**﴾[1]. و قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ بِما يَعْمَلُونَ**

[1]) سورة النساء : ١٢٦ .

مُحيط﴾[1]. و قوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيط﴾[2] إلى غير ذلك من أمثاله. فأثبت الأشياء والأعمال وأثبت الإحاطة بها فأين الوحدة والعينية؟
وقوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾[3]. و قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[4].و قوله تعالى : ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا﴾[5].فلم يبطل المغايرة والاثنينية.

وأما ما اشتهر من أنه (لا مؤثر في الوجود إلا الله) فهو كلام لم يرد به كتاب ولا نص ديني . وعمومه يقتضي نفي الأفعال الاختيارية للعباد . والصحيح ما ورد في نصوص الشرع من نحو قوله : (لا حول ولا قوة إلا بالله) وقولنا (بحول الله وقوته أقوم وأقعد) فأثبت الفعل والترك للعباد بحول الله وقوته ولم يسند الفعل إلى الله.

ثم إني في ختام هذه المقدمة لأرجو أن الله تبارك تعالى قد عامل الأستاذ المطهري في الآخرة بلطفه وتغمده برحمته فقد كان طيلة عمره حريصا على دحض الكفر وإعلاء كلمة الإسلام ومناقشة الملحدين ومناقضة الفلاسفة الماديين ساعيا في إبطال كلماتهم ورد شبههم قد أفنى عمره في ذلك. وقد لاح

---

[1]) سورة آل عمران : ١٢٠ .
[2]) سورة فصلت : ٥٤ .
[3]) سورة فصلت : ٥٣ .
[4]) سورة الحديد : ٤ .
[5]) سورة المجادلة : ٧ .

لي أمارات الانقلاب الروحي منه في أواخر عمره الشريف ، فقد ظهر منه الانقطاع الشديد إلى أبواب أئمة الهدى عليهم السلام فقد كان يكرر السفر إلى مشهد الرضا عليه السلام للزيارة و يكرر الاختلاف إلى مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام للبكاء عليه صلوات الله وسلامه عليه لقد بكى هو في بعض خطاباته أشد البكاء. والحاصل أن الله سبحانه قد ختم له بالسعادة والشهادة إنه ولي حميد . اللهم اختم لنا بالخير والسعادة ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبدا وتوفنا مسلمين بحق محمد واله الطيبين الطاهرين[1].

٦ ـ السيد محمد باقر الصدر :

إن السيد محمد باقر الصدر رحمه الله لا يُعد من أصحاب التوجه الفلسفي ، ومن التوهم عده من ضمن هذا الاتجاه إذ لا هو لديه شرح أو تعليق على أحد الكتب الفلسفية ، ولا هو من المدرسين لأحد الكتب فيها . وعلى ما يبدو أن منشأ التوهم حصل بسبب بعض كتبه لا سيما (فلسفتنا) مع أن الكتاب يتحدث عن نظرية المعرفة وهو عبارة عن أمور عقلية ووجدانية كما وصف الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله كتاب (أصول الفلسفة) للسيد الطباطبائي رحمه الله . وقد تطرقت لنظرية المعرفة وصلتها بالكتابين المذكورين تحت عنوان : (الفلسفة ونظرية المعرفة).

---

[1]) تقريرات شرح المنظومة،ص١٣-١٧.

ومضافا لانعدام أثره في الفلسفة شرحا وتدريسا توجد له ثلاثة مواقف مناهضة للفلسفة بحسب ما عثرت عليه :

الموقف الأول : نقل السيد علي أكبر الحائري ـ وهو أحد طلبته ـ أن السيد الصدر تبنى بعض آراء ملا صدرا إلا أنه عدل بعد ذلك وقال أني سوف أجيب على نظريات ملا صدرا . ولكن لم يمهله حزب البعث لمواصلة ذلك[1].

الموقف الثاني :

يقول الشيخ علي الكوراني : قلت يوما لأستاذنا السيد الصدر ﵀ : اشتغلت بالفلسفة كثيرا وألفت كتاب فلسفتنا ، وكتاب الأسس المنطقية للاستقراء ، فماذا استفدت منها ؟

فأجاب : الإنسان عندما يعشق الفلسفة ويبدأ بدراستها ، يتصور أنها ستحل كل مشكلاته الفكرية ، ثم يتقدم فيها فيرى أنها لا تحل شيئا منها !

قلت له : وأحاديث أهل البيت ﵈ هل تحل المشكلات الفكرية للطالب ؟ فتأمل وقال : نعم تحلها ، وهي التي تحلها[2].

---

[1]) مقالات وردود للشيخ ماجد الكاظمي،ص٢٤٣.

[2]) تجربتي إلى طالب العلم للشيخ الكوراني،ص١١٥.

الموقف الثالث :

يقول كمال الحيدري : السيد الشهيد رحمة الله تعالى عليه في الأسس المنطقية رفع يده عن جملة من مباني الحكمة المتعالية[1].

ومن ردود السيد محمد باقر الصدر ﵀ على أحد المباني الفلسفية ما نقل تلميذه السيد كاظم الحائري قائلا : ما أفاده أستاذنا الشهيد الصدر ﵀ في المقام ردا على مبنى فلسفي معروف[2] . ذلك أن الفلاسفة ذكروا : إن نسبة شيء إلى شيء ـ بعد فرض إخراج الامتناع من المقسم ـ إما هي الوجوب أو الإمكان ، فنسبة الشيء إلى قابله هي الإمكان وإلى فاعله هي الوجوب ، وقد قالوا بذلك في تمام عوالم الإمكان ، بلا فرق بين الأفعال الاختيارية وغيرها ، فحركة يد المشلول وتحريك اليد اختيارا سيان في هذا الأمر ، ومن هنا جاءت شبهة الجبر. ولكن الواقع : أن تخيل انحصار النسبة في الوجوب والإمكان غير صحيح ، وأن نسبة الفعل الاختياري إلى فاعله نسبة ثالثة ، هي : بالتعبير الاسمي : نسبة (السلطنة) وبالتعبير الحرفي : نسبة (له أن يفعل وله أن لا يفعل) والقاعدة

---

[1]) بحث تعارض الأدلة : (٢٢٤) مثبت على موقعه.

[2]) البرهان الفلسفي للجبر مؤتلف من مقدمتين : الأولى : أن الاختيار ينافي الضرورة ، فإن الضرورة تساوق الاضطرار المقابل للاختيار ، من قبيل حركة يد المرتعش التي هي ضرورية والثانية : أن صدور الفعل من الإنسان يكون بالضرورة ؛ لأن الفعل الصادر منه ممكن من الممكنات ، فتسوده القوانين السائدة على عالم الإمكان والتي منها أن الممكن ما لم يجب بالغير لم يوجد ، فبالجمع بين هاتين المقدمتين يثبت أن الإنسان غير مختار في أفعاله ؛ إذ لا يصدر عنه فعل إلا بالضرورة والضرورة تنافي الاختيار.تزكية النفس.ص٥١.

العقلية المعروفة القائلة : (إن الشيء ما لم يجب لم يوجد) ليست ـ بدقيق معنى الكلمة ـ صادقة ، وإنما الصحيح لو أردنا أن نعبر بتعبير دقيق هو : أن الشيء لا يوجد إلا بالوجوب أو السلطنة ، فموضوعها هو الجامع بين الوجوب والسلطنة لا نفس الوجوب فحسب . نعم ، بما أن السلطنة غير موجودة في العلل التكوينية فوجود معلولاتها لا يكون إلا بالوجوب . وما ادعيناه من وجود نسبة أخرى إلى صف نسبة الوجوب والإمكان يكون ـ بحسب عالم التصور ـ بديهيا كبداهة الوجوب والإمكان ، والوجود والعدم ، فلا غبار ـ بحسب عالم التصور ـ على وجود نسبة ثالثة في قبال نسبة الوجوب والإمكان ، فهذه غير الوجوب وغير الإمكان .أما أنها غير الوجوب فللتضاد الواضح بين عنوان (له أن يفعل) وعنوان (لا بد له أن يفعل) . وأما أنها غير الإمكان فلأن الإمكان عبارة عن القابلية ، وهي : التأهل للقبول ، وهذا مفهوم لا يتصور إلا بين الشيء وقابله دون الشيء وفاعله بخلاف مفهوم (له)[1].

وقد حاول أصحاب الاتجاه الفلسفي إحازة السيد الصدر ﷺ إلى توجههم ، كما حاول أصحاب المسلك الصوفي ضم السيد عبد الأعلى السبزواري ﷺ إلى مسلكهم مع أنه لديه عدة كلمات ذم فيها التصوف ورموزه ، مثل الحلاج وابن

---

[1]) تزكية النفس،ص٥١ ـ٥٢ . وأصل الكلام وتفصيله هو مأخوذ من بحثه الأصولي.انظر مباحث الأصول للسيد الحائري،ج٢،ص٧٣ إلى ص٨٥.

الفارض وابن عربي خلافا لعرفاء الشيعة المتأثرين بالتصوف كما ذكرت ذلك في كتاب (التصوف والعرفان).

٧ ـ السيد السيستاني :

يقول السيد حفظه الله كما نقل عنه السيد محمد علي الرباني[1] : لما كنت في الثامن عشر من العمر أنهيت دراسة الفلسفة بفهم دقيق لمفاهيمها المعقدة حتى أُصبتُ بعض الأحيان بشيء من العجب والغرور، وكنت لذلك معجبا بالفلاسفة ومشدودا إلى أفكارهم ، ومع هذا حضرت في حوزة مشهد المقدسة دروس آية الله العظمى الشيخ الحاج ميرزا مهدي الاصفهاني وكان ناقدا للفلسفة وشديدا على الفلاسفة ، ولا زال صوته يدوي في أذني حيث كان يخطب فينا وهو يهاجم أنصار علم الفلسفة قائلا : هل أنكم تريدون صنع مذهب في وجه مذهب أهل البيت عليهم السلام من أنتم وما شأنكم ، ارتدعوا ، عودوا إلى رشدكم ، دعوا هذه الفلسفة الممتزجة بالآراء الغريبة عن منهج الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولكن رغم ذلك لم أُناقشه بإساءة أدب فأستنصر لفلاسفة كنت أؤيدهم واستمر حضوري لدروسه حتى أقنعني تدريجيا بإعادة

---

[1]) السيد محمد علي الرباني من طلبة السيد السيستاني وقد قرر له بحث : (الاجتهاد والتقليد والاحتياط).(القواعد الفقهية:الفراغ والتجاوز والصحة والقرعة).(قاعدة الإلزام،أسئلة حول رؤية الهلال مع أجوبتها).(الاستصحاب).وهذه التقريرات كلها مطبوعة.

النظر في التأييد المطلق لعلم الفلسفة وحبي المبالغ فيه للفلاسفة ، فصرت محايدا في الأمر لا مؤيدا ولا منددا[1].

إن السيد من بعد ما كان معجبا بالفلاسفة مشدودا لآرائهم عدل عن وجهة نظره وأصبح فيما بعد محايدا غير مؤيد لها.

وهو من الذين يرون فصل الفلسفة عن الأصول لأنه من الاعتباريات ودخالتها فيه تؤدي إلى الاشتباهات حيث يقول : إن دخول الفلسفة في علم الأصول أدى لمثل هذه الاشتباهات ، مع أن قوانين الفلسفة قوانين تكوينية لا تمتد للاعتباريات التي هي فرضيات مخترعة للتأثير على سلوك الآخرين ، فهي أمور لا تختلف فيها الأنظار وإنما تختلف باختلاف الأنظار وتتطور بتطور المجتمعات[2].

ومن مؤاخذاته على الفلسفة يقول : إن الرؤية الفلسفية لا دليل على واقعيتها وصحتها ، فربما يكون المعيار الواقعي في الفصل بين الأشياء هو الفصل بالعوارض والآثار كما ورد في بعض الروايات : (وخلق خلقا مختلفا بأعراض وحدود)[3] . ولا دليل على لزوم كون الفاصل بالصور النوعية والفصول ،

---

[1]) قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين،ص٤١٩.

[2]) الرافد في علم الأصول،ص٦٣.

[3]) روى الشيخ الصدوق ﵀ عن الإمام الرضا ﵇ : (أما الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك ، ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بأعراض وحدود...) توحيد الصدوق،ص٤٣٠

ولعل الاتجاه الفلسفي في جعل معيار التمييز مبنيا على الصور النوعية والفصول تعبير عن عرف خاص في المجتمع اليوناني الذي نشأت فيه بذرة الفلسفة ، ومن الواضح أن الأعراف والمجتمعات تختلف في معيار التمييز كما نلاحظ اختلاف المجتمعات في جعل بعض الفواكه أو الحيوانات تحت عنوان واحد أو عناوين متعددة . فمن المحتمل جدا كون الفلسفة اليونانية في اعتمادها على الصور النوعية كمعيار للتمييز بين الحقائق تعبر عن عرف خاص ورؤية إنسانية معينة لا أن ذلك هو المعيار الواقعي المعتمد.

ويواصل كلامه قائلا : قد ذكر الفلاسفة أنفسهم أن الاطلاع على الحقائق الواقعية غير متيسر والفصول التي يطرحونها ما هي إلا فصول مشهورية لا فصول حقيقية ، فالناطق ـ مثلا ـ الذي جعل فصلا للإنسان إن أريد به النطق فهو كيف مسموع وإن أريد به الفكر فهو كيف نفساني أو فعل ذهني ، ومن المعلوم عندهم عدم تقوم الجوهر بالأعراض من الكيف والفعل ، إذن فالناطق فصل مشهوري لا فصل حقيقي . ونتيجة ذلك : أنه كيف يمكن لنا أن نعتبر المعيار في تمييز الحقائق هو النظر الفلسفي مع قصوره ـ كما صرح الفلاسفة أنفسهم ـ في الوصول لفرز الواقعيات وتحديدها[1].

نعم في كتاب الرافد ذكر الآراء الفلسفية وأقوال الفلاسفة في مواضع متفرقة لأن طريقة الكتاب عادة ما تتخذ جانب الإلمام واستقصاء النظريات سواء

---

[1]) الرافد في علم الأصول،٢١٥.

كانت فلسفية أو غيرها . وبعبارة أخرى الكتاب لم يقتصر على البحث العمودي وإنما اهتم بالبحث الأفقي ومن هنا كان للآراء الفلسفية محل نظر فيه.

ومما يُذكر بهذا الصدد وجه له استفتاء بشأن عرفان ابن عربي فأجاب بنظرة معارضة تتضمن الرفض والتحذير ، وبكل تأكيد هو لا يعني ابن عربي على وجه الخصوص وإنما يعم أقرانه أيضا إلا فيما إذا قنا أن العرفان الصوفي في القرون الأخيرة يدور فلكه على رحى ابن عربي ومن هنا كان الاقتصار عليه دون ذكر غيره ، وهذا نص الاستفتاء والجواب :

نظرا إلى المطالب المنسوبة إلى حضرتكم في بعض المواقع التي تؤيد العرفان المنسوب لصاحب الفصوص ، نطلب أن تتفضلوا برأيكم بهذا الخصوص.

الجواب :

أما بخصوص المعارف الاعتقادية أكون على منهج أكابر علماء الإمامية قدس الله أسرارهم الذي يكون مطابقا لآيات القرآن الكريم وروايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم الصلاة والسلام ولا أؤيد المنهج المذكور أعلاه.

ووجه له استفتاء آخر بهذا الخصوص أيضا جاء فيه :

يظهر بين الحين والآخر أشخاص في وسط الشباب في الحوزات العلمية أو غيرها يدّعون أنهم يتصفون بالعرفان وصفاء الباطن ويزعمون لأنفسهم مقامات في القرب من الله سبحانه وتعالى، ويقولون أن رسالتهم هي توجيه المجتمع إلى الله بالأذكار والأوراد والمجالس الخاصة ، ولوحظ أنه قد يستجيب

لهم من الشباب تصديقا لدعاويهم ، في حين ينظر آخرون إلى هذه التصرفات والحركات بعين الريبة والشك ، فهل يجوز الاعتماد على أصحاب هذه الدعاوى والثقة بهم والعمل بوصاياهم والاستجابة لهم ، أو يجب الحذر منهم والابتعاد عنهم ؟

الجواب :

لا شك في أنه ينبغي لكل مؤمن العناية بتزكية النفس وتهذيبها عن الخصال الرذيلة والصفات الذميمة وتحليتها بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات استعدادا لطاعة الله تعالي وحذرا من معصيته، إلا أن السبيل إلي ذلك ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من استذكار الموت وفناء الدنيا وعقبات الآخرة من البرزخ والنشور والحشر والحساب والعرض على الله تعالي ، وتذكر أوصاف الجنة ونعيمها وأهوال النار وجحيمها وآثار الأعمال ونتائجها ، فإن ذلك مما يعين علي تقوي الله سبحانه وتعالي وطاعته والتوقي عن الوقوع في معصيته وسخطه كما أوصي به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وعمل به العلماء الربانيون جيلا بعد جيل ، وهذا طريق واضح لا لبس فيه ، ولا عذر لمن تخلف عنه ، وإنما يعرف حال المرء بمقدار تطابق سلوكه مع هذا النهج وعدمه ، فإن الرجال يعرفون بالحق ومن عرف الحق بالرجال وقع في الفتنة وضل عن سواء السبيل . وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام عن بعض أهل الجهل ممن يبتدع بهواه أموراً ويزعم أنه من العلماء فيجمع حوله فريقاً من الجهال قائلاً : (إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولي عليها

رجالٌ رجالاً علي غير دين الله ، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف علي المرتادين ، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت عنه ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان ، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسني)[1] .

ومن علائم أهل الدعاوي الباطلة مبالغتهم في تزكية أنفسهم على خلاف ما أمر الله تعالي به وتوجيه الآخرين إلي الغلو فيهم والاستغناء عن المناهج المعروفة لدي الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية ودعوى الوقوف عليها وعلى ملاكاتها من طريق الأمور الباطنية والتصدي للفتيا من غير استحصال الأهلية لها واستغلال المبتدئين في التعليم والتعلم ، والموالاة الخاصة لمن أذعن بهم والمعاداة مع من لم يجر على طريقتهم والوقيعة فيمن انسلخ منهم بعد الإيمان بهم وسلوك سبل غير متعارفة للامتياز عن غيرهم من أهل العلم وعامة الناس والمبالغة في الاعتماد على المنامات وما يدّعون ترائية لهم في الحالات المعنوية والتميز في اللبس والزي والمظهر عن الآخرين ، تمسكاً في بعضه بأنه عمل مأثور من غير ملاحظة الجوانب الثانوية التي يقدّرها الفقهاء في مثل ذلك .

ومن تلك العلائم الابتداع في الدين والتوصية بالرياضات التي لم تعهد من

---

[1]) روى الشيخ الكليني ﷺ : خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال : (أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، يتولى فيها رجالٌ رجالاً ، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى).أصول الكافي،ج١،ص٥٤.

الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والاستناد فيما يدّعي استحبابه إلي ما ورد في مصادر غير موثوقة تذرعاً بالتسامح في أدلة السنن ، وأيضاً التأثر بأهل الملل والأديان الأخرى والتساهل في ما يعدّ ضرباً من الموسيقي والألحان الغنائية المحرمة ووجوه اختلاط الرجال بالنساء ، والاعتماد على مصادر مالية غير معروفة وارتباطات غامضة مريبة إلي غير ذلك مما لا يخفي علي المؤمن الفطن . وإننا نوصي عامة المؤمنين وفقهم الله تعالى لمراضيه بالتثبت وعدم الاسترسال في الاعتماد على مثل هذه الدعاوي، فإن هذا الأمر دين يدان الله تعالي به، فمن اتبع إمام هدي حشر خلفه وكان سبيله إلي الجنة ومن اتبع ضلال حشر معه يوم القيامة وساقه إلي النار وليتأمل الجميع في هذا حال من كانوا قبلهم كيف وقع الكثير منهم في الضلال لاتباع أمثال من ذُكر، نسأل الله تعالي أن يجنب الجميع البدع والأهواء ويوفقنا للعمل بشرعه الحنيف مقتدين بسيرة العلماء الربانيين إنه ولي التوفيق[1].

وهذا هو منهج علماء الشيعة الإمامية أنهم يرفضون استقاء المعارف الدينية من غير الآيات والروايات إلا بعض من شذ منهم متأثرا بالتصوف وأخذ يهتم بـ (فصوص الحكم) تدريسا وتعليقا.

وقد ينبري للدفاع عن هذا الصنف بعض المغلوب على أمرهم ممن كانوا ضحية السياسة والإعلام ويقولون أن تدريس كتاب الفصوص لا يعني التأثر بالتصوف وإنما يأخذون منه المعارف الحقة ويتركون غير الصحيح فيه.

---

[1]) استفتاء قدمه جمع من طلاب الحوزات العلمية بتاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٢هـ .

ومن حقهم أن يبرروا لهم بتبريرٍ كهذا لأنهم لا يعلمون أن كتاب الفصوص مبني على وحدة الوجود وأيضا تفسير ابن عربي مبني عليها وتابعه على ذلك ملا صدرا في تفسيره . وهذا أمر واضح لمن طالع هذه الكتب وتنبه لما فيها . ولكي يطمئن هؤلاء أنقل لهم اعتراف كمال الحيدري بخصوص فصوص الحكم وهذا نص ما قاله حرفيا في الدرس الأول من تدريسه للفصوص : (الشيخ محي الدين حاول أن يجمع كل أفكاره في نظرية وحدة الوجود وما يترتب عليها من المسائل في هذا الكتاب الذي هو فصوص الحكم وأصل هذا الكتاب كما تعلمون أصل هذا الكتاب قائم على أساس رؤيا كما هو يدعيها).

ولا غرو في أن يسيرا على نظرية وحدة الوجود في تفسيريهما وهما يريانها تمثل التوحيد الخالص وكمال التوحيد!

ولربما أحد المتدينين بدين ابن عربي يدافع ويقول إن لوحدة الوجود عدة معان وليس معنى واحدا باطلا.

وفي مقام الإجابة عن ذلك : إن ابن عربي يقول بوحدة الوجود بمعنى الوحدة الحقيقية وإليك كلامه واضحا بهذا المعنى إذ يقول : إِن الوجود حقيقة واحدة[1] والشيء لا يضاد نفسه.

[1]) يقول الآشتياني : أراد بالوحدة هنا الوحدة الشخصية . فان وحدة الوجود قد تطلق في عرفهم على الوحدة الانبساطية التي تشمل على وجود الواجب بالذات ووجودات

فلم يبق إِلا الحق لم يبق كائن ❖ فما ثم موصول وما ثم بائن

بذا جاء برهان العيان فما أرى ❖ بعيني إِلا عينه إذ أُعاين[1].

وقال في الفص الموسوي أن فرعون عين الحق قد ظهر بهذه الصورة . وهذه عبارته : فصح قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[2]، وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدي والأرجل بعين حق في صورة باطل ، لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل[3] ـ وبكل تأكيد هذا بعض ما قاله في وحدة الوجود ولست بصدد إقصاء جميع كلماته ـ فهو يرى أن لا تمايز بين الخالق والمخلوق

الممكنات ، وهذا بحسب الكشف الجلي في أواسط السفر الأول من الأسفار الأربعة للنفس، وقد تطلق على الوحدة الشخصية المنحصرة في الواجب بالذات ، وهذا بحسب الشهود العرفاني في نهاية السفر المذكور يحصل للأولياء العاملين وحينئذ لا يبقى للمكنات وجود ليكون واحدا مع وجود الواجب أو كثيرا بل لا وجود ولا موجود إلا هو ، والوجود واحد شخصي وهو الواجب بالذات والوجودات الإمكانية لمعات نوره واشراقات ظهوره بل هي (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ثم إذا جاءه لم يجده شيئا فوجد الله عنده).شرح فصوص الحكم،ص٢٠

وقال أيضا : إذا ارتفع الأمثال والأضداد وظهرت وحدة الوجود ، فلم يبق إلا الحق ، وفنى العالم فيه لاقتضائه الكثرة . فما ثم واصل ولا موصول ولا بائن ، أي مفارق ، لاستهلاك الكل في عين الوحدة الحقيقية .فصوص الحكم،ص٦٥٣

[1]) فصوص الحكم/حكمة علية في كلمة إسماعيلية.

[2]) النازعات : ٢٤ .

[3]) فصوص الحكم/ الفص الموسوي.

وهو الكفر الذي لا شائبة فيه ولا يوجد من علماء المسلمين من لا يكفر القائل بهذا الكلام . وقد صرح السيد الخوئي ﵀ بكفر ابن عربي لقوله بعدم التمايز بين الخالق والمخلوق ، وهذا ما نص فيه على تكفيره : (يحكم بكفر بعض الفرق المنتسبين إلى الإسلام إذا رجعت عقائدهم إلى إنكار الألوهية والخلق ، أو النبوة أو المعاد، كالقائلين بوحدة الوجود من الصوفية الظاهر ذلك من أشعارهم ، بل من متونهم ، كما في عبارة محيي الدين بن العربي التي هي : (الحمد للّه الذي خلق الأشياء وهو عينها) . الدال على وحدة الوجود ، فإذا لوحظت المراتب فيكون خلقا ، وإذا لغيت فهو نفس الخالق ، فالواجب والممكن عندهم موجود واحد، وإنما يختلف بالاعتبار ، فباعتبار حده هو ممكن ومع إلغاء الحد هو واجب وهو راجع في الحقيقة إلى إنكار الخالق)[1].

وذكر ملا صدرا أن كلام ابن عربي هذا في فتوحاته المكية حيث يقول : قال محيي الدين العربي في خطبة الفتوحات : سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها[2].

وابن عربي له عبارة أخرى مشابهة لها في الفتوحات أيضا وهي : (فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها)[3].

---

[1]) مجمع الرسائل/رسالة في الإرث،ج٤٩،ص٤٣.

[2]) مجموعة رسائل،ص٤٥٩.

[3]) الفتوحات المكية،ج٢،ص٤٥٩.

ووحدة الوجود التي يذهب إليها ابن عربي تلزمه بالقول بالجبر ، فإن المخلوق إذا كان عين الحق تعالى يكون جميع ما يصدر منه مستندا إليه عز وجل ، بل لا يمكن القول بوحدة الوجود بالمعنى الذي ذهب إليه ابن عربي وغيره من المعاني القريبة منه إلا والقول إلى جنبه بالجبر وهذا واضح لمن طالع كتب القوم.

وممن أشار للتلازم بين القول بوحدة الوجود والجبر العلامة المجلسي ﷺ عند حديثه عن ديوان المثنوي قائلا : لم تجد صفحة من ديوان المثنوي لم يذكر في أشعاره الجبر ، أو وحدة الوجود ، أو سقوط العبادة ، أو غيرها من الاعتقادات الفاسدة ، وكما هو المشهور منه والذي قبله تابعيه أن الغناء والمزمار و . . . عبادة[1].

وقد يستغرب بعض المهتمين بهذا الشأن ويصعب عليهم تقبل التلازم بين وحدة الوجود والجبر ، ولكي لا يستغربون أقول لهم أن كتاب الفصوص صحح أعمال المنحرفين وصحح أعمال الأقوام الكافرة التي ذمها القرآن الكريم بوضوح مثل عمل فرعون ـ كما تقدم آنفا قوله في فرعون وعمله : عين الحق فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدي والأرجل بعين حق في صورة باطل ، لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل ـ وصحح عمل صناعة العجل من قِبل السامري ، وصحح عمل قوم نوح وصحح عبادة بني إسرائيل للعجل ولم يُخطئ هؤلاء وغيرهم مع وضوح وصراحة القرآن الكريم بالاستنكار عليهم

[1]) عين الحياة،ج٢،ص٤٠٤.

ونعتهم بالضلال والكفر ووعيده إياهم بالعقاب ، وما ذاك إلا من خلال وحدة الوجود وما يلزمها من الجبر ؛ فهل يا ترى بقي شك عند هؤلاء في التلازم بين وحدة الوجود والجبر أم أن عمى متابعة الرجال أعشى بصرهم وبصيرتهم ؟!

وإلى الأخوة الكرام أصانهم الله وأجل قدرهم عن متابعة ابن عربي وفصوص كفره ما قاله في الفصوص بشأن الجبر وتصحيح أعمال قوم نوح وتصحيح صنع السامري للعجل وعبادته :

يقول أن النبي نوح عليه السلام كان راضيا عن قومه وأثنى عليهم بلسان الذم :(فعلم العلماء باللّه ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ثم قال عن نفسه إنه دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم و فهموا ذلك منه لذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك)[1].

ويقول أن النبي موسى عاتب النبي هارون عليهما السلام لإنكاره على قومه عبادة العجل وعدم معرفته الحق في كل شيء حيث يقول : (وكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع[2] فكان عتب موسى أخاه هارون

---

[1]) فصوص الحكم/الفص النوحي.

[2]) يرى ابن عربي أن قوله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ هو قضاء تكويني وليس تشريعيا وما حكم به الله تعالى وقع ؛ ولذا ما كان يحق للنبي هارون عليه السلام إنكار عبادة العجل

لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)[1].

مضافا لِما تقدم من تصحيحه لعمل فرعون وقد جاء في كلامه ما نصه : فصح قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[2]، وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون ، فقطع

التي حدثت بقضاء الله تعالى وكان عليه تقبل عبادة العجل لأن الحق والعارف ـ كما يقول ابن عربي ـ من يرى الحق في كل شيء ويراه عين الحق ولذا كان عتب النبي موسى لهارون عليهما السلام !! وهذه من عباراته الصريحة في الجبر . ومن كلامه الصريح في الجبر أيضا قوله : فقالوا في مكرهم ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله)). فصوص الحكم/الفص النوحي.

فهو يرى أن الله تعالى موجود في هذه الآلهة وإذا تركوها جهلوا من الحق على قدر الترك لها وجعل عبادتهم للآلهة وجها من وجوه الحق ! وقد ذكرت كلماته الدالة على الجبر صريحا في (بدعة جواز التعبد بجميع الأديان).

[1]) فصوص الحكم/فص حكمة إمامية في كلمة هارونية . ونظير كلام ابن عربي هذا كلام القيصري شارح فصوصه . وقد ذكر ملا صدرا كلام القيصري للاستشهاد به وسياق التأيد له في حكمته المتعالية : (بالنسبة إلى المشركين الذين يعبدون غير الله من الموجودات فينتقم منهم لكونهم حصروا الحق فيما عبدوه وجعلوا الإله المطلق مقيدا وأما من حيث إن معبودهم عين الوجود الحق الظاهر في تلك الصور فما يعبدون إلا الله فرضي الله منهم من هذا الوجه فينقلب عذابهم عذبا).الحكمة المتعالية،ج٥،ص٣٦٠.

[2]) النازعات : ٢٤ .

الأيدي والأرجل بعين حق في صورة باطل ، لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل[1]

وبعد كلامه هذا يمكن لك أن تنعته بمميت الدين كما نعته علماء المسلمين إلا ممن زل قدمه نحو التصوف ، أو تنعته بمميت القرآن ، لأن الكفار أنكروا أصل التنزيل وهو مسخ معنى التنزيل .

أسأل الله العلي العظيم أن يجنبنا مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

٨ ـ الفخر الرازي :

إن الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) من علماء العامة كان متكلما وفيلسوفا أيضا ، يقول ابن خلكان متحدثا عن الرازي : فريد عصره ونسيج وحده فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات[2].

وقد مزج ما بين الفلسفة والتفسير ولذا كان يقول ابن أبي الحديد عن تفسير الرازي مستغربا : قوم غلب حب العلوم الحكمية عليهم...ولا أقول هذا مبالغة فإن هذا المصنف قد فسر القرآن العزيز ، كتاب كبير نحو عشر مجلدات أكثرها على القواعد الحكمية وهو من عجائب الدنيا وما رأينا قبله مثله فإنا

---

[1]) فصوص الحكم/ الفص الموسوي.

[2]) وفيات الأعيان،ج٤،ص٢٤٩.

عهدنا كتب التفسير يقال فيها عند ذكر الآية قال علي وابن عباس وهذا عند ذكر الآية يقول قال الفارابي وابن سينا ولا قوة إلا باللّه[1].

وممن انتقده على ذلك السيوطي وغيره كما يقول في معرض كلامه عن الرازي: قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها ، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ، وقال أبو حيان في البحر : جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء إلا التفسير[2].

ومزج ما بين الفلسفة وعلم الكلام أيضا كما تشهد بذلك كتبه ، وقد أشار لذلك ابن خلدون : خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الإلهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والإلهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا الكلام في الأمور العامة ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها إلى آخر العلم كما فعله الإمام ابن الخطيب[3] في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام.

---

[1]) مقدمة المحقق لكتاب (المحصل) ،ج١،ص٤٨

[2]) الإتقان في علوم القرآن،ج٤،ص٢٤٢.

[3]) يقول ابن خلكان عند ترجمته للفخر الرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي.وفيات الأعيان،ج٤،ص٢٤٨.

ثم يواصل ابن خلدون كلامه منتقدا للخلط الحاصل فلا يُتصور تأييده في ذلك قائلا : وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كأن الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو صواب لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه بمعنى أنها لا تثبت إلا به فإن العقل معزول عن الشرع وأنظاره وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج فليس بحثا عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد أن لم يكن معلوما هو شأن الفلسفة بل إنما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف فيه وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن تفرض صحيحة بالأدلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك أن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية[1].

ولكن الرازي في آخر عمره تنبه لزلَله كما يقول الذهبي (ت:٧٤٨هـ) متحدثا عن الرازي : (قد اعترف في آخر عمره حيث يقول : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن)[2].

---

[1]) تاريخ ابن خلدون،ج١،ص٤٩٥.

[2]) سير أعلام النبلاء،ج٢١،ص٥٠١.

ومن كلامه الذي يدلل على استشعاره الندم ما نقله عنه ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): (كان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول : من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها)[١].

ونقل ابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ) في (شذرات الذهب) كلام ابن الصلاح عن الفخر الرازي معربا فيه عن أسفه : (قال ابن الصلاح أخبرني القطب الطوعاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى وروى عنه أنه قال لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن)[٢].

ونقل ابن العماد في (شذرات الذهب) أيضا عن ابن الأهدل شعرا للفخر الرازي يبين فيه عدم الاستفادة من عمره حيث يقول : قال ابن الأهدل ومن شعره :

نهايــة أقــدام العقــول عقــال وأكثــر ســعي العــالمين ضــلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصــل دنيانــا أذى ووبــال

---

١) البداية والنهاية،ج١٣،ص٦٧.

٢) شذرات الذهب،ج٥،ص٢١.

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[1].

وفعلا كما تقدم قول الشيخ البهائي ﷺ : من أعرض عن مطالعة العلوم الدينية، وصرف أوقاته في إفادة الفنون الفلسفية ، فعن قريب لسان حاله يقول عند شروع شمس عمره في الأفول :

تمام عمر با اسلام در داد وستد بودم اكنون مي ميرم واز من بت زنار مى ماند[2]

معناه : أمضيت عمري أتعامل مع الإسلام بالتجارة فالآن أموت ويبقى مني الصنم والوثن.

---

[1]) شذرات الذهب،ج٥،ص٢٢. وهذه الأبيات مشهورة للفخر الرازي ذكرها ابن خلكان في (وفيات الأعيان)،ج٤،ص٢٥٠ والذهبي في (تاريخ الإسلام) ج٤٣،ص٢١٧.وابن أبي أصيبعة في (عيون الأنباء) ج١،ص٤٦٨. وغيرهم

[2]) الكشكول،ج١،ص٢١٤.

الفلسفة ونظرية المعرفة

قد يُقال نحن نقرُ بعدم الجدوى من فلسفة اليونان فهي أفكار قد أكل الدهر عليها وشرب ، وكانت عبارة عن ردة فعل في مواجهة السفسطة انقضى زمانها[1] ، ولا نتوخى منها فائدة في عصرنا . ولكن أين أنت من الفلسفة الحديثة التي بانت بوادرها قبيل الثورة الصناعية في أوربا والتي خاضت في معالجة الأسئلة العامة المرتبطة بعقل الإنسان وحواسه إلى غيرها من حقائق الوجود ودقائقه ؟

وفي مقام الإجابة عن ذلك :

إن محاولة إبداء النظر والتحليل في الأسئلة المتعلقة بما يدور حول عقل الإنسان وما يرتبط به من تفكير ومراحل الحفظ والنسيان...وحواس الإنسان وصلتها بالعقل وإمكان الخطأ والاشتباه في قواها من عدمه...إلى أمثالها ونظائرها مما هو مرتبط بما ساد عليه الاصطلاح مؤخرا وعُرف بـ (نظرية المعرفة) حيث إن

---

[1]) يقول السيد الطباطبائي ﷺ : قد أوضحنا عقائد الشكاكين في الواقعية الخارجية ، والنافين لها حسب ما يناسب وضع رسالتنا ، وبان من خلال البحث أن المثاليّين هم أولئك الذين ينفون الواقعيات على أنحائها ، بحيث يرجع نفيه أو شكه إلى النفي المطلق أو الشك المطلق ، بأن لا يعترف بشيء حتى بذاته وتصوّره وشكه وتشكيكه ، وقد ضبط التاريخ نزرا من أحوالهم ، ولعلك لا تجد منهم أثرا في أعصارنا. أصول الفلسفة،ص١٢١.

الآراء المطروحة فيها تحاول إيجاد رؤية وتحليل عن فهم حقائق الوجود ؛ فهي أفكار ووجهات نظر تصب في معرفة الحقائق لا شان لها بالفلسفة اليونانية ، ولا تنطلق من مبادئها أساسا وإن عُنون بعض الكتب التي ألفت في مضمارها بعناوين فلسفية . وقد تناولها السيد ﷺ الطباطبائي في (أصول الفلسفة) وناقش بعض الأفكار والآراء فيها بأمور وجدانية كما يتحدث الشيخ مرتضى آل ياسين ﷺ عن (أصول الفلسفة) للسيد الطباطبائي واصفا إياه ببعض التحاليل الوجدانية : (من خصائصه البارزة جمعه بين الفلسفتين القديمة والحديثة ثم تيسره للمسائل العويصة المعضلة تيسيرا يجعلها في متناول أكثر الأفهام وربما حلل بعضها تحليلا وجدانيا يغني القارئ عن التماس البرهان والدليل)[1].

وتقييده بالبعض على نحو القدر المتيقن فلو عمم التحاليل الوجدانية أو العقلية لأغلب الكتاب أو كله لم يكن مخطأ ، كما لو أنه وصف كتاب (فلسفتنا) لنعته بذات السمة نفسها لأن نسبة التشابه بين الكتابين كبيرة جدا ، وقد كان لـ (أصول الفلسفة) الجذوة الكبرى لمن كتب بعده في هذا المجال سواء عُنون الكتاب بـ (نظرية المعرفة) كما فعل بعضهم أو لم يعنون مثل كتاب (فلسفتنا) حيث إنه يتحدث عن نفس النظرية وإن كان ذا عنوان آخر وهذا واضح للمطلع الخبير ، بل المؤلف في كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) أشار لطابع كتاب (فلسفتنا) المنساق في نظرية المعرفة إذ يقول : (نحن في هذا الكتاب إذ نحاول إعادة بناء نظرية المعرفة على أساس معين ، ودراسة نقاطها الأساسية في

---

[1]) أصول الفلسفة،ص٥ .

ضوء يختلف عما تقدم في كتاب (فلسفتنا) سوف نتخذ من دراسة الدليل الاستقرائي ومعالجة تلك الثغرة[1] فيه أساسا لمحاولتنا هذه)[2].

ومن الجدير بالذكر أن السيد محمد باقر الصدر ﵀ تغير رأيه في التجربة من بعد ما قال لا يمكنها أن تفيد معنى كليا إلا في ظل مبدأ العلية الذي يعني ضم كبرى عقلية ليمكن السير حينها ـ في العلوم التجريبية ـ من الخاص إلى العام . وهذه الرؤية هي أهم ما في كتاب فسلفتنا وقد تطرق لها في عدة مواضع من الكتاب وحاول السير على وفقها في الكثير من مفاصله ودفع ما يوجب نقضها إلا أنه في كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) تغير رأيه ورفع اليد عنها وقال بإثبات العام في العلوم التجريبية بمعزل على مبدأ العلية الذي يفيد كبرى عقلية.

وقد أشارت لجنة إحياء التراث في هامش كتاب (فلسفتنا) نحو سبع مرات إلى تغير رأيه وأحالت إلى (الأسس المنطقية للاستقراء) الذي ألفه بعد اثنتي عشرة سنة من كتاب (فلسفتنا).

---

[1]) الثغرة التي أشار إليها هو أن السير الاستدلالي في الاستقراء من الخاص إلى العام والذي يعني تعميم نتيجة الخاص مع أنه لا ملازمة بين صدق المقدمات في الاستقراء والنتيجة إذ ممكن تصدق المقدمات ولا تصدق النتيجة

[2]) الأسس المنطقية للاستقراء،ص٢٠ .

الحكمة ضالة المؤمن لا يعني العكوف على الأوهام

إن من الأمور التي ساقها أتباع المنحى الأرسطي في تصحيح منحاهم الفلسفي وتشبثوا بها كثيرا في مؤلفاتهم : (الحكمة ضالة المؤمن) فقد روي عن رسول الله ﷺ : (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[1].

والشهيد الثاني ﷺ في (منية المريد) روى الخبر المتقدم بعد ما قال : (أن لا يستنكف من التعلم والاستفادة ممن هو دونه في منصب أو سن أو شهرة أو دين أو في علم آخر ، بل يستفيد ممن يمكن الاستفادة منه ، ولا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه ، فتخسر صفقته ويقل علمه ويستحق المقت من الله تعالى)[2].

مما يعني فسره بالتواضع في طلب العلم ممن هو دونه. والفيض الكاشاني ﷺ فسرها بهذا المعنى أيضا : (يعني لا يأنف من أخذها عمن هو دونه في العلم فربما يوجد عند الأدنى ما لا يوجد عند الأعلى وفي التعبير عن الحكمة بالضالة إشارة إلى أنها مركوزة في فطرة المؤمن فإذا جهلها فكأنها ضلت عنه)[3].

---

[1]) بحار الأنوار،ج٢،ص١٠١.

[2]) منية المريد،ص١٧٣.

[3]) الوافي،ج١،ص٤٠٢.

ووالد العلامة المجلسي رحمهما الله المعروف بالمجلسي الأول فسرها بنفس المعنى : (أي لا ينبغي أن يلاحظ المتكلم بل يجب أن يلاحظ الكلام فإذا وجد ضالته من الحكم والعلوم والمعارف فليعرفها إلى المسترشدين فإنها ضالتهم أيضا)[1].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (خذ الحكمة ممن أتاك بها وانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال)[2].

وفي روضة الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام : (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجد أحدكم ضالته فليأخذها)[3].

وهذه الأحاديث ونظائرها مما لم أتعرض لذكرها اختلف في تفسيرها لأنها تحتمل معاني عديدة كما يقول العلامة المجلسي رحمه الله : (لحكمة ضالة المؤمن) هذه الكلمة قد وردت في كثير من الأخبار الخاصية والعامية واختلف في تفسيرها ، فقد قيل : إن المراد أن المؤمن لا يزال يتطلب الحكمة كما يتطلب الرجل ضالته ، قاله في النهاية . وقيل : إن المراد إن المؤمن يأخذ الحكمة من كل من وجدها عنده ، وإن كان كافرا أو فاسقا ، كما أن صاحب الضالة يأخذها حيث وجدها ، وهو الظاهر في هذا الخبر ، وقيل : المراد أن من كان عنده حكمة لا يفهمها ولا يستحقها يجب أن يطلب من يأخذها بحقها كما يجب

---

[1]) روضة المتقين،ج١٣،ص٢٢.

[2]) غرر الحكم،ص٣٦١.

[3]) الكافي،ج٨،ص١٦٧.

تعريف الضالة ، وإذ وجد من يستحقها وجب أن لا يبخل في البذل كالضالة[1].

ولكن بالرغم من كون هذه الأحاديث تمتد لمعاني عديدة إلا أنها لا تضم معنى الركون والعكوف على الأباطيل توخيا للحكمة ، بل حتى لو قلنا أنها تحتمل هذا المعنى مع كونه بعيدا جدا ولا يمكن القول به كان الأجدر الركون للطرق المستقيمة المليئة بالنور والحكمة .

وببيان آخر : إن المتبادر من الأحاديث الشريفة هو أخذ الحكمة فيما لو صدرت من أي شخص كان غير مقيدة بإيمان القائل سواء كان مؤمنا أم كافرا على حد سواء ، ولا يعني العكوف على كتب الأوهام والضلال بغية الظفر بالحكمة إذ لا دلالة للحديث على هذا المعنى ، والقرآن الكريم يوعز لإتباع من يدعو إلى الحق ومجانبة من لم تكن له قابلية الهداية : ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2] فما بالك في من يدعو للضلال في رؤية القرآن الكريم ! بكل تأكيد الرؤية القرآنية لم ترتضه وتدعو لمجانبته ، ولا قيمة للحكمة المبعوثة في أكناف ضلاله حتى يأمر القرآن الكريم بملازمته وإتباعه . والأحاديث أيضا واضحة في نبذ أهل الانحراف والبدع ولا ترتجي الحكمة المبعوثة منهم . ومضافا لذلك أن العقل

---

[1]) مرآة العقول،ج٢٦،ص٣٦.

[2]) سورة يونس : ٣٥

يأنف الركون لمصادر الجهل والأباطيل في سبيل الظفر بحكمة منشودة من هنا وهناك.

وعلى هذا يكون المراد من الحكمة ضالة المؤمن هو أن يأخذ بها فيما لو اتفق صدورها ، ومما يدلل على هذا المعنى تتمة الخبرين المتقدمة :
(فحيث وجدها فهو أحق بها)
(خذ الحكمة ممن أتاك بها)
والمتبادر من الحديث المتقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام بقرينة : (خذ الحكمة ممن أتاك بها).

وليس التتلمذ والعكوف على الأوهام والأباطيل حتى يأخذ الحكمة فيما لو صدرت منهم . ولا يخفى أن الميزان في معرفة الحكمة وتشخيصها هو ميزان الثقلين إذ كيف نعرف أنها حكمة ما لم توزن بضياء نورهما ؛ فهما الميزان الذي يوزن به ويميز الصحيح من السقيم.

والخلاصة : أن الحكمة ضالة المؤمن بمعنى هو أحق بأخذها فيما لو اتفق صدورها من الكافر وغيره ، وعلم التوحيد والمعارف الدينية لا تؤخذ إلا من أهل بيت النبوة ، وما سوى ذلك من العلوم التجريبية والفلكية ..لا مانع من العكوف على أخذها من أي كان . بل لا يبعد شمول الأحاديث لهذا المعنى.

ومما يثير غرابة الوله الحيران أن يُترك طريقا مليئا بالحكمة والمعرفة ويُسلك طريقا معوجا من أجل حكمة يحتمل الوقوف عليها .

ثم ما بالكم في الأحاديث التي تدل على نبذ وبطلان ما ورد عن غير أئمة الهدى صلوات الله عليهم وهي أحاديث كثيرة من ضمنها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد عليه الرحمة : (يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا)[1].

وعن يونس بن ظبيان ، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال : (لا يغرنك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فإنهم حمر مستنفرة . ثم قال : يا يونس إذا أردت العلم الصحيح فعندنا أهل البيت ، فإنا ورثنا وأوتينا شرع الحكمة وفصل الخطاب)[2].

---

[1]) تحف العقول،ص١٨٢.

[2]) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر،ص٢٥٨.

لماذا الموقف المناهض للفلسفة ؟!

إن من أبرز التساؤلات الحاضرة في خضم الصراع الدائر مع الفلسفة هو لماذا الموقف المناهض لها منذ بداية دخولها إلى البلاد الإسلامية وحتى يومنا هذا .

ومما يُجاب به عن ذلك : إن أغلب الردود التي صدرت من المسلمين لم تنطلق من مبدأ التصويب والتخطئة فحسب ، وإنما كانت بدافع شرعي لِما تحمل الفلسفة في طياتها من سنان المواجهة والتصادم مع العقائد الإسلامية وقد تم التطرق لبيانها في ثنايا عناوين متفرقة ، وأصحابها سعاة لهدم شريعة سيد المرسلين على حد تعبير السيد محمد مهدي بحر العلوم ﷺ : (وبين من سمى جهالة اكتسبها من رؤساء الكفر والضلالة المنكرين للنبوة والرسالة حكمة وعلما ، واتخذ من سبقه إليها أئمة وقادة ، يقتفى آثارهم ويتبع منارهم ، يدخل فيما دخلوا وإن خالف نص الكتاب ، ويخرج عما خرجوا وإن كان ذلك هو الحق الصواب ، فهذا من أعداء الدين ، والسعاة في هدم شريعة سيد المرسلين ، وهو مع ذلك يزعم أنه بمكان مكين ، ولا يدري أنه لا يزن عند الله جناح بعوض مهين)[1].

بل لشدة تعارضها وخطرها على الدين نشأ علم الكلام للدفاع عن العقيدة الإسلامية كما يقول الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ : (لما انتشرت الفلسفة اليونانية

---

[1]) خاتمة مستدرك الوسائل،ج٢،ص٦١.

قلدها بعض العرب تقليدا أعمى ومن غير نضج فأوجب بلبلة في الأفكار عند المسلمين وشعر المسلمون بأنهم مهاجمون من قِبل الفلسفة اليونانية كما أوجدت الفلسفة الحديثة في عصرنا الحاضر بلبلة في أفكارنا ولما كانت طبيعة الفلسفة النظر إلى حقائق الأشياء غير مقيدة برأي ولا عقيدة واصطدمت هذه الفلسفة اليونانية ببعض مواقف الدين الإسلامي وأفكاره تصدى المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفية وحاولوا التنسيق بين الآراء الرائجة في الفلسفة وبين نظريات الإسلام فنشأ من ذلك علم الكلام ، فعلم الكلام إنما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية واستخدموا الأساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة)[1].

نعم نشأ علم الكلام ووقف حماة الشريعة بوجه معتقدات اليونان حتى لا تكون الفلسفة شريعة متبعة في قِبال شريعة السماء . ومن جهة أخرى وظفت تلك الأساطير توظيفا خاطئا واستغلت استغلالا غير صحيح مثل مجال اللبس على النصوص الدينية من خلال الممازجة بينهما بعنوان الشرح والتفسير . وتقديمها على الحديث ولي عنقه فيما لو لم تتفق معه.

ومن الملاحظ في خضم الصراع الدائر إن المتدينين الذين يميلون لهدى الثقلين في كل زمان يقفون بوجه الفلسفة وتكون لهم مواقف صارمة تجاهها بخلاف غير المتدينين والمتساهلين في دينهم تجدهم يميلون نحوها ويتبنون لغوها ولا أبالغ

---

[1]) الفلسفة الإسلامية،ص٧٥ .

فيما إذا قلت أن أغلب المائلين لها من ضعاف الإيمان المستخفين بحديث العترة الطاهرة ويعيش القرآن الكريم والحديث الشريف في زاوية ضيقة هامشية في محتواهم . نعم يوجد فيهم أصحاب دين وورع وتقوى مالوا لها اشتباها والإنسان مهما بلغ ما زال لم يكن معصوما يبقى الاشتباه والزلل بحقه وارد ودونك كبوة الجواد وغضب الحليم ؟! وأي اشتباه أكثر ممن يتوخى القربة لله تعالى من خلال معتقدات الفلسفة !

بيان ما التبس على أصحاب التيار الفلسفي أولى من الرد عليهم

إن غرضي من هذا المختصر هو بيان الأمور التي التبست على أصحاب المنحى الفلسفي قبل الرد عليهم ؛ لأن هؤلاء يعيشون حالة من التخبط والضبابية في الأمور التي يتداولونها ، كما توهموا عدم إمكان رد الملحدين إلا من خلال الفلاسفة مع أن الرد عليهم يكون من خلال مدركات العقل وليس حكرا على الفلسفة وأصحابها ، وكما توهموا أن الفلسفة عبارة عن أمور عقلية[1] مع أن بعضها آراء وأفكار لا شأن للعقل بها ، وأن علم الأصول محتاج للفلسفة مع

---

[1]) روى المسعودي في مروج الذهب : أن رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت مني بصفين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفي ، وأمره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي : أصلحك الله ! إنه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضي ، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره ، وسأله عن ثمن بعيره ، فدفع إليه ضعفه ، وبره ، وأحسن إليه ، وقال له : أبلغ عليا أني أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل.مروج الذهب،ج٣،ص٣١.
في جيش معاوية من لا يفرق بين الناقة والجمل وفي زماننا هذا يوجد مؤلفون وكتّاب لا يميزون بين العقل والفلسفة ويسوقون الآيات والروايات التي تمدح العقل والتعقل في الثناء على الفلسفة!
عند قراءتي لهم ينتابني العجب وأقول أين هؤلاء من العقل الذي يتبجحون به ؟! دمتم طيبين إنها فلسفة وليست عقل!

أن المهم فيه المدركات العقلية ، وحتى المدركات العقلية يوجد من يرى عدم إمكان إدراجها في الأصول كما قال بذلك السيد الطباطبائي في (حاشيته على الكفاية) ، و الشيخ المطهري في (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي) وقد تقدم ذكر كلماتهم تحت عنوان (دخالة الفلسفة على الأصول) إلى غيرها من الأمور التي التبست عليهم .

ومن هنا يتبين أن هؤلاء بحاجة ماسة إلى بيان ما التبس عليهم أولا ، لأنهم ما لم يعوا الأمور التي أُبهمت عليهم جيدا يصعب عليهم تقبل النقاش والنقد.

وسبب اللبس الحاصل عند الكثيرين منهم يعود للاقتصار على المادة الدراسية،مما يعني أن الطالب يقتصر على دراسة المادة المقررة في الكتب الفلسفية ، ولم يطالع ما يدور حولها من نقد ونقض ، ولم يكلف نفسه حتى بمعرفة جذور المطالب المقررة في الكتاب الدراسي وأي الكتب القديمة التي تناولتها قبل مؤلف الكتاب إلى آخرها من الأساسيات الضرورية التي يتطلب معرفتها ومن الزلل مواصلة الطريق مع الجهل بها.

والدراسة بهذه الطريقة والمستوى يجعل الطالب لا يعرف سوى تفكيك العبارات وشرحها على أحسن الأحوال ، ويعيش الضبابية وعدم الوضوح إزاء ما يدور حولها ؛ ولذا نجد منهم من يخرج علينا ويقول لا يمكن مجادلة الملحدين إلا من خلال الفلسفة ! وهذه هي النتيجة المتوقعة من دراسةٍ كهذه بكل تأكيد!

أصحاب التيار الفلسفي لم يتعمدوا السوء

إن أصحاب التيار الفلسفي في الوسط الحوزوي يوجد فيهم علماء وفضلاء من أهل الزهد والتقوى لا نشكك في نواياهم وتقواهم ـ إلا من شذ منهم ـ ولكن نية المرء قد تكون خلاف عمله شرعا . وبعبارة أخرى صاحب التقوى لا يعني أنه بمعزل عن الاشتباه والوقوع في الزلل والأمور الخطيرة ؛ لأن النوايا الحسنة بمفردها لا تعصم الإنسان عن الخطأ . ومهما بلغ الإنسان ـ من غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام ـ لا يكون بمأمن من الاشتباه والخطأ ؛ ولذا كان لا بد لنا من معرفة الرجال بالحق لا أن نعرف الحق بالرجال وقد روي في الخبر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق)[1].

ونظيره ما ورد عنه عليه السلام : (إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله)[2].

وكم هم أولئك العلماء الذين اتخذوا منهج الفلسفة والتصوف ومن ثم انكشف لهم سوء ما هم عليه وتركوه نادمين متأسفين كما ذكرت ثلة منهم تحت عنوان: (العلماء الذين تركوا الفلسفة والتصوف في نهاية المطاف) .

---

[1]) أمالي المفيد،ص٣٧.

[2]) مجمع البيان،ج١،ص١٨٧.روضة الواعظين،ص٤٧.

ومن هنا عندما نناقش بعض الأفكار ونردها لا يعني هذا التشكيك بنوايا أصحابها ، أو أن الغرض المستهدف ذواتهم ، كما قد يُتوهم ذلك أن المستهدف من النقد هو ذوات قائليها والمتبنين لها مع أن المهم والغرض الأساسي هو مناقشة الأفكار وبيان أصل المنهج المتخذ فيها.

كما أنه يوجد فيهم من كان يرى الفلسفة هي الطريق الأجدر والأليق بردع المد الشيوعي الذي ضرب الدول الإسلامية مما يعني أنه يراها الطريق الذي فرض عليه انتهاجه هكذا حسبه ثلة منهم ، نظير من اتخذ طريق العلوم العصرية في الدلالة على وجود خالق عظيم مدبر مثل أحمد أمين ﷺ في كتابه الرائع (التكامل في الإسلام) ـ مما يعني أن الهدف والغاية واحدة إلا أن الطريق والوسيلة مختلف ـ وقد كان للكتاب وقع كبير في خط المواجهة حتى إنه امتد أثره في ذات الشيوعيين أنفسهم[1]. وعامة المسلمين كان ردهم على الشيوعية

---

[1]) يقول نجل الدكتور أحمد أمين : هنالك الكثيرين من الشيوعيين عدلوا عن فكرهم لما حضروا محاضرات الوالد أو لما قرؤوا كتابه (التكامل في الإسلام) وقد كان السيد محسن الحكيم يقف إجلالا للوالد إذا ما دخل عليه . ومن المفارقات التي حدثت له يقول ولده أنه رفض مقابلة الكاتب المصري المعروف بكتاباته المضادة للشيعة عند مجيئه للنجف والذي يحمل نفس اسم الدكتور احمد أمين.

ألقى الدكتور أمين محاضرة عظيمة في محافظة الديوانية عن وجود الله عز وجل وكان من ضمن الحاضرين شيوعيون واستغرقت المحاضرة ثلاث ساعات حيث أرسلت له رسالة بعد ٤٥ يوماً من أحد الشيوعيين أنه ترك الفكر الشيوعي إثر المحاضرة التي ألقيت وكان الدكتور أمين يبكي من شدة الفرح لدى سماع هذه الأخبار وكان هذا عام (١٩٦٨م). في الكاظمية عندما استفحلت الشيوعية فيها .

كتبوا على باب دارنا (حرف سين) باللون الأحمر أي إن أحمد أمين يستحق (السحل) وبالفعل جاءوا لينفذوا أمرهم فحاول أخي الكبير إخفاء والدي إلا أنه رفض وخرج إليهم وقال لهم ماذا تريدون ؟ فأجابوه : إنك تتكلم عنا كثيرا فأجابهم بل كتبكم هي التي تتكلم عنكم وإذا أردتم فحددوا موعدا مع كبيركم لنتناقش بالأمر وبالفعل لما عرضوا الفكرة على كبيرهم في الكاظمية اعتقد أنه (عزيز الحاج) حيث أنهم يؤمنون بالأسماء الحركية فرفض المناظرة وتركوا والدي .

وكان من أصدقائه السيد أبو القاسم الخوئي وقد كان كثير الجلوس مع السيد أبي القاسم حتى إنه كان يقرأ له وهو يكتب من مواد العلم والدين خصوصا عندما يختلون في السرداب في الصيف . لم تسلم مخطوطاته من عبث البعثية حيث من شدة الخوف قاموا بحرقها أو دفنها ومنها تكملة أجزاء (التكامل في الإسلام).

طلبت منه حكومة نوري السعيد أن يقدم برنامجا في الإذاعة والتلفزيون فاستخار الله فرفض الفكرة وكذلك مع عبد الكريم وعبد السلام وعبد الرحمن واحمد البكر وعند سؤاله عن السبب قال : إنهم سيطلبون مني تمجيد الحكومة وهذا لا أقدر عليه . كان كثير المطالعة للمجلات الفرنسية والتركية لأنه يجيد لغتها وفي نفس الوقت يواصل الرد عليها إسلاميا وقد تضمنت مجلداته (التكامل في الإسلام) كثيرا من الفقرات التي مصدرها هذه الصحف.

آخر محطة من حياته أنه قرر ارتداء العمامة حيث كان ذلك في ١٩٧٠/٣/٩ قال أنه بعد شهر سيذهب إلى النجف ويرتدي العمامة وفي ٤/٩ وافاه الأجل ولبى نداء ربه وجاء إلى النجف وارتدى الكفن.

شاركت في تشييع جنازته جماهير غفيرة في الكاظمية وكربلاء والنجف.ويكفي الوالد فخرا أن السيد أبا القاسم الخوئي صلى عليه وأنزله قبره بيده.مقتطفات من لقاء موقع نون مع نجله.

من خلال العقل حيث لا يمكن للعقل أن يصدق حدوث العالَم بكل أسراره وعجائبه الدقيقة صدفةً من تلقاء نفسه ، ومنطق العقل هذه يجعل أبسط المسلمين معرفة يواجه أشهر الملحدين ، وأي منهم إذا ما تفوه بمنطق الصدفة وخلق الطبيعة لنفسها حينئذٍ يلغي عقله ويجعل من نفسه مسخرة ولا تجدي معه أنجع البراهين في إثبات وجود الله تبارك وتعالى وهو مجردٌ عن العقل متكأ على صنيعة الصدفة.

كلمة مهمة في الختام

إن من يأمن الانحراف عند قراءة الكتب الفلسفية لا ضير عليه في مطالعتها ودراسة مما صُنف فيها من باب الاطلاع ومعرفة المغزى والمراد [1] ، ولكن الاطلاع عليها شيء والإذعان بثمارها وفوائدها شيء آخر ، بمعنى المطالعة من غير التصديق والانجرار لدعاوى لا أساس لها من الصحة كتوقف إثبات التوحيد ونقض الشبهات عليها ، وكعدها من العلوم الآلية إلى غيرها من الأمور التي تم التطرق لها خلال ثنايا الكتاب ، وقد تبين أن العقل هو الرائد في هذا المجال . وما ذكره الفلاسفة الإسلاميون في مباحث التوحيد مقتضب من المباحث العقلية في علم الكلام ولم يكن للفلسفة وجودا فيها ، وهذا لا يخفى على كل منصف ذي بصيرة ، وقد تم بيانه بشيء من التفصيل في عنوان : (الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق).

وغير خافٍ أن الكثير من دارسي الفلسفة ينساق نحو التصديق بأمور اختلقها أصحاب الاتجاه الفلسفي ، وصارت أشبه بالبديهيات عندهم من غير التثبت

---

[1]) كما صرح بذلك جملة من الأعلام من ضمنهم السيد الخوئي ﷺ ـ ووافقه الشيخ جواد التبريزي ﷺ ـ : (لم يتضح لنا توقف ما ذكر على دراسة الفلسفة وقد تعرضوا للمقدار اللازم منها في طي أصول الدين والفقه ، وإذا خاف من الضلال إثر دراستها حرم وإلا فلا مانع منه في حد نفسه ، والله العالم).صراط النجاة،ج١،ص٤٥٩.

من صحتها والبحث عن جذورها وأصلها ، ومن ثم يسيرون على خطى أسلافهم فيدعون إلى الاعتقاد بها ، والدفاع عن معتقداتها ، ومساجلة من ينتقدها وهكذا يتوارثونها متأخر عن متقدم .

إن دارس الفلسفة يحتاج إلى شرحين مضافا لكتابه الدراسي أو شرح وتعليق على أقل ما يمكن أن يكون ، هذا إذا كل له اهتمام بالمادة وأراد فهمها بشكل جيد ، فما بالك فيمن لا يقرأ ويراجع إلا في كتاب المادة دون غيره ، وأغلب هذا النوع من الدارسين ليس لديه اهتمام بالمادة ولا تعنيه كثيرا ؛ فما فهمه بها ونعمت وما لم يفهمه فليذهب غير مأسوفٍ عليه . بل يوجد نوع آخر يحضر الدرس بكتاب مستعار ولا يمكنه كتابة الشرح عليه ولا المطالب المهمة حين حضور الدرس ناهيك عن عدم مطالعة الشروح والتعليقات ، ولم أقل هذا على نحو الفرض والحدس وإنما عن واقع لمسناه وشهدنا تفاصيله . وعلى ما يبدو أنهم اكتفوا من حضورهم للدرس بحشر مع الناس عيد ؛ فمن حيث فهم المطالب المقررة دراسيا ومما يعين على الإحاطة بها هو مطالعة الشروح والتعليقات لأنها بمثابة أستاذ آخر يمكن من خلالها اكتمال المطالب ونضوجها في ذهن الطالب ويتدارك بها ما فاته أو فات الأستاذ أثناء الشرح.

ويوجد شيء آخر ضروري جدا لدارسي الفلسفة ومن الخطأ الفادح تركه وهو تتبع جذور المطالب الفلسفية ، ومعرفة المؤاخذات عليها إذ لربما بعدها يكون الطالب أستاذا يدرّس طلبته وهو لا يعرف جذور ما يقول ، ولا هوة الفظائع فيها ومضاف لذلك ينعتها بالإسلامية ، فلا هو يدري ولا طلابه يدرون ومن

ينتقدهم على شيء ما ينذهلون ومن ثم لا يتوانون برد قوله لغرابة ما لم يألفوه ويطالعوه من ذي قبل . وما لم يهتم الطالب بالمادة شرحا وتحقيقا ومعرفة الثغرات فيها يكون مجرد مردد لِما يسمع وكأنه لا صلة له بالموضوع . ثم يخرج علينا هذا المردد لِما سمع من غير تقصٍ وتتبع يتهجم على من ينتقد الفلسفة أو ينتقد مطالبها فلا هو تعلم ولا هو احتفظ بما لديه معزيا به نفسه.

ودراسة الفلسفة لا تجعل الطالب مطلعا على التصوف إذ يتطلب مطالعة وتتبع خاص لأن المواد المعروفة بالتدريس ـ في الحوزة ـ لوحدها لا تجعل الطالب على بينة من أمر التصوف نظير الاطلاع على الفرق الإسلامية تحتاج مطالعة كتب الملل والنحل وكتب السير والتواريخ في ما إذا أريد الإحاطة بمعالم وعقائد فرقة معينة.

وعلى هذا يكون من الخطأ الفظيع تصور طالب الفلسفة أنه بدراسته هذه يكون ذا خبرة ومعرفة بأمر التصوف أبدا لا . وأرجو أن يتقبلوا ما أقول بتفهم وسعة صدر ، وخير مثال على ما أقول الغالبية الساحقة فيهم لا يعرف هل أن التصوف والعرفان شيء واحد أم ثمة مغايرة بين الاثنين ؟! ولا يعرف حتى رموز الصوفية بالواقع الشيعي ممن قضى عمره بتدريس التصوف فتجده يسميه عارفا ولا يقبل نعته بالتصوف !

ولا تعجب كثيرا سوف أزيدك يوجد فيهم من يحارب التصوف ولا يرتضيه منهجا إلا أنه لعدم معرفته به يقف بوجه من يتعرض لأفكاره وانتقاد رموزه.

ومن الجدير بالتنبيه إليه هو أن طالب العلوم الدينية إذا اقتصر في عمله على الفلسفة دراسة وتدريسا يخرج من وظيفته والعنوان المتلبس به ؛ لأن الفلسفة لم تكن من العلوم الدينية[1] وقد أخرج العلماء في الكتب الفقهية عند باب : (الوقف) أصحابها من علماء الشريعة ولم يعدوهم ضمن الصنف المذكور ، وتقدم ذكر كلماتهم تحت عنوان : (الفلسفة ليست من العلوم الشرعية) .

---

[1]) عدم كونها من العلوم الدينية أمر واضح ولا يحتاج بيان واستشهاد ولكن لا يمنع من نقل كلام الشيخ المظفر بهذا الصدد : يقول الشيخ ﷺ : الفلسفة ليس فيها طابع ديني ولا تسلك مسلكا معينا أو تتبع دينا بخصوصه بل تبحث عن الحقائق على ما هي عليه وهذا التجرد قد يحمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الإسلامية أو لظاهر الشريعة الإسلامية مما يوجب الخروج عن الدين في واقع الأمر أو في نظر المسلمين والفيلسوف لا يبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه دينا أو مذهبا. الفلسفة الإسلامية،ص٧٦.

وقال أيضا متحدثا عن الفلسفة : لا نأخذ منها عقيدتنا والفلسفة أبعد ما تكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة ولا يجب أن نعتقد بالله عن طريقة الفلاسفة لأن الله لم يكلفنا بذلك. الفلسفة الإسلامية،ص٨٠.

وقد يُقال : نحن نسلم بعدم كونها من العلوم الدينية إلا أنها توظف للدين وخدمة العلوم الدينية.

والجواب : إننا إذا ما تأملنا الواقع بعين فاحصة لم نر لها توظيفا في مجال خدمة الدين والعلوم الدينية على نحو الخصوص فلا أثر يذكر فيها لأصالة الوجود والماهية ، وقاعدة الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ، والشيء ما لم يجب لم يوجد ، والوجود زائد على الماهية ، وتقسيمات الوجود للذهني والخارجي ، والمعدوم المطلق لا يخبر عنه وغيرها من الأبحاث الفلسفية.

الخاتمة

أحببت أن تكون الخاتمة بذكر ثلة من الأحاديث التي تأمر بأخذ المعارف الدينية من خلال أئمة الهدى صلوات الله عليهم وتنبذ اقتفاء أثرها عند سواهم :

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد : (يا كميل لا تأخذ إلا عنا تكن منا)[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام : (كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال)[2].

وعنه عليه السلام : (فليذهب الحسن ـ يعني البصري ـ يمينا وشمالا فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا)[3].

وبكل تأكيد هذا الحديث غير خاص بالحسن البصري كبير صوفية المسلمين في وقته وإنما يعم كل الصوفية والفلاسفة الذين يأخذون معارفهم الدينية بميل القلوب وخواطر العقول.

---

[1]) تحف العقول،ص١٨٢.

[2]) الاختصاص،ص٣١.

[3]) وسائل الشيعة،ج٢٧،ص٦٤

وقال عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : (شرقا وغربا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت)[1].

وعنه عليه السلام : (من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله التيه إلى يوم القيامة)[2].

وعنه عليه السلام : (كل شيء لم يخرج من هذا البيت فهو وبال)[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (والله ما جعل الله لأحد خيرة في اتباع غيرنا ، وأن من وافقنا خالف عدونا ، ومن وافق عدونا في قول ، أو عمل فليس منا ولا نحن منهم)[4].

وقال عليه السلام ليونس بن ظبيان : (إذا أردت العلم الصحيح فعندنا فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل:﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[5][6].

---

[1]) أصول الكافي،ج١،ص٤٤٧.
[2]) بصائر الدرجات،ص٣٤.
[3]) الاختصاص،ص٤٣.
[4]) وسائل الشيعة،ج٢٧،ص١١٩.
[5]) سورة النحل : ٤٣ .
[6]) كفاية الأثر،ص٢٦٠.

وعنه عليه السلام : (كذب من زعم أنه يعرفنا وهو مستمسك بعروة غيرنا)[1].

وروى الحر العاملي رحمه الله عن كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق رحمه الله قائلا : في كتاب (صفات الشيعة) عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن الحسين بن خالد ، عن الرضا عليه السلام قال : (شيعتنا المسلمون لأمرنا،الآخذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا ، فمن لم يكن كذلك فليس منا)[2].

وعنه عليه السلام : (يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه أن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواه ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه[3] يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة)[4].

وعن الإمام الحسن العسكري في تفسيره عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث قال: (أتدرون متى يتوفر على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم يقل

---

[1]) معاني الأخبار،ص٤٩٣.

[2]) وسائل الشيعة،ج٢٧،ص١١٧.

[3]) يقول العلامة المجلسي رحمه الله : المراد ابتداع دين أو رأي أو عبادة والإصرار عليها حتى هذا الأمر المخالف للواقع الذي لا يترتب عليه فساد ، والحاصل أن الغرض : التعميم في كل أمر يخالف الواقع فإن التدين به يخرج الرجل عن الإيمان المأخوذ فيه ترك الكبائر كما هو مصطلح الأخبار.بحار الأنوار،ج٢،ص١١٥.

[4]) عيون أخبار الرضا،ص٢٧٢.

في القرآن برأيه ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به ، وقال : عليكم بالقرآن فإنه الشفاء النافع ، والدواء المبارك ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ثم قال : أتدرون من المتمسك به الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لا عن آراء المجادلين ، فأما من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار)[1].

وهذا نزر يسير جدا إلى جنب الكم الهائل من الأخبار ذات نفس المؤدى،وهي بمجموعها تشكلُ تواترا معنويا مفاده لزوم أخذ الدين بأصوله وفروعه وتفسير القرآن الكريم وتأويله من مشكاة ضيائهم وتأمر بتجنب الأخذ من سواهم صلوات الله عليهم زنة علمه ومداد كلماته.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوته من خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

هشام كاظم

النجف الأشرف ١٤٤٣هـ

---

[1]) وسائل الشيعة،ج٢٧،ص٣٣.

أهم المصادر

١ ـ **البيان في تفسير القرآن :** السيد أبو القاسم الخوئي .

٢ ـ **الميزان في تفسير القرآن :** محمد حسين بن محمد الطباطبائي .

٣ ـ **البحر المحيط :** أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي .

٤ ـ **الإتقان في علوم القرآن :** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .

٥ ـ **التوحيد :** ما رواه المفضل بن عمر الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام .

٦ ـ **الإهليلجة :** ما رواه المفضل بن عمر الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام .

٧ ـ **المحاسن :** أحمد بن محمد بن خالد البرقي .

٨ ـ **الكافي :** محمد بن يعقوب المعروف بالشيخ الكليني .

٩ ـ **التوحيد :** محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق .

١٠ ـ **الأمالي :** محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق .

١١ ـ **الأمالي :** محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد.

١٢ ـ الإرشاد : محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد.

١٣ ـ الاختصاص : محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد.

١٤ ـ الفصول المختارة : محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد.

١٥ ـ اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) : محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي .

١٦ ـ الفوائد الطوسية : محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي .

١٧ ـ الاحتجاج : أحمد بن علي الطبرسي .

١٨ ـ العروة الوثقى : السيد محمد كاظم اليزدي .

١٩ ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف:علي بن موسى المعروف بابن طاووس

٢٠ ـ البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة:محمد جعفر الأسترآبادي المعروف بشريعتمدار.

٢١ ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : علي بن يونس النباطي .

٢٢ ـ الكشكول : يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني .

٢٣ ـ الكشكول : محمد بن حسين المشهور بالشيخ البهائي .

٢٤ ـ **أصول المعارف :** محمد محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني .

٢٥ ـ **الوافي :** محمد محسن بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني .

٢٦ ـ **الغدير :** عبد الحسين بن أحمد المعروف بالعلامة الأميني .

٢٧ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة :** محمد محسن بن علي الطهراني .

٢٨ ـ **اصطلاحات الأصول :** علي أكبر فيض المشكيني .

٢٩ ـ **الرافد في علم الأصول :** تقرير بحث السيد السيستاني .

٣٠ ـ **النجعة في شرح اللمعة :** محمد تقي التستري .

٣١ ـ **أعيان الشيعة :** محسن الأمين بن عبد الكريم العاملي.

٣٢ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر:**أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني

٣٣ ـ **البداية والنهاية :** إسماعيل بن عمر بن كثير .

٣٤ ـ **الملل والنحل :** محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

٣٥ ـ **المشارع والمطارحات :** شهاب الدين السهروردي .

٣٦ ـ **النزاع والتخاصم :** أحمد بن علي المقريزي .

٣٧ ـ لوامع البينات : محمد بن عمر الرازي .

٣٨ ـ الفهرست : محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم .

٣٩ ـ الوافي بالوفيات : خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي .

٤٠ ـ الإشارات والتنبيهات : حسين بن عبد الله بن سينا .

٤١ ـ الفتوحات المكية : محمد بن علي المعروف بابن عربي .

٤٢ ـ الحكمة المتعالية : محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بملا صدرا.

٤٣ ـ أصول الفلسفة : محمد حسين بن محمد الطباطبائي .

٤٤ ـ أصول الفلسفة والمنهج الواقعي:محمد حسين الطباطبائي مع تعليق مرتضى مطهري.

٤٥ ـ الفلسفة الإسلامية : محمد رضا المظفر .

٤٦ ـ الأسس المنطقية للاستقراء : محمد باقر الصدر .

٤٧ ـ الإلهيات : جعفر بن محمد حسين السبحاني .

٤٨ ـ الشمس الساطعة : محمد الحسين الطهراني .

٤٩ ـ بصائر الدرجات : محمد بن الحسن الصفار .

٥٠ ـ **بحار الأنوار** : محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالعلامة المجلسي .

٥١ ـ **تفسير العياشي** : محمد بن مسعود بن عياش المعروف بالعياشي .

٥٢ ـ **تحف العقول** : الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني .

٥٣ ـ **تذكرة الفقهاء** : الحسن بن يوسف بن علي المعروف بالعلامة الحلي .

٥٤ ـ **تاريخ ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .

٥٥ ـ **تعليق على تقريرات شرح المنظومة** : محمد تقي الشريعتمداري .

٥٦ ـ **دار السلام** : حسين بن محمد تقي المعروف بالمحدث النوري .

٥٧ ـ **روضة الواعظين** :محمد بن الفتال النيسابوري .

٥٨ ـ **روضة المتقين** : محمد تقي المجلسي المعروف بالمجلسي الأول .

٥٩ ـ **رجال النجاشي** : أحمد بن علي النجاشي .

٦٠ ـ **رسائل الشهيد الثاني** : زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني.

٦١ ـ **رياض العلماء** : عبد الله بن عيسى الأفندي .

٦٢ ـ **روضات الجنات** : محمد باقر الموسوي الخوانساري .

٦٣ ـ **سير أعلام النبلاء :** محمد بن أحمد الذهبي .

٦٤ ـ **شرح أصول الكافي :** محمد صالح بن أحمد المازندراني.

٦٥ ـ **شرح إحقاق الحق :** شهاب الدين محمد حسين بن محمود المرعشي النجفي.

٦٦ ـ **شرح نهج البلاغة:**عبد الحميد بن هبة المعروف بابن أبي الحديد المعتزلي

٦٧ ـ **شرح المقاصد :** مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني .

٦٨ ـ **شذرات الذهب :** عبد الحي بن أحمد العكري .

٦٩ ـ **صراط النجاة:**استفتاءات للسيد الخوئي مع تعليق للشيخ جواد التبريزي

٧٠ ـ **طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال :** علي أصغر بن محمد البروجردي.

٧١ ـ **عيون أخبار الرضا :** محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق .

٧٢ ـ **عين الحياة :** محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالعلامة المجلسي .

٧٣ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:**أحمد بن القاسم المعروف بابن أصيبعة.

٧٤ ـ **غرر الحكم :** ما جمعه عبد الواحد الآمدي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

٧٥ ـ **فرج المهموم :** علي بن موسى المعروف بابن طاووس .

٧٦ ـ **فصوص الحكم :** محمد بن علي المعروف بابن عربي .

٧٧ ـ **في سماء المعرفة :** حسن زاده الآملي .

٧٨ ـ **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر :** علي بن محمد الخزاز القمي.

٧٩ ـ **كتاب المكاسب :** مرتضى بن محمد أمين المعروف بالشيخ الأنصاري .

٨٠ ـ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:**الحسن بن يوسف بن علي المعروف بالعلامة الحلي.

٨١ ـ **لسان العرب :** محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري .

٨٢ ـ **مجمع البيان :** علي الفضل بن الحسن الطبرسي .

٨٣ ـ **مواهب الرحمن :** السيد عبد الأعلى السبزواري .

٨٤ ـ **معاني الأخبار:**محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق

٨٥ ـ **من لا يحضره الفقيه :** محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق .

٨٦ ـ **مهذب الأحكام :** السيد عبد الأعلى السبزواري .

٨٧ ـ **مرآة العقول :** محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالعلامة المجلسي .

٨٨ ـ **مستدرك الوسائل :** حسين بن محمد تقي المعروف بالمحدث النوري .

٨٩ ـ **مستدرك سفينة البحار :** علي بن محمد النمازي الشاهرودي .

٩٠ ـ **مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة :** جواد بن محمد العاملي .

٩١ ـ **منية المريد :** زين الدين بن علي المعروف بالشهيد الثاني .

٩٢ ـ **مجمع الرسائل :** تقريرات أبحاث السيد الخوئي .

٩٣ ـ **مجموعة الرسائل :** لطف الله الصافي الكلبايكاني .

٩٤ ـ **مقالات تأسيسية :** محمد حسين بن محمد الطباطبائي .

٩٥ ـ **مروج الذهب :** علي بن الحسين المسعودي .

٩٦ ـ **معجم البلدان :** ياقوت بن عبد الله الحموي .

٩٧ ـ **مجمع البحرين :** فخر الدين بن محمد علي الطريحي النجفي .

٩٨ ـ **نهج البلاغة :** ما جمعه محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

٩٩ ـ نقد العقل العربي : محمد عابد الجابري .

١٠٠ ـ نهاية الحكمة : محمد حسين بن محمد الطباطبائي .

١٠١ ـ وسائل الشيعة : محمد بن الحسن الحر العاملي .

١٠٢ ـ وقعة صفين : نصر بن مزاحم المنقري .

١٠٣ ـ وفيات الأعيان : أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان .

فهرس العناوين

المقدمة ٣
حوزة قم المقدسة كحوزة النجف الأشرف تنبذ الفلسفة ٧
السيد الطباطبائي وإرساء الفلسفة في حوزة قم ١٠
السيد البروجردي في مواجهة انتشار الدرس الفلسفي ١٣
تحريم دراسة الفلسفة والراتب على طلبتها ١٨
السيد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى ١٨
السيد أبو الحسن الأصفهاني ١٩
السيد محمود الشاهرودي ٢٠
العلامة الحلي ٢١
الشيخ زين الدين العاملي ٢١
الشيخ الأنصاري ٢٢
السيد عبد الأعلى السبزواري ٢٤
السيد الخوئي ٢٥
الشيخ لطف الله الصافي ٢٦
تدخل السيد الخميني في تخفيف حدة الخلاف بين السيدين ٣٠
أصحاب الاتجاه الفلسفي ومحاولة إخفاء النزاع بين السيدين ٣٤
تدريس فصوص الحكم بعنوان التفسير ! ٣٩
الفلسفة لا تعني الحكمة ٤١

السيد محمد مهدي بحر العلوم ٤٦
السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ٤٧
السيد عبد الأعلى السبزواري ٤٩
الشيخ علي النمازي ٥١
المدارس الفلسفية الثلاث ٥٣
هل مدح الإمام الصادق أرسطو ؟! ٥٧
المنطق الأرسطي ردة فعل انقضى زمانها ٦١
عدم الاطلاع وردود الفعل المذهلة ٦٧
عدم إنتاج القياس في المنطق الأرسطي ٦٩
نقاش الملحدين بالوجود الذهني كالنقاش بالقرآن والحديث ٧٥
إشكال وجواب ٧٩
الأدلة الفلسفية على إثبات وجود الخالق ٨٢
خلق الأشياء ما بين أئمة الهدى والفلاسفة ٩٣
القرآن والحديث يدعوان للعقل ١٠٠
عدم توقف رد شبهات وإثبات الخالق على الفلسفة ١٠٥
التوافق أم التقاطع بين الفلسفة والكلام ؟! ١٠٨
الفلسفة بالمعنى الأعم والأخص ١١٣
دخالة الفلسفة على الأصول ١١٥
دعوى عدم إمكان الرد على الفلسفة إلا لمن درسها ١٢٢
الخط المأموني وترجمة كتب الفلسفة ١٢٤
الفلسفة ليست من العلوم الشرعية ١٣١
الفلسفة الإسلامية ! ١٣٥
الفلسفة الإسلامية ما بين الادعاء والشواهد ١٤٣
الفلسفة والتصوف من روافد الإلحاد ١٤٥

إحازة ظريفة ١٦٦
دلالات نبذ التيار الفلسفي ١٦٨
إذا كانت الفلسفة سيئة لِمَ لم ينه الأئمة عنها ؟ وأحاديث في ذمها ١٧٣
الجواب الأول ١٧٣
الجواب الثاني ١٨٣
الجواب الثالث ١٨٥
العلماء الذين تركوا الفلسفة والتصوف في نهاية المطاف ١٨٦
١ ـ الفيض الكاشاني ١٨٨
٢ ـ الميرزا مهدي الأصفهاني ١٩٤
٤ ـ ثقة فاضل ٢٠١
٥ ـ الشيخ محمد تقي الشريعتمداري ٢٠٢
٦ ـ السيد محمد باقر الصدر ٢١٤
٧ ـ السيد السيستاني ٢١٨
٨ ـ الفخر الرازي ٢٣١
الفلسفة ونظرية المعرفة ٢٣٦
الحكمة ضالة المؤمن لا يعني العكوف على الأوهام ٢٣٩
لماذا الموقف المناهض للفلسفة ؟! ٢٤٤
بيان ما التبس على أصحاب التيار الفلسفي أولى من الرد عليهم..... ٢٤٧
أصحاب التيار الفلسفي لم يتعمدوا السوء..... ٢٤٩
كلمة مهمة في الختام..... ٢٥٣
الخاتمة..... ٢٥٧
أهم المصادر ٢٦٢
فهرس العناوين..... ٢٧١